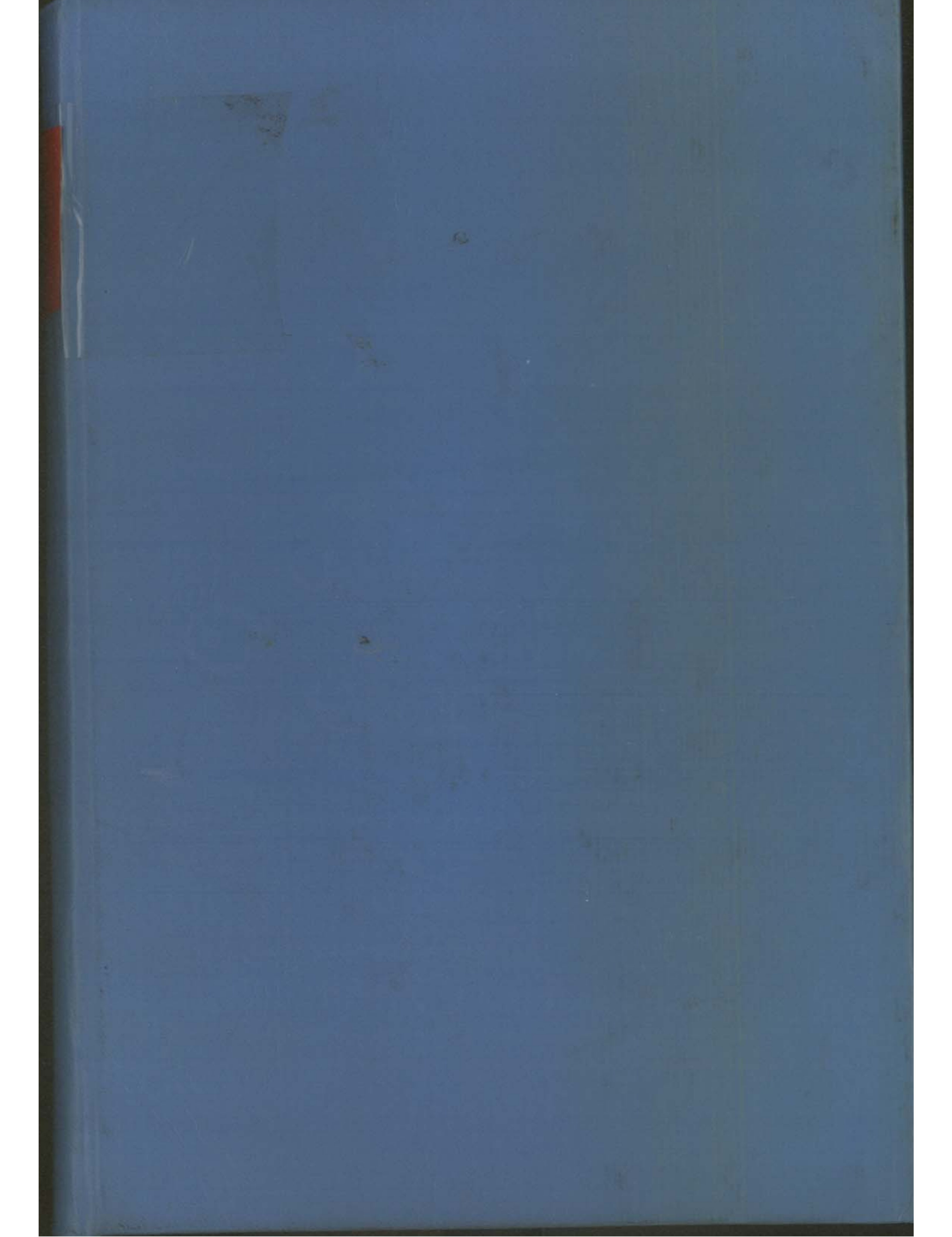


الأمالي

في التفسير والحديث والأدب

للسيد الشريف ابي القاسم احمد الحسين

المتوفي سنة ٤٣٦ هجريه

الجزء الرابع

يباع بمكتبة

محمود علي صبيح : واخيه محمد

بميدان الازهر المعمور

طبعة الاتحاد المصري بحروف شارع العقادين بالغورية بمصر

الجزء الرابع من كتاب



امالى السيد المرتضى

الشريف أبي القاسم على بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضى الله عنه

في التفسير والحديث والادب



الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالى ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه

حضرة الفاضل الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا

(مطبعة السعاده بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل)

بسم الله الرحمن الرحيم

[تأويل خبر] ٠٠ان سأل سائل عن معنى ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ٠٠الجواب أما أبو عبيد القاسم بن سلام فانه قال في تأويل هذا الخبر سألت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا في أول الاسلام قبل أن تنزل الفرائض ويؤمر المسلمون بالجهاد قال أبو عبيد كأنه يذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل أن ينصره أبواه ويهوداه ما ورثاه وكذلك لو ماتا قبله ما ورثهما لانه مسلم وهما كافران وما كان أيضاً يجوز أن يسبي فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم انه يولد على د[ين] أبويه ٠٠قال أبو عبيد وأما عبد الله بن المبارك فانه قال هذا بمنزلة الحديث الآخر الذي يتضمن انه عليه الصلاة والسلام سئل عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين يذهب الى أنهم يولدون على ما يصيرون من اسلام أو كفر فمن كان في علمه انه يصير مسلماً فانه يولد على الفطرة ومن كان في علمه أنه يموت كافراً ولد على ذلك٠٠قال أبو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر انه قال يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي جميعاً فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وجعلت ما أحللت لهم حراماً ٠٠ قال أبو عبيدة يريد بذلك النحائر والسوائب وغير ذلك لما أحله الله تعالى فجعلوه حراماً ٠٠ وأما ابن قتيبة فانه قال وقد حكى ما ذكرناه عن أبي عبيد لست أرى ما حكاه أبو عبيد عن عبد الله ابن المبارك ومحمد بن الحسن مقنعاً لمن أراد أن يعرف معني الحديث لانهما لم يزيدا على ان ردّا على من قال من أهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث منسوخ والمنسوخ لا يكون في الاخبار وانما يكون في الأمر والنهي قال ولا يجوز أن يراد به على تاويل ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لان مخرجه مخرج العموم

٠٠ قال ولا أرى معنى الحديث الا ما ذهب اليه حماد بن سلمة فانه قال فيه هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم يريد حين مسح الله تعالى ظهر آدم فأخرج منه ذريته الى يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فأراد عليه الصلاة والسلام ان كل مولود يولد في العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار الأول وهو الفطرة ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وهذا كله خبط وتخليط وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في تأويله أن قوله عليه الصلاة والسلام يولد على الفطرة يحتمل أمرين ٠٠أحدهما أن تكون الفطرة ههنا الدّين وتكون على بمعنى اللام فكأنه عليه الصلاة والسلام قال كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين لان الله تعالى لم يخلق من يبلغ مبلغ المكلفين إلاّ ليعبده فينتفع بعبادته ويشهد بذلك قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون) والدليل على ان على تقوم مقام اللام ما حكاه ابن السكيت عن أبي زيد عن العرب انهم يقولون صف عليّ كذا وكذا حتى أعرفه بمعنى صف لي ويقولون ما أغيظك عليّ يريدون ما أغيظك لي والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه ٠٠ وقال الطرماح

كأنَّ مُخوَّاها على ثَفِنَاتِها ... مُعرَّسُ خَمْسٍ وقَّعَتْ للجَناجِنِ [(١)]

وقال عنترة

شَرِبتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فأَصبَحتْ ... زَوْرَاءَ تَنفِرُ عَنْ حِياضِ الدَّيْلَمِ

معناه شربت الناقة من ماء الدّحرضين وهما ماآن يقال لأحدهما وشيع والآخر دحرض فغلب الأشهر وهو الدّحرض وانما ساغ أن يريد عليه الصلاة والسلام بالفطرة التي هى الخلقة

(١) ـ مخواها ـ تجافيها في بروكها ـ وثفناتها ـ جمع ثفنة بكسر الفاء وهي ركبتها وما مس الأرض من كركرتها وسعدانتها وأصول أفخاذها ـ ومعرس خمس ـ موضع تعريسها أي نزولها آخر الليل للاستراحة وخمس أى خمس من القطا ـ ووقعت ـ بركت ـ والجناجن ـ عظام الصدر وقيل رؤس الأضلاع وقيل أطراف الأضلاع مما يلي قص الصدر وعظم الصلب الواحد جنجن وجنجنة بكسرهما ويفتحان وقيل واحدها جنجون

في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجري على الشئ اسم ماله به هـذا الضرب من التعلق والاختصاص وعلى هـذا يتأول قوله تعالى (فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرة الله التى) الآية أراد دين الله الذي خلق الخلق له وقوله (لاتبديل لخلق الله) المراد به ان ماخلق العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتي يخلق تعالى قوماً للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز أن يريد بذلك الأمر وان كان ظاهره الخبر فكأنه تعالى قال ولا تبـدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا ٠٠ والوجه الآخر في تأويل قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة أن يكون المراد بها الخلقة وتكون لفظة على على ظاهرها لم يرد بها غيرها ويكون المعنى كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانيته تعالى وعبادته والايمان به لانه عز وجل قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضى النظر فيه معرفته والايمان به وان لم ينظروا ولم يعرفوا فكأنه قال كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وان عدل بعضهم فصار يهودياً أو نصرانياً وهذا الوجه يحتمله أيضاً قوله تعالي (فطرة الله التى فطر الناس عليها) واذا ثبت ما ذكرناه في معـني الفطرة فقوله عليه الصـلاة والسلام حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين أحـدهما أن من كان يهودياً أو نصرانياً ممن خلقته لعبادتي وديني فانما جعله كذلك أبواه ومن جرا مجراهما ممن يوقع له الشبهة ويقلده الضلال عن الدين وانمـا خص عليه الصلاة والسـلام الابوين لان الاولاد في الاكثر ينشؤن على مذهب آبائهم ويألفون أديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله عن الضلالة للعباد وكفرهم وانه انما خلقهم للايمان فصدهم عنه آباؤهم ومن يجري مجراهم ٠٠ والوجه الآخر أن يكون معنى يهودانه وينصرانه أي يلحقانه بأحكامهما لان أطفال أهل الذمة قد ألحق الشرع أحكامهم بأحكامهم فكأنه قال عليه الصلاة والسلام لاتتوهموا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصاري أطفالهم انهم خلقوا لدينهم بـل لم يخلقوا الا للايمان والدين الصحيح لـكن آباؤهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم وعبر عليه الصلاة والسلام عن ادخالهم في أحكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا واضح ٠٠ فأما جواب أبي عبيد الله الذي حكاه عن محمد بن الحسن فانا اذا تمكنا من حمل الخبر على وجه نسلم

معه من النسخ لم نحتج الى غيره وانما توهم النسخ لاعتقاده ان خلقهـم على الفطرة يمنع من الحاقهم بحكم آبائهم وذلك غير ممتنع ٠٠ وأما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففاسد لان الله تعالي لايجوز أن يخلق أحداً للـكفر فكيف يخلقه له وهو يأمره بالايمان ويريده منه ويعاقبه ويذمه على خلافه ٠٠ فأما ماروى عنه عليه الصلاة والسلام وقد سئل عن أطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فانه يحتمل أن يكون عليه الصلاة والسلام سئل عمن لم يبلغ من أطفال المشركين كيف صورته والى أى شئ تنتهي عاقبته فقال عليه الصلاة والسلام الله أعلم بما كانوا يعملون فأراد أن ذلك مستور عنى ولو كانت المسألة عمن اخترم طفلا لم يجز أن يكون الجواب ذلك وأما ابن قتيبة فانه رد على أبي عبيـد من غير وجه يقتضى الرد واعترض جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص وكيف يلبه على فساده من هذه الجهة وقد اختار فى تأويل الخبر ما يجري فى الفساد والاختلال مجرى تأويل ابن المبارك ٠٠ فأما النسخ فى الاخبار فجائز اذا تضمنت معني الامر والنهي ويكون ما دل على جواز النسخ في الامر دالا على جواز ذلك فيها وهذا مثل أن يقول عليه الصلاة والسلام الصلاة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست بواجبة فيستـدل بالثاني على نسخ الحـكم الاول كما لو قال عليه الصلاة والسلام صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهي الثاني ناسـخاً للاول ٠٠ فأما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم من الأمالى عند تأويلنـا قوله تعالي (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) وأفسدنا قول من اعتقد أنه مسح ظهر آدم عليه السلام واستخرج منه الذرية وأشهدها على نفوسها وأخذ اقرارها بمعرفته بوجوه من الـكلام ولا طائل فى اعادة ذلك

مجلس آخر ٥٧

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها) الآية

الي قوله تعالى (الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ) فقال ما معـنى الاستثناء ههنا والمراد الدوام والتأبيد ثم ما معنى التمثيل بمدة السموات والأرض التي تفنى وتنقطع •• الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه •• أولها أن تكون الا وإن كان ظاهرها الاستثناء فالمراد بها الزيادة فكأنه تعالى قال (خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك) من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لى عليـك ألف دينار الا الفين الذين اقرضتكهما وقت كذا وكذا فالالفان زيادة على الالف بغير شك لان الـكثير لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين •• والوجه الثاني أن يكون المعنى الا ماشاء ربك من كونهم قبل دخول الجنة والنار في الدنيا وفى البرزخ الذي هو مابين الحياة والموت وأحوال المحاسبة والعرض وغير ذلك لأنه تعالى لو قال خالدين فيها أبداً ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون في الجنة والنار من لدن نزول الآية أو من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة •• والوجه الثالث أن تكون الا بمعنى الواو والتأويل فيها مادامت السموات والأرض وماشاء ربك من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وكلُّ أخٍ مفارِقُهُ أخُوهُ لعَمْرُ أبيكَ إلاَّ الفرْقَدَانِ (١)

---

(١) البيت من شواهد سيبويه والمغنى على أن إلا صفة لـكل مع صحة جعلها اداة استثناء ونصب الفرقدين على الاستثناء كما هو الشرط فى وصفية إلا •• قال ابن هشام في المغنى والوصف هنا مخصص فان مابعد الا مطابق لما قبلها لأن المعنى كل أخوين غـير هذين الـكوكبين متفارقان وليست الا استثنائية والا لقال الا الفرقدين بالنصب لانه بعد كلام تام موجب كما هو الظاهر مع كونه لمستغرق وهو كل أخ كما نصب الشاعر فى هذا البيت وهو من أبيات مذكورة في مختار أشعار القبائل لأبي تمام صاحب الحمـاسة لأسعد الذهلى وهو

وكل أخ مفـارقه أخوه لشحط الدار الا ابنى شَمام

وابنا شمام جبلان وهما بفتح الشـين المعجمة وكسر الميم كحذام وقيل هما جبلان فى دار

معناه والفرقدان وبقول الآخر

وَأَرَي لها دَارًا بأَغْدِرَةِ السِّـيدَانِ لم يَدْرُسْ لها رَسْمُ
إلاَّ رَمادًا هامِدًا دَفَعَتْ عنهُ الرِّياحَ خَوَالِدٌ سُحْمُ

والمراد بالا ههنـا الواو والا كان الـكلام متنـاقضاً •• والوجه الرابع أن يكون الاستثناء الاول متصلا بقوله تعالى (لهم فيها زفير وشهيق) وتقدير الـكلام لهم في النار زفير وشهيق الا ماشاء ربك من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود فان قيل فهبوا ان هذا أمكن فى الاستثناء الاول كيف يمكن فى الثانى

بنى تميم مما يلى دار عمرو بن كلاب وقيل شمام هو جبل وابناه رأساه وعند ابن الحاجب في البيت الشاهد شذوذ من ثلاثة أوجه أحدها انه اشترط فى وقوع الا صفةً تعذر الاستثناء وهنا يصح لو نصبه وثانيها وصف المضاف والمشهور وصف المضاف اليه وثالثها الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر وهو قليل والبيت جاء فى شعرين لصحابيين أحدهما عمرو بن معد يكرب أنشده الجاحظ في البيان والتبيين له وكذا نسبه اليه المبرد في الـكامل وصاحب جمهرة الاشعار وغيرهم والثانى حضرمى بن عامر الأسدى وهو القائل

ألا عجبت عمـيرة أمس لمـا رأت شيب الذؤابة قد علانى
تقول أري أبي قد شاب بعدى وأقصر عن مطالبة الغوانى

الى أن قال

وذي فجع عزفت النفس عنه حذار الشامتين وقد شجانى
أخي ثقـة اذا ماالليـل أفضى الي بمؤيد جُلَّى كفاني
قطعت قرينتى عنـه فأغـنى غناه فلن أراه ولن يرانى
وكل قرينـة قرنت بأخرى ولو ضنت بهـا ستفرَّقان
وكل أخ مفارقـه أخـوه لعمر أبيـك الا الفـرقدان
فكان اجابتى إياه أنى عطفت عليـه خوَّار العنان

وهذا البيت الاخير يروي لعنترة بن شداد العبسى

•• قلنا يحمل الثاني على استثناء المكث في المحاسبة والموقف أو غير ذلك مما تقدم ذكره •• والوجه الخامس أن يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود وانما الغرض فيه انه لو شاء أن يخرجهم وأن لا يخلدهم فى أن التخليد انما يكون بمشيئته وارادته كما يقول القائل لغيره والله لاضربنك الا أن أرى غير ذلك وهو لا ينوى الا ضربه ومعنا الاستثناء ههنا أني لو شئت أن لا أضربك لفعلت وتمكنت غير أني مجمع على ضربك •• والوجه السادس أن يكون تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء الا تخليدهم علي ما حكم به ودل عليه ويجري ذلك مجري قول العرب والله لاهجرنك الا أن يشيب الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك انى أهجرك أبداً من حيث علق بشرط معلوم أنه لا يحصل وكذلك معني الآيتين والمراد بهما انهم خالدون أبداً لان الله تعالى لا يشاء أن يقطع خلودهم •• والوجه السابع أن يكون المراد بالذين شقوا من أدخل النار من أهل الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعتهم المعاصى فقال الله تعالي انهم معاقبون فى النار الا ماشاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم اليهم •• ويجوز أيضاً أن يريد بأهل الشقاء ههنا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى تعالى بقوله الا ما شاء ربك أهل الطاعات منهم ومن يستحق ثوابا لابد أنه يصل اليه فقال تعالي الا ما شاء ربك من اخراج بعضهم وهم أهل الثواب وأما الذين سعدوا فانما استثنى تعالي من خلودهم أيضاً لما ذكرناه لان من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها لابد من الاخبار عنه بتأبيد خلوده من استثناء ما تقدم فكأنه تعالى قال انهم خالدون في الجنة مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك من الوقت الذي أدخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم الى الجنة والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وانما أجري عليهم كل لفظ فى الحال التي تليق بهم اذا أدخلوا النار وعوقبوا فيها من أهل الشقاء واذا نقلوا الى الجنة من أهل الجنة والسعادة وقد ذهب الى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله تعالى عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون أشقياء في حال

سعداء في حال أخرى وأما تعليق الخلود بدوام السموات والأرض فقد قيل فيه إن ذلك لم يجعل شرطاً في الدوام وانما علق به على سبيل التبعيد وتأكيد الدوام لان للعرب فى مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالي عليها لانهم يقولون لا أفعل كذا ما لاح كوكب وما أضاء الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بل بحر صوفة وما تغنت حمامة ونحو ذلك ومرادهم التأبيد والدوام ويجرى كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا أفعل كذا أبداً لانهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يتغير وعباراتهم انما يخرجونها بحسب اعتقاداتهم لا بحسب ما عليه الشيء فى نفسه ألا تري أن بعضهم لما اعتقدوا فى الاصنام أن العبادة تحق لها سموها آلهة بحسب اعتقاداتهم وان لم تكن فى الحقيقة كذلك ومما يشهد لمذهبهم الذى حكيناه قول أبي الجويرية العبدى

ذَهَبَ الجودُ وَالجُنَيْدُ جَميعاً ... فَعلي الجُودِ وَالجُنَيْدِ السلَامُ
أَصبَحا ثاوِيَيْنِ في قعرِ مَرْتٍ ... ماتَغَنَّتْ على الغُصُونِ الحَمامُ

وقال الأعشى

ألستَ مُنْتَهِياً عن نَحْتِ أَثْلتنا ... وَلستَ ضائرَها ماأطَّتِ الإِبلُ[1]

وقال الآخر

لاَ أفتا الدَّهرَ أبكِيهِمْ بأَرْبَعَةٍ ... مااجترّتِ النّيبُ أوْحنّتْ الى بلَدِ

وقال زهير مبيناً عن اعتقاده دوام الجبال وانها لا تفنى ولا تتغير

ألاَ لاَ أَرَى علي الحوَادِثِ باقِيا ... وَلاَ خالِدًا إلاَّ الجبالَ الرَّوَاسِيا

(١) النحت البرى — والأثل — بالفتح شجر معروف قيل هو الطرفاء وقيل السمر وأحدته أثلة وجمعه أثلات محركة وأثول بالضم — وأطت — من أطيط الابل وهو نقيض جلودها عند الحكة والنقيض بفتح النون وكسر القاف وفي آخره ضاد معجمة وهو صوت اللسع والرحل والمفاصل والاضلاع

فهذا وجه وقيـل أيضاً فى ذلك انه أراد تعالي به الشرط وعنى بالآية دوام السموات والارض المبدلتين لأنه تعالى قال (يوم تبدل الارض غيرالارض والسموات) فأعلمنا تعالى انهما تبدلان وقد يجوز أن يديمهما بعد التغيير أبداً بلا انقطاع وانما المنقطع هو دوام السموات والارض قبل التبديل والفناء ويمكن أيضاً أن يكون المراد انهم خالدون بمقدار مدة السموات والارض التي يعلم الله تعالىانقطاعها ثم يزيدها الله تعالي علىذلك ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا اوجـه يليق بالاجوبة التى تتضمن أن الاستثناء أريد به الزيادة على المقدار المقدم لا النقصان ٠٠[قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وجدت أبا القاسم الآمدى قد ظلم البحتري في تفسير بيت له مضاف اليه مع ظلمه له فى أشـياء كثيرة تأولها على خلاف مراد البحترى وحكى قوله

كالبَدْرِ إلاَّ أنَّها لاَ تُجْتَلي   وَالشَّمْسِ إلاَّ أنَّها لاَتَغْرُبُ

ثم قال وهذا فيه سؤال لانه لما قال ــ كالبدر الا أنها لا تجتلى ــ فالمعنى أن عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه وهي لا تراها العيون ولا تجتلى ثم قال ــ والشمس الا أنها لاتغرب ــ وانما قال لاتجتلى لانها محجوبة فاذا كانت فى حجاب فهى في غروب لان الشمس اذا غربت إنما تدخل تحت حجاب فظاهر المعنى كالبـدر الا أن العيون لاتراها والشمس الا أن العيون لا تفقدها قال وهـذا القول متناقض كما ترى قال وأظنه أراد انها وان كانت فى حجاب فانه لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت وغربت اذا توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل أغرب عنا أى ابعد ولو اسـتعار لها اسم الغروب للغروب عن الارض التي تكون فيها اذا ظعنت عنها الي أرض أخري كان ذلك حسناً جداً لا سيما وقد جعلها شمساً كما قال ابراهيم بن العباس الصولى

وَزالَتْ زَوَالَ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّها   فَمَنْ مُخْبِرِي في أيِّ أرْضٍ غُرُوبُها

قال وقد يجوز أن يقول قائل انه أراد لا تغرب تحت الأرض كما تغرب الشمس وهذه معاذير ضيقة لابى عبادة فان لم يكن قد أخطأ فقد أساء ٠٠[قال الشريف المرتضي]رضى الله عنه وما المخطيء غير الآمدي ومراد البحتري بقوله أوضح من أن يذهب على متأمل

لانه أراد بقوله ــ والشمس الا أنها لا تغرب ــ أي انها لا تصير حيث يتعذر رؤيتها ويمتنع كما يتعذر رؤية الشمس على من غربت عن أفق بلده والمرأة وان احتجبت باختيارها فان ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لانها اذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون والشمس اذا غربت فرؤيتها غير ممكنة ولهذا لا يصح أن يقال فيمن استظل بدار أو جدار عن الشمس انها غربت عنه وان كان غير راء لهـا لان رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع وكذلك القول في احتجاب المرأة فلا تناقض فى بيت البحتري على ماظنه الآمدى ٠٠ ولبعضهم في هذا المعنى

قدقلتُ لِلبَدْرِ واستَعبَرْتُ حِينَ بَدَا   ما فِيكَ يا بَدْرُ لِي مِنْ وجهِها خلَفُ
تُبْدِي لنا كلما شِئْنا محاسِنَها   وأنتَ تَنْقُصُ أحيانا وتَنْكَسِفُ

فمعنى قوله ــ فأنت تنقص وتنكسف ــ جار مجرى غروب الشمس لأنه فضلها على البدر من حيث كان بروزها لمبصرها موقوفا على اختيارها والبدر ينقص وينكسف على وجـه لا يمكن رؤيته كما فضلها البحترى بأنها لا تغرب حتى تصـير رؤيتها مستحيلة والشمس كذلك ٠٠وقد ظلم الآمدي البحترى فى قوله

لاَ العَذْلُ يَرْدَعُهُ ولاَ التَّـ   ـعْنِيفُ عَنْ كَرَمٍ يَصُدُّهْ

قال الآمدي وهذا عندى من أهجى ما مدح به خليفة وأقبحه ومن ذا يعنف الخليفة على الـكرم أو يصده ان هذا بالهجو أولى منه بالمدح ٠٠ [قال الشريف المرتضي]رضى الله عنه وللبحترى في هذا عذر من وجهين ٠٠ أحدهما أن يكون الـكلام خرج مخرج التقدير فكأنه قال لو عنف وعذل لما صده ذلك عن الـكرم وان كان من حق العذل والتعنيف أن يصد أو يحجز عن الشيء وهذا له نظائر فى القرآن وفى كلام العرب كثير مشهور وقد مضى فيما أمليناه شئ من ذلك ٠٠ والوجه الآخر أن العذل والتعنيف وان لم يتوجها اليه في نفسه فهما موجودان فى الجملة على الاسراف فى البذل والجود بنفائس الاموال ولم يقل البحتري إن عذله يردعه أو تعنيفه يصده وانما قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصده فكأنه أخـبر أن ما يسمعه من عذل العذال على الـكرم

وتعنيفهم على الجود وان كان متوجهاً إلى غيره فهو غير صادله لقوة عزيمته وشدة بصيرته ٠٠ ومما خطأ الآمدي البحتري فيه وان كان له فيه عذر صحيح لم يهتد اليه قوله

ذَنَبٌ كما سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذِبُّ عن   عُرُفٍ وَعُرْفٌ كالقِناعِ المُسْبَلِ

قال الآمدي وهذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الأرض كان عيباً فكيف اذا سحبه وانما الممدوح من الأذناب ما قرب من الأرض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس

بِضافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بأَعْزَلِ [١]

قال وقد عيب امرؤ القيس بقوله

لها ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ العَرُوسِ   تَسُدُّ بِهِ فَرْجَها مِنْ دُبُرْ

قال وما أرى العيب يلحق امرأ القيس لان العروس وان كانت تسحب أذيالها وكان ذنب الفرس اذا مس الأرض عيباً فليس بمنكر أن يشبه به الذنب وان لم يبلغ الى أن يمس الارض لان الشيء انما يشبه الشيء اذا قاربه أو دنا من معناه فاذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صح التشبيه ولاق به وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا ترى أنه قال ـ تسد به فرجها من دبر ـ وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفاً ولا يسد فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا أشبه الذنب الذيل من هذه الجهة كان في الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب وانما العيب في قول البحتري * ذنب كما سحب الرداء * فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه ٠٠ ومثل قول امرئ القيس قول خداش بن زهير

لها ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الهَدِيِّ   الي جُؤْجُؤٍ أَيِّدِ الزَّافِرِ

ـ والهدي ـ العروس التي تهدى الى زوجها ـ والايد ـ الشديد ـ والزافر ـ الصدر لانها تزفر منه

---

(١) وصدره * كميت إذا استقبلته سد فرجه * الخ ـ والاعزل ـ من الخيل الذي يقع ذنبه في جانب وهو عادة لا خلقة وهو عيب

قال فشبه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدي وان لم يبلغ في الطول الى أن يمس الارض ٠٠ [قال الشريف] رضى الله عنه وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس في قوله مثل ذيل العروس غير أن الآمدى لم يفطن له وأول ما أقوله ان الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متي اعتبر في الشعر بطل جميعه وكلام القوم مبني على التجوز والتوسع والاشارات الخفية والايماء على المعانى تارة من بعد وتارة من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق وانما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما أراد البحتري بقوله ـ ذنب كما سحب الرداء ـ المبالغة في وصفه بالطول والسبوغ وأنه قد قارب أن ينسحب وكاد يمس الأرض ومن شأن العرب أن تجري على الشيء الوصف الذى كان قد يستحقه وقد قرب منه القرب الشديد فيقولون قتل فلاناً هوي فلانة وولّه عقله وزال تمييزه وأخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما أرادوا المبالغة وافادة المقاربة والمشارفة ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى ومن شأنهم أيضاً اذا أرادوا المبالغة التامة أن يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفل بالكثيب وبالدعص وبالتل ويشبهون الخصر بوسط الزنبور وبمقدار حلقة الخاتم ويعدون هذا غاية المدح وأحسن الوصف ونحن نعلم أنا لو رأينا مَن خصره مقدار وسط الزنبور وكفله كالكثيب العظيم لاستبعدناه واستهجنا صورته لنكارتها وقبحها وانما أتوا بألفاظ المبالغة صنعة وتأنقاً لا لتحمل على ظواهرها تحديداً وتحقيقاً بل ليفهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة ويترك ماوراء ذلك فانا نفهم من قولهم خصرها كخصر الزنبور انه في غاية الدقة المستحسنة في البشر ومن قولهم كفلها كالكثيب انه في نهاية الوثارة المحمودة المطلوبة لا أنه كالتل على التحقيق فهكذا لا ننكر أن يريد البحتري بقوله كما سحب الرداء أنه في غاية الطول الممدوح المحمود لانه يجر في الارض على الحقيقة ووكلنا في تخليص معناه وتفصيله الى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء في استعمال مثل اللفظ الذى استعمله ٠٠ قال بعضهم في ثقل العجيزة

تَمْشِي فَتُثْقِلُها رَوادِفُها   فكأَنَّها تَمْشِي إلى خَلْفِ

وقال المؤمل

من رَأى مثلَ حِبتي   تُشبهُ البَدرَ إذ بدَا
تَدخلُ اليَومَ ثمّ تدْ   خلُ أَرْدَافُها غدَا

وقال ذو الرمة

وَرَملٍ كأوْرَاكِ العَذَارَى قَطعتهُ   وقدْ جلّلتهُ المُظلِماتُ الحَنادِسُ[٢]

وكل هذا الكلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف به فى نهاية القبح لان من يمشي الى خلف ومن يدخل كفله بعده لا يكون مستحسناً ٠٠ وقال بكر بن النطاح

فَرْعاءُ تَسحَبُ مِنْ قِيامٍ فَرْعَها   وَتَغيبُ فِيهِ وَهوَ جَثْلٌ أَسحَمُ
فكأنّها فِيهِ نَهارٌ ساطِعٌ   وكأنّهُ لَيلٌ عليها مُظلِمُ

فوصف شعرها بأنه ينسحب مع قيامها ونحن نعلم أن طول الشعر وان كان مستحسناً فليس الي هذا الحد وانما أراد بقوله تسحب شعرها ما أراده البحترى بقوله كما سحب

(١) هذا البيت أورده ابن جنى في الخصائص في باب غلبة الفروع للاصول فقال هذا فصل من العربية طريف تجده فى معاني العرب كما تجده فى معانى الاعراب ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة فما جاء فيه ذلك للعرب قول ذى الرمة

ورمل كاوراك العذارى قطعته   إذا ألبسته المظلمات الحنادس

أفلا ترى ذالرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع أصلا وذلك ان العادة والعرف في نحو هذا ان تشبه أعجاز النساء بكثبان الانقاء الى أن قال فغلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا فشبه كثبان الانقاء بأعجاز النساء وهذا كأنه يخرج مخرج المبالغة أى قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لاعجاز النساء فصار كأنه الاصل فيه حتى شبه به كثبان الانقاء الى أن قال وآخر ماجاء به شاعرنا يعنى المتنبي

نحن ركبٌ ملجن في زى ناس   فوق طير على شخوص الجمال

فجعل كونهم جنا أصلا وجعل كونهم ناساً فرعا وجعل كون مطاياه طيراً أصلا وكونها جمالا فرعا فشبه الحقيقة بالمجاز فى المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد

الرداء من المبالغة في الوصف بالطول المحمود دون المذموم

مجلس آخر ٥٨

[تأويل الآية]٠٠ان سأل سائل عن قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر[١] يوم يأتوننا) الآية ٠٠ فقال ما تأويل هذه الآية فان كان المراد التعجب من قوة أسماعهم ونفاذ أبصارهم فكيف يطابق ما خبر به عنهم فى مواضع كثيرة من الكتاب بأنهم لا يبصرون ولا يسمعون وان على أسماعهم وأبصارهم غشاوة وما معنى قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أي يوم هو اليوم المشار اليه وما المراد بالضلال المذكور ٠٠ الجواب قلنا أما قوله تعالي (أسمع بهم وأبصر) فهو على مذهب العرب فى التعجب ويجرى مجري قولهم ما أسمعهم وما أبصرهم والمراد بذلك الإخبار عن قوة علومهم بالله تعالي فى تلك الحال وانهم عارفون به على وجه الاعتراض للشبهة عليه وهذا يدل على أن أهل الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة ولا تنافى بين هذه الاية وبين الآيات التى أخبر تعالى

(١) قوله اسمع بهم وأبصر أى بهم وحذف المتعجب منه هنا لدلالة بهم السابقة مع كونه فاعلا لان لزومه الجر كساه صورة الفضلة خلافا للفارسى وجماعة فانهم ذهبوا الى أنه لم يحذف ولكنه استتر في الفعل حين حذفت الباء كما في قولك زيد كفى به كاتباً ورده ابن مالك بوجهين ٠ أحدهما لزوم ابرازه حينئذ فى التثنية والجمع ٠ والثانى ان من الضمائر مالا يقبل الاستتار كنا من أكرم بنا فان لم يدل عليه دليل لم يجز حذفه أمافي ما أفعله فلعروه إذ ذاك عن الفائدة فانك لو قلت ما أحسن أو ما أجمل لم يكن كلاما لان معناه ان شيئاً صير الحسن واقعا على مجهول وهذا مما لا ينكر وجوده ولا يفيد التحدث به وأما نحو افعل به فلا يحذف منه المتعجب لغير دليل لانه فاعل وأما قول عروة بن الورد

فذلك ان يلق المنية يلقها   حميداً وان يستغن يوماً فاجدر

فحذف المتعجب منه ولم يكن معطوفا على مثله فشاذ

عنهم فيها بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وبأن على أبصارهم غشاوة لأن تلك الآيات تناولت أحوال التكليف وهي الأحوال التى كان الكفار فيها ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالي وصفاته وهذه الآية تتناول يوم القيامة وهو المعنى بقوله تعالى يوم يأتوننا وأحوال القيامة لابد فيها من المعرفة الضرورية وتجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ٠٠ فأما قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) فيحتمل أن يريد تعالى بقوله اليوم الدنيا وأحوال التكليف ويكون الضلال المذكور انما هو الذهاب عن الدين والعدول عن الطريق فاراد تعالى انهم فى الدنيا جاهلون وفى الآخرة عارفون بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل أن يريد تعالي باليوم يوم القيامة ويعنى تعالى بالضلال المعدول عن طريق الجنة ودار الثواب الى دار العقاب فكأنه قال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا غير انهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم الي العقاب ويعدل بهم عن طريق الثواب وقد روي معنى هذا التأويل عن جماعة من المفسرين فروي عن الحسن في قوله تعالى[أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا]قال يقول تعالى هم يوم القيامة سمعاء بصراء لكن الظالمون فى الدنيا سمعاء وبصراء ولكنهم فى ضلال عن الدين مبين ٠٠ وقال قتادة وابن زيد ذلك والله يوم القيامة سمعوا حين لم ينفعهم السمع وأبصروا حين لم ينفعهم البصر ٠٠ وقال أبو مسلم بن بحر فى تأويل هذه الآية كلاما جيداً فقال معنى أسمع بهم وأبصر ما أسمعهم وأبصرهم وهذا على طريق المبالغة فى الوصف يقول فهم يوم يأتوننا يوم القيامة سمعاء بصراء أي عالمون وهم اليوم فى دار الدنيا فى ضلال مبين أي جهل واضح قال وهذه الآية تدل على أن قوله (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) ليس معناه الآفة فى الأذن والعين والجوارح بل هو انهم لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون ما يسمعون ولا يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد نري أن الله تعالى جعل قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم فى ضلال) مقابلا لقوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أي ما أسمعهم وما أبصرهم فأقام تعالي السمع والبصر مقام الهدى اذ جعله بازاء الضلال المبين ٠٠ فأما أبو على بن عبد الوهاب فانه اختار في تأويل هذه الآية غير هذا الوجه

ونحن نحكي كلامه على وجهه قال وعنى بقوله اسمع بهم وابصر أى اسمعهم وابصرهم وبين لهم انهم اذا أتوا مع الناس الى موضع الجزاء سيكونون في ضلال عن الجنة وعن الثواب الذي يناله المؤمنون ٠٠ والظالمون الذين ذكرهم الله تعالى هم هؤلاء توعدهم بالعذاب في ذلك اليوم ٠٠ ويجوز ايضاً ان يكون عنى بقوله اسمع بهم وابصر اي اسمع الناس بهؤلاء الانبياء وابصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم ويقتدوا باعمالهم واراد بقوله تعالى لكن الظالمون لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يعنى يوم القيمة فى ضلالٍ عن الجنة وعن نيل الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التى استدركت على ابى على وينسب فيها الى الزلل لأن الكلام وان كان محتملا لما ذكره بعض الاحتمال من بُعْدٍ فان الاولى والاظهر فى معنى ما تقدم ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله تعالى (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) بعد ما تقدم لا يليق الا بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما اذا حمل اليوم على ان المراد به يوم القيمة على ان ابا على جعل قوله تعالى لكن الظالمون اليوم فى ضلالٍ مبين من صلة قوله تعالي اسمعهم وابصرهم وتأوله على ان المعنىّ به اعلمهم وابصرهم بانهم يوم القيمة فى ضلال عن الجنة والكلام يشهد بان ذلك لا يكون من صلة الاول وان قوله تعالى لكن استئناف لكلام ثان وما يحتاج ابو على الى هذا بل لو قال على ما اختاره من التأويل انه اراد تعالى اسمعهم وابصرهم يوم يأتوننا اى ذكرهم باهواله واعلمهم بما فيه ثم قال مستأنفا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لم يحتج الى ما ذكره وكان هذا اشبه بالصواب ٠٠ فاما الوجه الثاني الذى ذكره فباطل لان قوله تعالى اسمع بهم وابصر اذا تعلق بالانبياء الذين ذكرهم الله تعالي بقى قوله عز وجل يوم يأتوننا بلا عامل ومحال ان يكون ظرف لا عامل له فالاقرب والاولي ان يكون على الوجه الاول مفعولا ٠٠ ووجدت بعض من اعترض على ابى على يقول راداً عليه لو كان الامر على ما ذهب اليه ابو على لوجب ان يقول تعالى اسمعهم وابصرهم بغير باء وهذا الرد غير صحيح لأن الباء في مثل هذا الموضع غير منكر زيادتها وذلك موجود كثير فى القرآن والشعر وغيره قال الله تعالى (اقرأ باسم ربك الاعلي الذي ٠ وعينا يشرب بها عباد الله ٠ وهزى اليك بجذع النخلة ٠

وتلقون اليهم بالمودة) •• وقال الاعشى

ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيالِنا أرماحُنا

وقال امرؤ القيس

هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمارِيخَ مَيّالِ (١)

واظن ابا على انما شبهته بهذا الجواب لأنه وجد تاليا للآية لفظ امر وهو قوله تعالى (وانذرهم يوم الحسرة) فحمل الاول على الثاني والكلام لاتشتبه معانيه من حيث المجاورة بل الواجب ان يوضع كل منه حيث يقتضيه معناه •• [قال المرتضي] رضى الله عنه وجدت جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرتج على انسان فى خطبة وكلام قصد له فينبعث منه فى تلك الحال كلام هو احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون ان النسيان لا يكون الا عن حيرة وضلالة فكيف تجتمع معهما البراعة الثاقبة والبلاغة المأثورة مع حاجتهما الي اجتماع الفكرة وحضور الذكر وينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستعذب عمن حصر فى خطبة أو فى منطق الى انه موضوع مصنوع وليس الذى استبعدوه وانكروه ببعيد ولا منكر لان النسيان قد يخص شيئاً دون شئ ويتعلق بجهة دون جهة وهذا امر متعارف فلا ينكر ان ينسي الانسان شيئا قصده وعزم على الكلام فيه ويكون مع ذلك ذاكراً لغيره متكلما فيه بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب عن القصد يحميان القريحة ويوقدان الفكرة فيبعثان على احسن الكلام وابرعه ليكون ذلك هرباً من العى وانتفاء من الكنة •• ومن احسن ما روى من الكلام وابرعه في حال الحصر والانقطاع عن المقصود من الكلام ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا ابو حاتم قال المرزباني واخبرنا ابن دريد مرة اخرى وقال حدثنا السكن ابن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قالا صعد خالد بن عبد الله القسري

(١) وصدره * فلما تنازعنا الحديث واسمحت * فمعنى ـ اسمحت ـ سهلت ولانت ـ وهصرت بغصن ـ ثنيت غصنا والباء زائدة

يوماً المنبر بالبصرة فارتج عليه فقال أيها الناس ان الكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول يجئ احيانا ويذهب احياناً فيتسبب عند مجيئه سببه ويعز عند عزوبه طلبه وربما كوبر فابي وعولج فابطى وقال ابن الكلبي ربما طلب فابي وعولج فقسا والتأني لمجيئه أصوب من التعاطي لأبيه ثم نزل فماروى حصر ابلغ منه وقال ابو حاتم والترك لأبيه أفضل من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعذره اولى من طلبه عند تنكره وقد يختلج من الجرئ جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل •• واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني على وجه آخر قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطى قال كان خالد بن عبد الله القسري حين ولاه هشام بن عبد الملك يكثر الخطب والتباليغ فقدم واسط فصعد المنبر فحاول الخطبة فارتج عليه فقال ايها الناس ان هذا الكلام يجئ احياناً ويعزب احياناً فيعز عند عزوبه طلبه ويتسبب عند مجيئه سببه وربما كوبر فابى وعوسر فقسا والتأنى لمجيئه اسهل من التعاطى لأبيه وتركه عند تعذره احمد من طلبه عند تنكره وقد يرتج على اللسن لسانه ولا ينظره القول اذا اتسع ولا يتيسر اذا امتنع ومن لم تمكن له الخطوة فخليق ان تعن له النبوة . (١) واخبرنا المرزبانى قال اخبرنا ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني ابو العباس المنصورى قال صعد ابو العباس السفاح المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس ان اللسان بضعة من الانسان يكل اذا كل وينفسح بانفساحه اذا فسح ونحن امراء الكلام منا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه الا وانا لا نتكلم هذراً ولا نسكت الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر لكان من اخطب الناس وهذا الكلام يروي لداود ابن على •• وبهذا الاسناد عن محمد بن الصباح عن قثم بن جعفر بن سليمان عن ابيه قال اراد ابو العباس السفاح يوما ان يتكلم بامر من الامور بعد ما افضت الخلافة اليه

(١) وروي ابو على القالى قال حدثنا ابو بكر رحمه الله قال اخبرنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله القسرى يوما المنبر بالبصرة ليخطب فارتج عليه فقال ايها الناس ان الكلام ليجيء احيانا فيتسبب سببه ويعزب احيانا فيعز مطلبه فربما طولب فابى وكوبر فعصي فالتأني لمجيئه أصوب من التعاطي لأبيه

وكان فيه حياء مفرط فارتج عليه فقال داود بن علي بعد ان حمد الله واثني عليه ايها الناس ان امير المؤمنين الذى قلده الله سياسة رعيته عقل من لسانه عند ما يعهد من بيانه ولكل مرتق بهر حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ورغد عيشكم ٠٠ واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني عبد الله بن اسحق بن سلام قال صعد عثمان بن عفان رضي الله عنه المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عي نطقا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال ٠٠ وروى محمد بن يزيد النحوى هذا الكلام بعينه عن يزيد بن ابي سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال هن مخرجاتي من الشام استحسانا لكلامه ٠٠ وروي محمد بن يزيد النحوى قال بلغني ان رجلا صعد المنبر ايام يزيد وكان واليا على قوم فقال لهم ايها الناس اني ان لم اكن فارساً طباً بهذا القرآن فان معي من اشعار العرب ما ارجو ان يكون خلفا منه وما اساء القائل اخو البراجم حيث قال

وماعاجِلاتُ الطَّيْرِ يُدْنِينَ للفتى ... رَشادًا ولاَ مِنْ رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ [1]

وَرُبَّ أُمُورٍ لاَ تَضِيرُكَ ضَيْرَةً ... ولِلقَلْبِ مِنْ مَخْشاتِهِنَّ وجيبُ

ولاَ خيْرَ فِيمَنْ لاَ يُوَطِّنُ نفسَهُ ... على نائِباتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

(١) يقول اذا لم تعجل له طير سانحة فليس ذلك بمبعد خيراً له عنه ولا اذا ابطأت خاب فعاجلها لا يأتيه بخير وآجلها لا يدفع عنه انما له ما قدر له ٠٠والعرب تزجر على السانح وتتبرك به وتكره البارح وتتشاءم به وبعضهم يعكس والسانح ماولاك مياسره فامكنك رميه والبارح ماولاك ميامنه فلا يمكنك رميه الا ان تنحرف له ٠٠ وعاجلات الطير هي ان يخرج الانسان من منزله اذا اراد ان يزجر الطير فما مر به في اول مايبصر فهو عاجلات الطير وان ابطأت عنه وانتظرها فقد رائث اى ابطأت والاول عندهم محمود والثاني مذموم يقول ليس النجح بان يعجل الطائر الطيران كما يقول الذين يزجرون الطير ولا الخيبة في ابطائها وهذا رد علي مذهب الاعراب والابيات لضابئ بن الحارث

وفي الشَّكِّ تَفْرِيطٌ وفي الحَزْمِ قُوَّةٌ ... وَيُخْطِي الفَتَي في حَدْسِهِ ويُصِيبُ

فقال رجل من كلب ان هذا المنبر لم ينصب للشعر بل ليحمد الله تعالى ويصلى على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام وللقرآن فقال أمالو أنشدتكم شعر رجل من كلب لسركم فكتب الي يزيد بذلك فعزله وقال قد كنت أراك جاهلا أحمق ولم أحسب ان الحمق بلغ بك الي هذا المبلغ فقال له أحمق مني من ولاني ٠٠ وكان يزيد بن المهلب ولي ثابت قطنة بعض قرى خراسان فلما صعد المنبر حصر فنزل وهو يقول

فإلاَّ أكُنْ فِيكمْ خَطِيبًا فإنَّنِي ... بِسَيْفِي اذَا جَدَّ الوَغَي لخَطِيبُ

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال

أَبا العلاء لقَدْ لاَقَيْتَ مُعْضِلَةً ... يوْمَ العَرُوبَةِ مِنْ كَرْبٍ وتَخْنِيقِ

أَما القُرَانُ فلاَ تُهْدَى لِمُحْكَمِهِ ... ولم تُسَدَّدْ مِنَ الدُّنْيا بِتَوْفِيقِ

لمَّا رَمَتْكَ عيُونُ الناسِ هِبْتَهُمْ ... وكِدْتَ تَشْرَقُ لمَّا قُمْتَ بالرِّيقِ

تلوِي اللِّسانَ إذَا رُمْتَ الكلاَمَ بِهِ ... كما هوَى زَلِقٌ مِنْ جانِبِ النِّيقِ [1]

(١) ـ وكان سبب هجو حاجب الفيل والفيل لقب لقبه به ثابت قطنة واسم أبيه ذبيان المازني وقيل معدان وقيل انه الملقب الفيل لأنه كان يروض فيلا للحجاج ٠٠ ان حاجباً دخل على يزيد بن المهلب فلما مثل بين يديه أنشده

اليك امتطيت العيس تسعين ليلة ... أرجي ندا كفيك يابن المهلب

وأنت امرؤ جادت سماه بيمنه ... على كل حي بين شرق ومغرب

فجد لى بطرف أعوجى مشهر ... سليم الشظي عبل القوائم سلهب

سبوح طموح الطرف يستن مرجم ... أمر كامرار الرشاء المشذب

طوي الضمر منه البطن حتى كأنه ... عقاب تدلت من شماريخ كبكب

تبادر جنح الليل فرخين أقويا ... من الزاد من قفر من الأرض مجدب

فلما رأت صيداً تدلت كأنها ... دلاه تهاوي مرقباً بعد مرقب

•• وروى ان بعض خلفاء بنى العباس وأظنه الرشيد صعد المنبر ليخطب فسقطت على وجهه ذبابة فطردها فرجعت فحصر وارتج عليه فقال أعوذ بالله السميع العليم يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية الى قوله ضعف الطالب والمطلوب ثم نزل فاستحسن ذلك منه •• ومما يشا كل هـذه الحـكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبـد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط ولا زميناً ولا ركيناً ولا وقوراً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذى ضبط وملك وكان يصلى الغـداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحرك رجلا عن رجل ولا يعتمد على على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبنى أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة العصر ثم يرجع الي مجلسه فـلا يزال كذلك حتى يقوم الى المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه بل كثيراً ما يكون ذلك اذا بقى عليـه من قراءة العهد والشروط والوثائق ثم يصلى العشاء وينصرف لم يقم في

فشكت سواد القلب من ذئب قفرة ... طويل القري عاري العظام معصب

وسابغة قد أتقن القين صنعها ... وأسمر خطي طويل مجرب

وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهاب متى يلق الضريبة يقضب

وقل لي اذا ما شئت فى حومة الوغى ... تقدم أو اركب حومة الموت اركب

فانى امرؤ من عصبة مازنيـة ... نمانى أب ضخم كريم المركب

فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له قد عرفت ما شرطت لنا علي نفسك فقال اصلح الله الامير حجتى بينة وهي قول الله عز وجل (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) فقال ثابت قطنة ما أعجب ما وفدت به من بلدك فى تسعين ليلة مدحت الامير ببيتين وسألته حوائجك فى عشرة أبيات وختمت شعرك فى بيت تفخر عليه فيه حتى اذا أعطاك ما أردت حدت عما شرطت له على نفسك فأكذبتها حتي كأنك كنت تخدعه فقال له يزيد مه يا ثابت فانا لا نخدع ولكن نخادع وسوغه ما اعطاه وأمر له بألفى درهم ولج حاجب يهجو ثابتاً

طول تلك الولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب وكذلك كان شأنه فى طوال الايام وفى قصارها وفي صيفها وشتائها وكان مع ذلك لا يحرك يداً ولا يشير برأسه وليس الا أن يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالـكلام اليسير المعانى الـكثيرة فبينما هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليـه وفى السماطين بين يديه اذ سقط على أنفه ذباب فأطال السكوت والمـكث ثم تحول الى موق عينه فرام الصبر فى سقوطه على الموق وعلى عضته ونفاذ خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يغضي وجهه أو يذب بأصـبعه فلما طال ذلك من الذباب وأوجعه وأحرقه وقصد الي مكان لا يحتمل التغافل عنه أطبق جفنه الاعلي على جفنه الاسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى أن والى بين الاطباق والفتح فتنحى ريثما سـكن ثم عاد الى موقه ثانياً أشد من مرته الاولى فغمس خرطومه في مكان قد كان أوهاه قبـل ذلك وكان احتماله أضعف وعجزه عن الصبر فى الثانية أقوي فحرك أجفانه وزاد فى شـدة الحركة فى تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد الي موضعه فما زال ملحاً عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بداً من أن يذب عن عينه بيده ففعل وعيون القوم اليه يرمقونه كأنهم لا يرونه فتنحى عنه بمقدار ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضـعه فألجاه الى أن ذب عن وجهه بطرف كمه ثم ألجاه الي أن تابع بين ذلك وعلم أن ذلك كله بعين من حضر من أمنائه وجلسائه فلما نظروا اليه قال أشهد ان الذباب ألج من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقـد علمت انى كنت عند الناس من أرصن الناس وقد غلبنى وفضحنى أضعف خلق الله ثم تلا قول الله تعالى (ضعف الطالب والمطلوب)

مجلس آخر ٥٩

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (واذ نجيناكم من آل فرعون

يسومونكم سوم العذاب ـ الى قوله تعالى ـ بلاء من ربكم عظيم) فقال ما تنكرون أن يكون في هذه الآية دلالة على اضافة الافعال التي تظهر من العباد الي الله تعالى من وجهين ٠٠ أحدهما انه قال تعالى بعد ما تقدم ذكره من أفعالهم ومعاصيهم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه ٠٠ والثاني انه أضاف نجاتهم من آل فرعون اليه فقال تعالى واذ أنجيناكم ومعلوم انهم هم الذين ساروا حتى نجوا فيجب ان يكون ذلك السير من فعله على الحقيقة حتى تصح الاضافة حينئذ ٠٠ الجواب قلنا أما قوله تعالى وفي ذلكم فهو اشارة الى ما تقدم ذكره من انجائه لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم انه معطوف على ما تقدم من قوله تعالى (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي) الآية والبلاء ههنا الاحسان والنعمة ولا شك في ان تخليصه لهم من ضروب المكاره التي عددها الله نعمة عليهم واحسان اليهم ٠٠ والبلاء عند العرب قد يكون حسنا وقد يكون سيئاً قال الله تعالى (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً) ويقول الناس في الرجل اذا أحسن القتال والثبات في الحرب قد أبلى فلان ولفلان بلاء والبلوى أيضاً قد يستعمل في الخير والشر الا ان أكثر ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل والخير والبلوى المقصورة في السوء والشر فقال قوم أصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر لان الاختبار والامتحان قد يكون في الخير والشر جميعاً كما قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) يعني اختبرناهم وكما قال تعالي (ولنبلونكم بالخير والشر فتنة) فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الاكثر في الشر أن يقال بلوته أبلوه بلاً وفي الخير أبلوته أبليه إبلاء وبلاء ٠٠ وقال زهير في البلاء الذي هو الخير

جَزَي اللهُ بالإحسانِ مافعلاَ بكُمْ ... وأَبْلاَهُما خيرَ البَلاَءِ الذِي يَبْلُو

فجمع بين اللغتين لانه أراد أنعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر بها عباده وكيف يجوز أن يضيف تعالي ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الابناء وغيره الى نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو قد عدّ تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا أن يكون انما نجاهم من فعله تعالى بفعله وهذا مستحيل لا يعقل

ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله ذلكم الى ما حكاه عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى ان في تخليته بين هؤلاء وبينكم وتركه منعهم من ايقاع هذه الافعال بكم بلاء من ربكم عظيم أي محنة واختبار لكم والوجه الاول أقوى وأولى وعليه جماعة من المفسرين ٠٠ وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن في قوله تعالى (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) قال نعمة عظيمة اذ أنجاكم من ذلك وقد روى مثل ذلك عن ابن عباس والسدى ومجاهد وغيرهم ٠٠ فأما إضافة النجاة اليه وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلو دل على ما ظنوه لوجب اذا قلنا إن الرسول عليه الصلاة والسلام أنقذنا من الشرك وأخرجنا من الضلالة الي الهدى ونجانا من الكفر أن يكون فاعلا لأفعالنا وكذلك قد يقول أحدنا لغيره أنا نجيتك من كذا وكذا واستنقذتك وخلصتك ولا يريد انه فعل بنفسه فعله والمعني في ذلك ظاهر لأن ما وقع بتوفيق الله تعالي ودلالته وهدايته ومعونته وألطافه قد يصح اضافته اليه فعلي هذا صحت اضافة النجاة اليه تعالى ٠٠ ويمكن أيضاً أن يكون مضيفاً لها اليه تعالى من حيث ثبط عنهم الاعداء وشغلهم عن طلبهم وكل هذا يرجع الى المعونة فتارة تكون بأمر يرجع اليهم وتارة بأمر يرجع الى أعدائهم ٠٠ فان قيل كيف يصح أن يقول (واذ أنجيناكم من آل فرعون) فيخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نجا من شره ٠٠ قلنا ذلك معروف مشهور في كلام العرب وله نظائر لأن العربي قد يقول مفتخراً على غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريد أن قومي فعلوا ذلك بقومك ٠٠ وقال الاخطل يهجو جرير بن عطية

ولقَدْ سَمالَكُمُ الهُذَيْلُ فنالَكمْ ... بإِرَابَ حيثُ نُقَسِّمُ الأَنْفالاَ
في فيْلَقٍ يَدْعُو الأَرَاقِمَ لم تكُنْ ... فُرْسانُهُ عُزْلاً ولاَ أَكْفالاَ

ولم يلحق جرير الهذيل ولا أدرك اليوم الذي ذكره غير انه لما كان يوم من أيام قوم الأخطل على قوم جرير أضاف الخطاب اليه والي قومه فكذلك خطاب الله تعالى بالآية انما توجهت الى أبناء من نجي من آل فرعون وأخلافهم والمعنى واذ نجينا آباءكم وأسلافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله

عنه ومن أحسن الشعر فى تعود الضيافة والانس بها والاستمرار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي

إذَا مابَخيلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلاَبُهُ ... وشَقّ على الضَّيْفِ الغَرِيبِ عقُورُها
فإِنِّي جَبَانُ الكَلْبِ بِيتي مَوْطَأٌ ... جوَادٌ إذَاما النَّفْسُ شَحّ ضَمِيرُها
وإنَّ كلاَبِي مُذْ أُقِرَّتْ وَعوِّدَتْ ... قليلٌ علي من يَعْتَرِينا هَرِيرُها

أراد بقوله ـ على من يعترينا هريرها ـ انها لاتهر جملة ولذلك نظائر كثيرة (١) ومثله قوله تعالى (فقليلا مايؤمنون) ومثل قوله فاني جبان الكلب معناً ولفظا قول الشاعر

ومَا يَكُ فِيَّ من عيبٍ فإنِّي ... جَبانُ الكَلْبِ مهزُولُ الفَصِيلِ

وانما أراد انى أوثر الضيف بالالبان ففصالى مهازيل ٠٠ ومثل اللفظ والمعنى قول أبي وجرة

---

(١) قوله ولذلك نظائر ٠٠ يريد ان قليلا وقليلة يردان للنفى وهما فى ذلك تابعان لقل وأقل يقال قل رجل يقول ذلك الا زيد بالضم وأقل رجل يقول ذلك الا زيد معناهما مارجل يقوله الاهو فالقلة فيه للنفى المحض ٠٠ وقال ابن جنى لما ضارع المبتدأ حرف النفى بقّوا المبتدا بلا خبر ٠٠ وقد عقد ابن مالك فصلا في التسهيل لهذه الكلمات ونصه فصل قد يقوم مايفعل أحد أقل ملازما للابتداء والاضافة الى نكرة موصوفة بصفة مغنية عن الخبر لازم كونها فعلا أو ظرفا وقد تجعل خبراً ولا بد من مطابقة فاعلها للنكرة المضاف اليها ويساوى أقل المذكور قل رافعاً مثل المجرور ويتصل بقل ما كافة عن طلب الفاعل فيلزم فى غير ضرورة مباشرتها الافعال وقد يرادبها حينئذ التقليل حقيقة وقد يدل على النفى بقليل وقليلة فقوله ملازما للابتداء أي فلا تقول كان أقلّ رجل يقول ذلك لأنه لما ناب مناب النفى كان له الصدر كالنفى وشمل قوله نكرة مايقبل أل كرجل وما لايقبلها نحو أقل من يقول ذلك والجملة الواقعة بعد هذه النكرة صفة لها فى موضع جر والخبر محذوف أي كائن وليست خبر لمطابقتها النكرة نحو أقل امرأة تقول ذلك

وآلُ الزُّبيرِ بَنُو حرّةٍ ... مرَوْا بالسيُوفِ الصدُورَ الجِنافا
يَمُوتُونَ والقتلُ من دأْبِهِمْ ... وَيَغشَوْنَ يوْمَ السيُوفِ السِّيافا
وَأَجبَنُ من صافِرٍ كلبُهُمْ ... وإنْ قذَفتهُ حَصاةٌ أَضافا

يقول ادركوا بسيوفهم ثاراتهم فكأنهم شفوا وغر قلوبهم وأزالوا ماكان فيها من الاحقاد ومعنى ـ مروا ـ استخرجوا كما تمرى الناقة اذا أردت أن تحلبها الندر ـ والجانف ـ المائل ٠٠ ثم قال وان مات بعضهم على فراشه فان أكثرهم يموت مقتولا لشجاعتهم واقدامهم فلذلك قال والقتل من دأبهم وجعل كلبهم جبانا لكثرة من يغشاهم ويطرقهم من النزال والاضياف فقد ألفتهم كلابهم وأنست بهم فهي لاتنبحهم وقيل أيضاً انها لاتهر عليهم لانها تصيب مما ينحر لهم وتشاوكهم فيه ٠٠ ومعني ـ وان قذفته حصاة اضافا ـ أى أشفق وهذا تأكيد لجبنه ويقال أضاف الرجل من الامر اذا أشفق منه ٠٠ ومعني ـ أجبن من صافر كلبهم ـ قد تقدم ذكره فى الامالي ٠٠ ومثله فى المعني

يغْشَوْنَ حتَّي ماتَهِرُّ كِلاَبُهُمْ ... لاَيَسأَلونَ عنِ السوَادِ المقْبِلِ (١)

---

[١] هذا البيت من قصيدة لحسان بن ثابت رضى الله عنه يمدح بها جبلة بن الايهم الغسانى وقيل عمرو بن الحارث الاعرج ولكل من الروايتين قصة وعلى أنه عمرو قيل ان حسان لما قدم عليه اعتاص وصوله اليه ثم دخل عليه فوجد عنده النابغة الذبياني وعلقمة الفحل فقال له عمرو يابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك فى غسان فارجع فاني باعث اليك بصلة سنية ولا أحتاج الي الشعر فانى أخاف عليك هذين السبعين أن يفضحاك وفضيحتك فضيحتى وأنت والله لاتحسن أن تقول

دقاق النعال طيب حجراتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب

فلما أنشده حسان لم يزل يزحل عن موضعه سروراً وهو يقول هذا وأبيك الشعر لامايعللاني به منذ اليوم هذه والله البتارة التى بترت المدائح هات له ياغلام ألف دينار مرجوحة وهي التى في كل دينار منها عشرة دنانير ثم قال لك على في كل سنة مثلها ٠٠ ومطلع القصيدة

وقال المرار بن المنقذ العدوي

أَعرِفُ الحَقَّ ولاَ أُنكِرُهُ   وكِلاَبِي أُنُسٌ غيرُ عُقُرْ

لاَ ترَى كَلبِيَ إلاَّ آنِساً   إنْ أَتَى خابِطُ ليلٍ لم يَهِرْ

كَثُرَ النَّاسُ فما يُنكِرُهُمْ   مِنْ أَسِيفٍ يبتَغِي الخَيرَ وحُرْ

ـ الاسيف ـ العبد ههنا •• وقال آخر

إلى ماجِدٍ لاَ ينبَحُ الكَلْبُ ضَيفَهُ   وَلاَ يتأَدَّاه احتِمالُ المَغارِمِ

معنى ـ يتأداه ـ يثقله وأراد أن يقول يتأوده فقلب •• وقال ابن هرمة

واذَا أَتانا طارِقٌ متنَوِّرٌ   نبحَتْ فدَلَّتْهُ علَى كِلاَبِي

وفَرِحْنَ إذْ أَبصَرْنَهُ فلَقِينَهُ   يَضرِبنَهُ بِشَرَاشِرِ الأَذنابِ[1]

وانما تفرح به لأنها قد تعودت اذا نزلت الضيوف أن ينحر لهم فتصيب من قراهم ومثله له

ومُستَنبِحٍ تَستَكشِطُ الرِّيحُ ثوبَهُ   لِيَسقُطَ عنهُ وهُوَ بالثَّوبِ مُعْصِمُ

عَوَى في سَوَادِ اللَّيلِ بعدَ اعتِسافِهِ   لِيَنبَحَ كَلبٌ أوْ لِيَفزَعَ نُوَّمُ

فَجاوبَهُ مُستَسمِعُ الصَّوتِ لِلقِرَى   لهُ مَعَ إتيانِ المُهِبِّينَ مَطعَمُ

يَكادُ إذَا ما أَبصَرَ الضَّيفَ مُقبِلاً   يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعجَمُ

أراد بقوله ـ فجاوبه مستسمع الصوت ـ انه جاوبه كلب ـ والمهبون ـ الموقظون له ولأهله وهم الاضياف وانما كان له معهم مطعم لأنه ينحر لهم ما يصيب منه •• وأراد بقوله ـ

أسألت رسم الدار أم لم تسأل   بين الجوابي فالبضيع فحومل

ومنها

لله در عصابة نادمتهم   دهراً بجلق في الزمان الاول

بيض الوجوه كريمة أحسابهم   شم الانوف من الطراز الاول

(١) شرشر الكلب اذا ضرب بذنبه وحركه للانس

يكلمه من حبه وهو أعجم ـ بصبصته وتحريكه ذنبه •• وأما قوله ـ ليفزع نوم ـ فانما أراد ليغيث نوم يقال فزعت لفلان اذا أغثته •• ومعنى ـ عوى في سواد الليل ـ ان العرب تزعم ان سائر الليل اذا أظلم عليه وآدلهم فلم يستبن محجة ولم يدر أين الحي وضع وجهه على الارض وعوى عواء الكلب ليسمع ذلك الصوت الكلاب ان كان الحي قريباً منه فتجيبه فيقصد الابيات وهذا معنى قوله أيضاً ومستنبح أى ينبح نبح الكلاب ••

وقال الفرزدق

وَدَاعٍ بلَحنِ الكَلبِ يَدعُو وَدُونَهُ   مِنَ اللَّيلِ سَجفاً ظُلمَةٍ وغُيُومُها

دَعا وَهُوَ يَرجُو أنْ يُنبَّهَ إذْ دَعا   فتًى كابنِ لَيلَى حِينَ غارَتْ نُجُومُها

ـ ابن ليلى ـ يعنى أباه غالباً

بَعَثْتُ لهُ دَهْمَاءَ لَيسَتْ بِلَقحَةٍ   تَدُرُّ إذَا ما هَبَّ نَحساً عَقِيمُها

معنى ـ بعثت له دهماء ـ أى رفعتها على أثافيها ويعنى بالدهماء القدر ـ واللقحة ـ الناقة وأراد أن قدره تدر اذا هبت الريح عقيما لامطر فيها

كأَنَّ المَحالَ الغُرَّ في حُجُرَاتِها   عَذَارَي بَدَتْ لمَّا أُصِيبَ حَمِيمُها

أراد أن قطع اللحم فيها لاتستتر بشىء منها كالاتستتر العذارى اللواتى أصيب حميمهن وظهرن حواسر

غَضُوبا كحَيزُومِ النَّعامَةِ احمَشَتْ   بأَجوَازِ خُشْبٍ زَالَ عنها هَشِيمُها

ـ الاجواز ـ الاوساط وأوسط الخشب أصلبه وأبقى ناراً

مُحَضَّرَةً لاَ يُجعَلُ السِّترُ دُونَها   إذَا المُرْضِعُ العَوجاءُ جالَ بَرِيمُها

ـ البريم ـ الحقاب وانما يجول من الهزال والجهد والطوي ـ والعوجاء ـ التى قد اعوجت من الطوى •• وقال الأخطل فى الضيف

دَعانِي بِصَوتٍ واحِدٍ فأَجابَهُ   مُنادٍ بلاَ صَوتٍ وآخَرُ صَيِّتُ

ذكر ضيفا عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله ـ بصوت واحد ـ

وقوله — فأجابه منادٍ — يعني ناراً رفعها له فرأى سناها فقصدها — والآخر الصيت — الكلب لأنه أجاب دعواه ٠٠ ومثله

وَسارِي ظَلَامٍ مُقْفَعِلٍّ وهَبْوَةٍ ... دَعَوْتُ بِضَوْءٍ ساطِعٍ فاهْتَدَى لِيَا

يعني ناراً رفعها ليقصده طراق الليل — والمقفعل — المنقبض من شدة البرد ٠٠ وأنشد محمد ابن يزيد

ومُسْتَنْبِحٍ تَهْوِي مَساقِطُ رَأْسِهِ ... إلي كلِّ شَخْصٍ فهوَ للصَّوْتِ أَصْوَرُ

حَبِيبٌ إلي كَلْبِ الكِرامِ مَناخُهُ ... بَغِيضٌ إلي الكَوْماءِ والكَلْبُ أَبْصَرُ

دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إلي القِرَى ... فأَسْرَى يَبُوعُ الأَرْضَ شَقْراءُ تَزْهَرُ (١)

معنى — أصور — أي مائل أراد أنه يميل رأسه الي كل شخص يخيل له يظنه انسانا ٠٠

(١) الابيات من قطعة في غاية الحسن أردنا الاتيان بها مرتبة وهي

ومستنبح تهوي مساقط رأسه ... الى كل شخص فهو للسمع أصور

يصفقه أنف من الريح بارد ... ونكباء ليل من جمادي وصرصر

حبيب الى كلب الكريم مناخه ... بغيض الي الكوماء والكلب أبصر

حضأت له ناري فابصر ضوءها ... وما كان لولا حضأة النار يبصر

دعته بغير اسم هلم الي القرى ... فأسرى يبوع الارض والنار تزهر

فلما أضاءت شخصه قلت مرحباً ... هلم وللصالين بالنار أبشروا

فجاء ومحمود القري يستفزه ... اليها وداعي الليل بالصبح يصفر

تأخرت حتى كدت لم تصطفي القرى ... على أهله والحق لايتأخر

وقمت بنصل السيف والبرك هاجد ... بهازره والموت بالسيف ينظر

فأعضضته الطولي سناما وخيرها ... بلاء وخير الخير مايتخير

فأوفضن عنها وهي ترغو حشاشة ... بذي نفسها والسيف عريان أحمر

فباتت رحاب جونة من لحامها ... وفوها بما في جوفها يتغرغر

ومعنى — حبيب الى كلب الكرام — المعنى الذي تقدم ٠٠ ومعنى — بغيض الي الكوماء — الى الناقة لأنها تنحر له ٠٠ وقوله — دعته شقراء — بغير اسم يعني ناراً رأى ضوءها فقصدها فكأنها دعته ٠٠ وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف

فقلتُ لِقَيْنَيَّ ارْفَعاها وحَرِّقا ... لَعَلَّ سَنا نارِي بآخَرَ تَهْتِفُ

وفي معنى قوله بغيض الى الكوماء ٠٠ قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم

وأبيكَ خيرًا إنَّ إبْلَ مُحمَّدٍ ... عُزْلٌ تَناوحُ أنْ تَهُبَّ شَمالُ

وإذا رَأَيْنَ لدى الفناءِ غَرِيبَةً ... ذَرَفَتْ لهنَّ مِنَ الدُّمُوعِ سِجالُ

وتَرَى لها زَمَنَ الشِّتاءِ علي الثَّرَى ... رَخَمًا وما بِحيالِهِنَّ فِصالُ

أراد وأبيك الخير فلما طرح الالف واللام نصب — والعزل — التي لا سلاح معها وسلاح الإبل سمنها وأولادها وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها اذا رأى سمنها وحسن حسانها ورأي أولادها تتبعها نفس بها على الاضياف فامتنع من نحرها فلما كان ذلك صاداً عن الذبح ومانعاً منه جرى مجرى السلاح لها فكأنه يقول هذه الابل وان كانت ذوات سلاح من حيث كانت سخيمة سمينة فهي كالعزل اذ كان سلاحها لايغني عنها شيئاً ولا يمنع من عقرها ٠٠ ومعنى — تناوح — تقابل بعضها بعضاً أي هن مدفآت بأسلنها وأوبارها لاتبالي بهبوب الشمال ولايدخل بعضها في بعض من البرد ٠٠ وقوله — وإذا رأين لدى الفناء غريبة — أي اذا نزل ضيف فعقل ناقته التي جاء عليها وهي الغريبة علمن انه سينحر بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن ٠٠ وقوله — وترى لها زمن الشتاء على الثرى رخماً — فقد قيل فيه انه أراد به أن يهب فصالهن فتبقى ألبانهن على الارض كهيئة الرخم ٠٠ وحكي عن ابن عباس انه قال الرخم قطع العلق من الدم وعندي ان المعنى غير هذين جميعاً وانما أراد انها تنحر وتعقر فتسقط الرخم على موضع عقرها وبقايا دمائها وأسلائها فهذا معنى قوله لا ما تقدم ٠٠ وقال آخر في معنى سلاح الابل يمدح بني عوف بن غالب بن عبس

جَزَي اللهُ عني غالباً خيرَ ما جزَى ... إذا حدَثانُ الدهرِ نابت نوائبُهْ[1]

إذا أخذت بُزْلُ المخاضِ سلاحَها ... تجرَّدَ فيها مُتْلِفُ المالِ كاسبهْ

أراد أن سمنها وحسنها وتمامها لا يمنعه من عقرها للاضياف •• ومثله

إذا البقلُ في اصلابِ شَوْلِ ابن مِسْهرٍ ... نمى لم يزدهُ البقلُ إلاَّ تكرُّما

إذا أخذتْ شَوْلُ البخيلِ رماحَها ... وحمى برِماحِ الشَّوْلِ حتَّى تحطَّما

وقوله ـ أخذت رماحها ـ من المعنى المتقدم •• وقال ابن مسكين الدارمي

فقُمْتُ ولمْ تأخذْ إليَّ رِماحَها ... عِشاري ولمْ أرجبْ عراقيبَها عقرَا

ـ أرجب ـ أكبر ذلك ولم يعظم على وسمي رجب رجباً من ذلك لأنه شهر معظم •• وقالت ليلى الاخيلية

ولاَ تأخذُ الكُومُ الجِلادُ سلاحَها ... لِتَوْبَةَ في قُرِّ الشِّتاءِ الصنابرِ

ومثله

لاَ أخونُ الصَّدِيقَ ما حَفِظَ العَهْـــدَ ولاَ تأخذُ السِّلاَحَ لِقاحِي

وقال النمر بن تولب

أزْمانَ لم تأخذْ إليَّ سلاحَها ... إبلي بِجُلَّتِها ولاَ أبْكارِها

ابتزُّها ألبانَها ولُحُومَها ... فأُهينُ ذاكَ لِضَيْفِها ولِجارِها

وقال المضرس بن ربعي الاسدى

وما نَلْعَنُ الأَضْيافَ إنْ نَزَلُوا بِنا ... ولاَ يمنعُ الكَوْماءَ مِنَّا نَصيرُها

---

[1] •• ويروى «جزى الله خيراً غالباً من عشيرة الخ وبين البيتين بيتان وهما

فكم دافعوا من كربة قد تلاحمت ... على وموج قد علتني غواربه

إذا قلت عودوا عاد كل شمردل ... أشم من الفتيان جزل مواهبه

ومعنى ـ لا نلعنهم ـ أي لا نبعدهم واللعين البعيد ـ ونصيرها ـ ههنا ما يمنع من عقرها من حسن وتمام وولد وما جرى ذلك المجرى والنصير والسلاح في المعنى واحد

مجلس آخر ٦٠

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) •• فقال ما تنكرون أن يكون ظاهر هذه الآية يقتضى أن يكون جميع ما نفعله يشاؤه ويريده لأنه تعالى لم يخص شيئاً من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم أن تقولوا انه خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام خاصة وهو لا يفعل الا مايشاء الله تعالى لانه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل الصغائر عند أكثركم فلا بد من أن يكون فى أفعاله تعالى ما لا يشاؤه عندكم ولأنه أيضاً تأديب لنا كما انه تعليم له عليه الصلاة والسلام ولذلك يحسن منا أن نقول ذلك فيما نفعله •• الجواب قلنا تأويل هذه الآية مبنى على وجهين •• أحدهما أن يجعل حرف الشرط الذى هو إن متعلقاً بما يليه وبما هو متعلق به في الظاهر من غير تقدير محذوف ويكون التقدير ولا تقولن انك تفعل الا ما يريد الله تعالى وهذا الجواب ذكره الفراء وما رأيته الاله ومن العجب تغلغله الى مثل هذا مع انه لم يكن متظاهراً بالقول بالعدل وعلى هذا الجواب لا شبهة فى الآية ولا سؤال للقوم عليه وفى هذا الوجه ترجيح على غيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ولم نقدر محذوفاً وعلى كل جواب مطابق الظاهر ولم يبن على محذوف كان أولى •• والجواب الآخر أن نجعل أن متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن تقول أن يشاء الله لأن من عاداتهم اضمار القول فى مثل هذا الموضع واختصار الكلام اذا طال وكان في الموجود منه دلالة على المفقود وعلى هذا الجواب يحتاج الى الجواب عما سألنا عنه فنقول هذا تأديب من الله تعالى لعباده وتعليم لهم أن يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتي يخرج من حد القطع ولا شبهة في أن ذلك مختص بالطاعات وان الافعال

القبيحة خارجة عنه لأن أحداً من المسلمين لايستحسن أن يقول اني أزنى غداً ان شاء الله أوأقتل مؤمناً وكلهم يمنع من ذلك أشد المنع فعلم سقوط شبهة من ظن ان الآية عامة فى جميع الأفعال •• وأما أبو على محمد بن عبد الوهاب فانه ذكر في تأويل هذه الآية مانحن ذا كروه بعينه قال انما عنى بذلك ان من كان لايعلم انه يبقى الى غدٍ حياً فلا يجوز أن يقول انى سأفعل غداً كذا وكذا فيطلق الخبر بذلك وهو لايدري لعله سيموت ولايفعل ما أخبر به لأن هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره على ماأخبر به المخبر فهو كذب واذا كان المخبر لايأمن أن لايوجد مخبره لحدوث أمر من فعل الله تعالى نحو الموت أوالعجز أو بعض الامراض أولا يوجد ذلك بأن يبدو له في ذلك فلا يأمن من أن يكون خبره كذبا في معلوم الله عز وجل واذا لم يأمن ذلك لم يجز أن يخبربه ولا يسلم خبره هذامن الكذب الا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالي فاذا قال اني صائر غداً الي المسجد إن شاء الله فاستثنى في مصيره بمشيئة الله تعالى أمن أن يكون خبره في هذا كذبا لأن الله تعالى إن شاء أن يلجئه الى المصير الى المسجد غداً ألجأه الي ذلك وكان المصير منه لامحالة واذا كان ذلك على ماوصفنا لم يكن خبره هذا كذبا وان لم يوجد منه المصير الى المسجد لأنه لم يوجد مااستثناه فى ذلك من مشيئة الله تعالى •• قال وينبغى أن لايستثنى مشيئة دون مشيئة لأنه ان استثنى فى ذلك مشيئة الله بمصيره الي المسجد على وجه التعبد فهو أيضاً لايأمن أن يكون خبره كذبا لأن الانسان قد يترك كثيراً مما يشاؤه الله تعالى منه ويتعبده به ولو كان استثناء مشيئة الله لأن يبقيه ويقدره ويرفع عنه الموانع كان أيضاً لايأمن أن يكون خبره كذبا لأنه قد يجوز أن لايصير الى المسجد مع تبقية الله تعالى له قادراً مختاراً فلا يأمن من الكذب فى هذا الخبر دون أن يستثني المشيئة العامة التى ذكرناها فاذا دخلت هذه المشيئة فى الاستثناء فقد أمن من أن يكون خبره كذبا اذا كانت هذه المشيئة متى وجدت وجب أن يدخل المسجد لامحالة قال وبمثل هذا الاستثناء يزول الحنث عمن حلف فقال والله لأصيرن غداً الى المسجد ان شاء الله تعالى لأنه ان استثنى على سبيل مابينا لم يجز أن يحنث فى يمينه ولوخص استثناءه بمشيئة بعينها ثم كانت ولم يدخل معها الى المسجد حنث فى يمينه •• وقال غير أبى على ان المشيئة المستثناة ههنا هي مشيئة المنع والحيلولة

فكأنه قال ان شاء الله يخليني ولا يمنعني وفي الناس من قال القصد بذلك أن يقف الكلام على جهة القطع وان لم يلزم به ماكان يلزم لولا الاستثناء ولاينوى فى ذلك الجاء ولاغيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصرى •• واعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوهاً مختلفة فقد يدخل على الايمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري مجراها من الاخبار فاذا دخل ذلك اقتضى التوقيف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم مايلزم به وازالته عن الوجه الذى وضع له ولذلك يصير ماتكلم به كأنه لاحكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثني في الماضى فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبراً قاطعاً أو يلزمه حكم وانما لم يصح دخوله فى المعاصى على هذا الوجه لأن فيه اظهاراً للانقطاع الى الله تعالي والمعاصي لايصح ذلك فيها وهذا الوجه أحد مايحتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء فى الكلام فيراد به اللطف والتسهيل •• وهذا الوجه يختص بالطاعات ولهذا الوجه جرى قول القائل لاقضين غداً ماعلي من الدين ولأصلين غداً ان شاء الله مجرى أن يقول انى أفعل ذلك ان لطف الله تعالى فيه وسهله فعلم ان المقصد واحد وانه متى قصد الحالف فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه هذا الفعل أن يكون حانثاً وكاذبا لأنه إن لم يقع علمنا انه لم يلطف له فيه لأنه لالطف له وليس لأحد أن يعترض هذا بأن يقول الطاعات لابد فيها من لطف وذلك لان فيها مالالطف فيه جملة فارتفاع ماهذه سبيله يكشف عنه انه لالطف فيه وهذا الوجه لايصح أن يقال فى الآية انه لايخص الطاعات والآية تتناول كلمالم يكن قبيحاً بدلالة اجماع المسلمين على حسن الاستثناء ماتضمنه في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ماهي عليه من الاحوال وهذا هوالمراد به اذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن فى الآية الا أنه يعترضه ماذكره أبو على مما حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشيئة أيضاً فى الكلام وان لم يرد به فى شئ مما تقدم بل يكون الغرض اظهار الانقطاع الى الله تعالى من غير أن يقصد الى شيء من الوجوه المتقدمة وقد يكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذبا أو صادقا لأنه في الحكم كأنه قال لأفعلن كذا ان وصلت الى مرادى مع انقطاعي الى الله تعالى واظهارى

الحاجة اليه وهذا الوجه أيضاً مما يمكن فى تأويل الآية •• ومتى تؤمل جملة ماذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسألة التى لايزال يسأل عنها المخالفون من قولهم لو كان الله تعالي انما يريد العبادات من الافعال دون المعاصى لوجب اذا قال من لغيره عليه دين طالبه به والله لأعطينك حقك غداً ان شاء الله أن يكون كاذبا أو حانثا اذالم يفعل لأن الله تعالى قد شاءذلك منه عندكم وان كان لم يقع فكان يجب أن تلزمه الكفارة وأن لايؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه عن كونه حانثا كما انه لوقال والله لأعطينك حقك غداً ان قدم زيد فقدم ولم يعطه يكون حانثا وفى إلزام هذا الحنث خروج عن إجماع المسلمين فصار ماأوردناه جامعاً لبيان تأويل الآية والجواب عن هـذه المسئلة ونظائرها من المسائل والحمد لله وحده •• [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه تأملت مااشتملت عليه تشبيهات الشعراء فوجدت أكثر ماشبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد أو الشيئين بالشيئين وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلاثة بثلاثة وأربعة بأربعة وهو قليل ولم أجد من تجاوز هذا القدر الا قطعة مرت بى لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه ستة أشياء بستة أشياء •• فأما تشبيه الواحد بالواحد قول عنترة في وصف الذباب

هَزِجاً يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ ... قَدْحَ المُكِبِّ علي الزِّنادِ الأَجْذَمِ [1]

---

(١) ـ الهزج ـ تراكب الصوت ومعني ـ يحك ذراعه بذراعه ـ يمر احداهما على الاخرى ـ والاجذم ـ بالمعجمتين صفة المكب وهو المقطوع اليد شبه الذباب اذا سن احدي ذراعيه بالاخري بأجذم يقدح ناراً بذراعيه وهذا من عجيب التشبيه يقال انه لم يقل احد فى معناه مثله وقد عده أرباب الادب من التشبيهات العقم وهي التى لم يسبق اليها ولا يقدر أحـد عليها مشتق من الريح العقيم وهي التى لاتلقح شجرة ولاتنتج ثمرة وقد شبه بعضهم من يفرك يديه ندامة بفعل الذباب وزاد الطم فقال

فعل الأديب اذا خلا بهمومه ... فعل الذباب يرن عند فراغه

فـتراه يفرك راحتيـه ندامة ... منهـا ويتبعهـا بالطم دماغـه

وتعرض حازم في مقصورته لتشبيه عنترة بقوله

أي الاسرع •• ومثله قول عدى بن الرقاع

تُزْجِي أَغَنَّ كأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ ... قَلَمٌ أَصابَ مِنَ الدَّواةِ مِدَادَها

ومثله قول امرئ القيس

كأَنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ قِبابِنا ... وأرْحِلِنا الجَزْعُ الذِى لم يُثَقَّبِ [1]

وقوله

إذَا ماالثُّرَيَّا في السَّماء تَعَرَّضَتْ ... تَعَرُّضَ أَثْناءِ الوِشاحِ المُفَصَّلِ

ولذى الرمة

ألقى ذراعا فوق أخرى وحكى ... تكلف الاجذم في قطع السنا

كأنما النور الذي يفرعـه ... مقتـدحا لزنده سـقط ورى

فقصر عنه التقصير البين وأخل بذكر الاكباب والحك

(١) الرواية المعلومة خبائنا بدل قبابنا والمعنى متقارب •• قال الاصمعي الظبي والبقرة اذا كانا حيين فعيونهما كلها سود فاذا ماتا بدا بياضهما وانما شبهما بالجزع وفيه سواد وبياض بعدماموتت والمراد كثرة الصيد يعنى مما أكلناه كثرت العيون عندناوبه يتبين بطلان ماقيل ان المراد انها قد أطالت مسايرتهم حتي ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم •• وقوله ـ الجزع ـ هو بفتح الجيم وتكسر الخرز اليمانى الصينى فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش لكنه اتي بقوله لم يثقب ايغالا وتحقيقاً للتشبيه لأن الجزع اذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون •• والبيت من قصيدته المشهورة التى قالها فى معارضته لقصيدة علقمة الفحل ومطلعها

خليلى مرابي على أم جندب ... نقضى لبانات الفؤاد المعذب

ومطلع قصيدة علقمة

ذهبتَ من الهجران فى غير مذهب ... ولم يك حقا كل هـذا التجنب

وتحكيمهما لام جندب امرأة امرئ القيس وحكمها لعلقمة وطلاق امرئ القيس اياها وتزويج علقمة لها كله مشهور فلا نطيل به

وَرَدْتُ اعتِسافاً والثُّرَيّا كأنّها على قِمّةِ الرَّأسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقِ

وهذا الباب أكثر من أن يحصى .. فاما تشبيه شيئين بشيئين فمثل قول امرئ القيس يصف عقابا

كأنَّ قُلوبَ الطَّيرِ رَطباً ويابساً لَدى وَكرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي[1]

وقوله

وكَشحٍ لَطيفٍ كالجَديلِ مُخَصَّرٍ وساقٍ كأُنبوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ

ولبشار

كأنَّ مَثارَ النَّقعِ فَوقَ رُؤوسِنا وأسيافَنا لَيلٌ تَهاوَى كَواكِبُهْ[2]

(١) البيت من شواهد التلخيص والشاهد فيه التشبيه المكفوف وهو أن يؤتي على طريق العطف أوغيره بالمشبهات أولا ثم بالمشبه بهافهنا شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف البالى إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيها ولذا قال الشيخ عبد القاهر انه انما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا إن للجمع فائدة فى عين التشبيه .. والبيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان في العصر الخالى

(٢) ـ النقع ـ الغبار .. ومعنى ـ تهاوى كواكبه ـ يتساقط بعضها فى أثر بعض والاصل تتهاوى فحذفت احدي التاءين والبيت من شواهد البيان والشاهد فيه المركب الحسى فى التشبيه الذي طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شئ مظلم فوجه التشبيه مركب كما تري وكذا طرفاه كما فى أسرار البلاغة يروي انه قيل لبشار وقد أنشد هذا البيت ماقيل أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيء منها فقال ان عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته وأنشدهم قوله

ولآخر

كأنَّ سُمُوَّ النَّقعِ والبِيضِ حَولَهُ سَماوةُ لَيلٍ أسفَرَتْ عَن كَواكِبِ

وقول أبي نواس

كأنَّ صُغرَى وكُبرَى مِن فَقاقِعِها حَصباءُ دُرٍّ على أرضٍ مِنَ الذَّهَبِ[1]

ولآخر

عميت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافداً لقلب اذا ماضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

ويحكى أنه قال لم أزل منذ سمعت قول امرىء القيس فى تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدي وكرها العناب والحشف البالى

أعمل نفسى في تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت كأن مثار النقع البيت وهو من قصيدة يمدح بها ابن هبيرة وأولها

جفاوده فازوراً وملَّ صاحبه وأزري به أن لايزال يعاتبه

ومنها

اذا كنت في كل الامور معاتباً صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه
فعش واحداً أوصل أخاك فانه مقارب ذنب مرة ومجانبه

وهي طويلة فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم وكانت أول عطية سنية أعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره

(١) قوله كأن صغري وكبرى الخ .. قدقيل انه لحن لأن اسم التفضيل اذا كان مجرداً من أل والاضافة يجب أن يكون مفرداً مذكراً دائماً فتأنيثه لحن كما في البيت المذكور وقد اعتذروا عن هذا بأن أفعل العارى اذا كان مجرداً عن معنى التفضيل جاز جمعه فاذا جاز جمعه جاز تأنيثه .. والفقاقيع هي النفاخات التى تعلو الماء أو الخمر وقال يس المحفوظ فى البيت من فواقعها بالواو قلت وفي ديوانه فواقعها

إنّ الشمول هي التي	جمعت لأهل الودّ شملا
شبهتها وحبابها	بشقائق يحملن طلاّ

ولآخر

أبصرته والكاس بين فمٍ	منه وبين أنامل خمس
فكأنها وكأنّ شاربها	قمرٌ يقبّل عارض الشمس

ولآخر

حتى اذا خليت في الكأس خلت بها	عقيقة جليت في قشر بلّور
تعلي إذا مزجت في كاسها حبباً	كأنّه عرقٌ في خدّ مخمور

وقال البحترى

شقائق يحملن النّدي فكأنّه	دموع التصابي في خدود الخرائد

وقال آخر

فكأنّ الرّبيع يجلو عروساً	وكأنّا من قطره في نثار

ولأبي العباس الناشىء

كأنّ الدّموع علي خدّها	بقيّة طلّ علي جلّنار

وقال ابن الرومي وأحسن

لو كنت يوم الفراق حاضرنا	وهنّ يطفئن غلّة الوجد
لم ترَ الا الدّموع سافحة	تسفح من مقلة علي خدّ
كأنّ تلك الدّموع قطر ندىً	يقطر من نرجس على ورد

وقال جران العود

أبيت كأنّ الليل أفنان سدرة	عليها سقيط من ندى الطلّ ينطف

أراقب لمحاً من سهيل كأنّه	إذا ما بدا في آخر الليل يطرف

ولابن المعتز

سقتني في ليل شبيه بشعرها	شبيهة خدّيها بغير رقيب
فأمسيت في ليلين بالشعر والدّجى	وشمسين من خمر ووجه حبيب

وقال المتنبي

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها	في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السّماء بوجهها	فأرتني القمرين في وقت معا

فاما تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء .. فمثل قول ماني الموسوس

نشرت غدائر شعرها لتظلّني	خوف العيون من الوشاة الرّمّق
فكأنّه وكأنّها وكأنّني	صبحان باتا تحت ليل مطبق

ولبعضهم

روض ورد خلاله نرجس	غضّ يحفّان أقحواناً نضيرا
ذا يباهي لنا خدوداً وذا يحـ	ـكي عيوناً وذا يضاهي ثغورا

ولآخر في النرجس

مداهن تبر بين أوراق فضّة	لها عمد مخروطة من زبرجد

وللبحتري في وصف ضمر المطايا ونحوها

كالقسيّ المعطّفات بل الأسـ	ـهم مبريّة بل الأوتار (١)

(١) البيت من شواهد التلخيص والشاهد فيه مراعاة النظير وسمى التناسب والتوافق والائتلاف والمؤاخاة وهو جمع أمر وما يناسبه من الغاء التضاد لتخرج المطابقة فهوهنا قصد المناسبة بالاسهم والاوتار لما تقدم من ذكر القسى وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية

ولبعض الطالبيين

وَأنا ابنُ مُعتلجِ البطاحِ إذا غدا ... غيري وَرَاحَ على متونِ ظواهِرِ (١)

يفترُّ عني رُكنُها وحطيمُها ... كالجفنِ يفتحُ عن سوادِ الناظرِ

كجبالِها شرفي ومثلُ سهولِها ... خلقي ومثلُ ظبائهنّ مجاوري

وأما تشبيه أربعة بأربعة .. فمثل قول امرىء القيس

لهُ أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ ... وإرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تتفلِ

ولآخر

كفٌّ تناولُ راحها بزجاجةٍ ... خضراءَ تقذفُ بالحبابِ وتزبدُ

فالكفُّ عاجٌ والحبابُ لآلئٌ ... والراحُ تبرٌ والإناءُ زبرجدُ

ولبعضهم وقد أهدي اليه نرجس وأقحوان وشقائق وآس فكتب الى المهدى

للهِ ما أظرفَ أخـ ... لاقكَ يا بدرَ الكرمْ

أهديتَ ما نباتُها ... حسناً وظرفاً وشيمْ

فما رأينا مهدياً ... قبلكَ في كلِّ الأممْ

أهدى العيونَ والثغو ... رَ والخدودَ واللممْ

ولآخر

---

(١) ـ معتلج البطاح ـ بطن مكة يقول أنا من قريش البطاح اذا غدا غيري وراح على متون ظواهرها .. وقريش ثلاثة أقسام قسم ينزل بطاح مكة وهم أشرفهم منهم بنو هاشم وبنو أمية وغيرهم من سادات قريش وهم صميم قريش والقسم الثانى قريش الظواهر وهم الذين لم تسعهم الاباطح وقسم ثالث ليسوا من أهل الظواهر ولا الاباطح والكل قبائل

أفدي حبيباً لهُ بدائعُ أو ... صافٍ تعالتْ عن كلِّ ما أصفُ

كالبدرِ يعلو والشمسِ تشرقُ والـ ... غزالِ يعطو والغصنِ ينعطفُ

المتنبي

بدتْ قمراً ومالتْ خوطَ بانٍ ... وفاحتْ عنبراً ورنتْ غزالا

ولآخر

سفرنَ بدوراً وانتقبنَ أهلةً ... ومسنَ غصوناً والتفتنَ جآذرا (١)

وأما تشبيه خمسة بخمسة .. فقول الواوا الدمشقي وهو أبو الفرج

وأسبلتْ لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتْ ... ورداً وعضّتْ على العنابِ بالبردِ

وأما تشبيه ستة بستة فلم أجده الا لابن المعتز في قوله

بدرٌ وليلٌ وغصنٌ ... وجهٌ وشعرٌ وقدٌّ

خمرٌ ودرٌّ ووردٌ ... ريقٌ وثغرٌ وخدٌّ

مجلس آخر ٦١

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) .. فقال كيف يجوز أن يأمرنا على سبيل العبادة بالدعاء بذلك وعندكم ان النسيان من فعله تعالى فلا تكليف على الناسي في حال نسيانه وهذا يقتضي أحد أمرين إما أن يكون النسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس أو نكون متعبدين بمسئلته تعالى ما نعلم انه واقع حاصل لأن مؤاخذة الناسي مأمونة منه تعالى والقول فى الخطأ اذا أريد به ما وقع سهواً أو عن غير عمد يجرى هذا المجرى .. الجواب قلنا قد قيل فى هذه الآية المراد

---

(١) وقبله

وملتفتات في النقاب كأنما ... هززن سيوفاً وانتضين خناجرا

نسياننا تركنا قال أبو على قطرب بن المستنير معنى النسيان ههنا الترك كما قال تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى) أى ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله تعالى (نسوا الله فنسيهم) أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسنى من عطيتك أى لا تتركنى منها وأنشد ابن عرفة

وَلم أَكُ عِندَ الجُودِ لِلجُودِ قالِياً ... ولاَ كنتُ يومَ الرَّوْعِ لِلطَّعْنِ ناسِيا

أى تاركا ٠٠ ومما يمكن أن يكون على ذلك شاهداً قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) أي تتركون أنفسكم ٠٠ ويمكن في الآية وجه آخر على أن يحمل النسيان على السهو وفقد المعلوم ويكون وجه الدعاء بذلك ماقد بيناه فيما تقدم من الامالى من أنه على سبيل الانقطاع الي الله تعالى واظهار الفقر الي مسئلته والاستعانة به وان كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله ويجرى مجري قوله تعالى فى تعليمنا وتأديبنا (لا تحملنا مالا طاقة لنا به) ومجري قوله تعالى) قل رب احكم بالحق ٠ ولا تخزني يوم يبعثون) وقوله تعالى حاكياً عن الملائكة (فاغفر للذين تابوا) الآية وهذا الوجه يمكن أيضاً فى قوله تعالي أو أخطأنا اذا كان الخطأ ماوقع سهواً أو غير عمد فأما على مايطابق الوجه الاول فقد يجوز أن يريد تعالى بالخطأ مايفعل من المعاصي بالتأويل السيء وعن الجهل بانها معاص لأن من قصد شيئاً على اعتقاد انه بصفة فوقع ماهو بخلاف معتقده يقال قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل ومما أقدموا عليه مخطئين متأولين ٠٠ ويمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا ههنا أذنبنا أو فعلنا قبيحاً وان كنا له متعمدين وبه عالمين لأن جميع معاصينا لله تعالى قد توصف بانها خطأ من حيث فارقت الصواب وان كان فاعلها متعمداً فكأنه تعالى أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من المقبحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب والله أعلم بمراده ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال قال رجل يوما لأبي العباس محمد ابن يزيد النحوى ما أعرف ضادية أحسن من ضادية أبي الشيص فقال له كم ضادية حسنة لا تعرفها ثم أنشده لبشار

غَمَضَ الحَدِيدُ بِصاحِبيكَ فَغَمَّضا ... وَبَقِيتَ تَطلُبُ في الحِبالَةِ مَنهَضا

وكأَنَّ قَلبِي عِندَ كلِّ مُصيبَةٍ ... عَظمٌ تَكرَّرَ صَدعُهُ فَتَهيَّضا

وأخٍ سَلَوتُ لهُ فاذكُرهُ أخٌ ... فمضى وتذكرك الحوادثُ ما مضى

فأَشرَبْ على تَلَفِ الأَحِبَّةِ إِنَّنا ... جَزَرُ المَنِيَّةِ ظاعِنِينَ وخُفَّضا

ولقد جَرَيتُ مع الصِّبا طَلقَ الصِّبا ... ثمَّ ارعَوَيتُ فلم أَجِدْ لِيَ مَركَضا

وعَلِمتُ ماعَلِمَ امرُؤٌ في دَهرِهِ ... فأطعتُ عذَّالي وأعطيتُ الرِّضا

وصَحَوتُ من سُكرٍ وكنتُ مُوَكَّلاً ... أرعى الحمامَةَ والغُرابَ الأَبيَضا

ـ الحمامة ـ المرآة ـ والغراب الابيض ـ الشعر الشائب ٠٠ فيقول كنت كثيراً أتعهد نفسي بالنظر فى المرآة وترجيل الشعر ٠٠ وقوله ـ والغراب الابيض ـ لأن الشعر كان غربيباً أسود من حيث كان شابا ثم ابيض بالشيب

ما كلُّ بارِقَةٍ تجُودُ بِمائِها ... ولرُبَّما صَدَقَ الرَّبِيعُ فَرَوَّضا

هكذا أنشده المبرد ويحيي بن على وأنشده ابن الاعرابي

ما كلُّ بارِقَةٍ تجُودُ بِمائِها ... وكذاكَ لو صَدَقَ الرَّبِيعُ لَرَوَّضا

قد ذُقتُ إِلفَتَهُ وذُقتُ فِراقَهُ ... فوَجَدتُ ذا عسلاً وذا جمرَ الغَضا

ياليتَ شِعرِي فِيمَ كانَ صُدُودُهُ ... أَأَسأتُ أم رَعدَ السَّحابُ وأَومَضا

وغير من ذكرنا يرويه ـ أم أجم الخلال فاحمضا ـ

وَيلِي عليهِ وَوَيلَتِي مِن بَينِهِ ... ما كانَ الاَّ كالخِضابِ فقد نَضا

سبحانَ مَن كَتَبَ الشَّقاءَ لِذِي الهَوَى ... كانَ الذِي قد كانَ حُكماً فانقَضا

قال المبرد وهى طويلة ٠٠ وذكر يوسف بن على بن يحيي عن أبيه ان أبا نواس أخذ قوله

جريت مع الصبا طلق الجموح [١]

من قول بشار

ولقد جريت مع الصبا طلق الصبا

[قال الشريف المرتضى] ٠٠ رضى الله عنه ولابي تمام والبحترى على هذا الوزن والقافية وحركة القافية قصيدتان ان لم يزيدا على ضادية بشار التى استحسنها المبرد لم يقصرا عنها وأول قصيدة أبي تمام

أهلوك أضحوا شاخصا ومقوضا … ومزمما يصف النوى ومعرضا
إن يدج ليلك أنهم أموا اللوى … فبما إضاؤهم على ذات الإضا
بدلت من برق الثغور وبردها … برقا إذا ظعن الأحبة أومضا

يقول فيها

ما أنصف الشرخ الذي بعث الهوى … فقضى عليك بلوعة ثم انقضى
عندي من الأيام مالو أنه … أضحى بشارب مرقد ماغمضا

(١) هو أول أبيات وتمامه ٭ وهان على مأثور القبيح ٭

وبعده
وجدت الذعارية الليالى … قران النغم بالوتر الفصيح
ومسمعة اذا ما شئت غنت … متى كان الخيام بذي طلوح
تمتع من شباب ليس يبقى … وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح
وخذها من معتقة كميت … تنزل درة الرجل الشحيح
تخيرها لكسرى رائدوه … لها حظان من طعم وريح
ألم ترنى أبحت الراح عرضى … وعض مراشف الظبي المليح
واني عالم أن سوف تنأى … مسافة بين جثماني وروحي

وقال أبو العتاهية لقد جمع بين هذين البيتين يعنى قوله جريت مع الصبا الخ وقوله واني عالم الخ خلاعة ومجونا واحسانا وعظة وكان أبو العتاهية أنشدهما دون غيرهما

لا تطلبن الرزق بعد شماسه … فترومه سبعا إذا ماغيضا
ماعوض الصبر امرؤ إلا رأى … مافاته دون الذي قد عوضا
ياأحمد بن أبي دواد دعوة … ذلت بذكرك لي وكانت ريضا
لما انتضيتك للخطوب كفيتها … والسيف لا يرضيك حتي ينتضى
قد كان صوح نبت كل قرارة … حتي تروح في نداك فروضا
أوردتني العد الخسيف وقد أرى … أتبرض الثمد البكى تبرضا

وأما قصيدة البحترى فأولها

ترك السواد للابسيه وبيضا … ونضا من الستين عنه مانضا
وسباه أغيد في تصرف لحظه … مرض أعل به القلوب وأمرضا
وكأنه وجد الصبا وجديده … دينا دنا ميقاته أن يقتضي
سيان أثرى من جوى وصبابة … واساف من وصل الحسان وأنفضا [١]
كلف يكفكف عبرة مهراقة … أسفا علي عهد الشباب وما انقضي
عدد تكامل للشباب مجيئه … وإذا مضي الشىء حان فقد مضي

يقول فيها

لمقت للبخلاء أذعر جأشهم … ونذيره من فاضل ان ينتضي

(١) ـ الجوى ـ الحزن والصبابة والشوق ـ وأساف ـ ذهب غرامه مأخوذ من قولهم أساف الرجل ذهب ماله والاسم السواف بالضم وقال أبو عمرو انه بالفتح ولم يقع ذلك لغيره والصواب الاول لأن فعال بالضم مطرد فيما يدل على الداء كالرعاف والزكام ـ وانفض ـ خلا وهذا من عطف الشئ على مرادفه ٠٠ المعنى يستوى ان كثر غرامه وأخلا منه

وكَفاكَ من حَنَشِ الصَّرِيمِ تَهدُّدًا   أنْ مدَّ فضلَ لِسانِهِ أو نَضنَضا

وفيها

لا تُنكِرَنْ مِن جارِ بَيتكَ إنْ طوَى   أطنابَ جانِبِ بَيْتِهِ أو قوَّضا

فالأرضُ واسِعَةٌ لِنُقْلَةِ راغِبٍ   عَمَّنْ تَنَقَّلَ وُدُّهُ وتَنَقَّضا

لا تَبتَهِلْ إغضايَ إما كنتُ قدْ   أغضَيْتُ مُشتَمِلاً على جَمْرِ الغَضا

لستُ الذِي إنْ عارَضَتْهُ مُلِمَّةٌ   أصغَى الى حُكمِ الزَّمانِ وفوَّضا

لا يَستقِرُّ بي الطَّفيفُ ولا أُري   تَبعًا لِبارِقِ خُلَّبٍ إنْ أوْمَضا

أنا مَن أحَبَّ تَجارُبًا وكأنَّني   فِيما أُعايِنُ مِنكَ مِمَّنْ أبْغَضا

أغبَبْتُ سَيْبَكَ كي يَجِمَّ وإنَّما   غُمِدَ الحُسامُ المَشْرَفي لِيُنتَضي

وسَكتُ إلاَّ أنْ أُعرِّضَ قائِلاً   نَزْرًا وَصرَّحَ جَهْدَهُ مَنْ عرَّضا

..وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى بن علي عن أبيه قال من مختار شعر بشار قوله في وصف الزمان

عَتَبْتُ على الزَّمانِ وأيُّ حَيٍّ   مِنَ الأحْياءِ اعتَبَهُ الزَّمانُ

وآمنةٍ مِنَ الحَدَثانِ تُزْرِي   عليَّ وليسَ مِنْ حَدَثٍ أمانُ

وَليسَ بِزائِلٍ يَرْمِي وَيُرْمي   مُعانٌ مرَّةً أوْ مُستَعانُ

متى تأبَ الكَرامةَ من كَرِيمٍ   فَما لكَ عِندَهُ إلاَّ الهَوانُ

وله في نحوه

ياخَلِيلَيَّ أصِيبا أوْذَرَا   ليسَ كلُّ البَرْقِ يُهْدِي المَطَرَا

لاَ تكُونا كامْرِىءٍ صاحَبْتُهُ   يَترُكُ العَينَ وَيَبْغي الأثَرَا

ذَهَبَ المَعرُوفُ إلاَّ ذِكْرَهُ   رُبَّما أبكَي الفتَى ماذَكَرَا

وَبَقِينا في زَمانٍ مُعْضَلٍ   يَشْرَبُ الصَّفْوَ ويُبْقي الكَدَرَا

قال وله

قدْ أُدْرِكُ الحاجَةَ مَمْنُوعَةً   وَتُولَعُ النَّفْسُ بِما لاَ تَنالْ

وألهَمُّ ماامْسَكْتَهُ في الحَشا   داءٌ وَبَعضُ الدَّاء لاَ يُستَقالْ

فاحتَمِلِ الهَمَّ على عاتِقٍ   إنْ لمْ تُساعِفْكَ المَنْدَى الجُلاَلْ

قال يحيى قوله ـ عاتق ـ يعني الخمر وهذا مثل قوله

لمَّارَأيتُ الحَظَّ حَظَّ الجاهِلِ   وَلَمْ أرَ المَغبُونَ غيرَ العاقِلِ

رَحَلتُ عَنْساً مِنْ شَرابِ بابِلِ   فَبِتُّ مِنْ عَقلِي على مَرَاحِلِ

[قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه هذا الذي ذكره يحتمله البيت على استكراه ويحتمل أيضاً أن يريد بالعاتق العضو ويكون المعنى ان لم تجد من يحمل عنك همومك ويقوم بأثقالك ويخفف عنك فتحمل ذلك أنت بنفسك واصبر عليه فكأنه يأمر نفسه بالتجلد والتصبر على البأس وهذا البيت له نظائر كثيرة في الشعر .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن هارون قال حدثني أبي قال من بارع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال علي وما في الدنيا شيء لقديم ولا محدث من منثور ولا منظوم في صفة الغناء واستحسانه مثل هذه الابيات

وَرائِحَةٍ لِلعَيْنِ فِيها مَخِيلَةٌ   إذَا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعيدِ

مِنَ المُستَهِلاَّتِ الهُمُومِ على الفَتَى   خَفا بَرْقُها في عُصْفُرٍ وَعُقُودِ

حَسَدْتُ عليْها كلَّ شَيءٍ يَمَسُّها   وما كُنتُ لوْلاَ حُبُّها بِحَسُودِ

وأصفرَ مِثلِ الزَّعفَرانِ شَرِبْتُهُ   على صَوْتِ صفراءِ التَّرَائِبِ رُود

كأنَّ أمِيرًا جالِساً في ثِيابِها   تُؤَمِّلُ رُؤْياهُ عُيُونٌ وُفُودِ

مِنَ البِيضِ لم تَسْرَحْ على أهلِ ثَلَّةٍ ... سَوَاماً ولم تَرْفَعْ حِداجَ قُعُودِ

تُميتُ بهِ ألبابَنا وقُلوبَنا ... مِراراً وتُحييهِنَّ بعدَ هُمُودِ (١)

إذا نَطَقَتْ صِحْنا وصاحَ لنا الصَّدَى ... صِياحَ جُنودٍ وُجِّهَتْ لجُنودِ

ظَلِلْنا بذاكَ الدَّيْدَنِ اليومَ كُلَّهُ ... كأنَّا مِنَ الفِرْدَوسِ تحتَ خُلودِ

ولا بأسَ إلاّ أنَّنا عِندَ أهلِنا ... شُهودٌ وما ألبابُنا بِشُهودِ

قال وأنشدني أبي له في وصف مغنية

لَعَمْرُ أبي زُوَّارُها الصِّيدُ إنَّهُمْ ... لَفي مَنْظَرٍ مِنها وحُسْنِ سَماعِ

تُصَلِّي لها آذانُنا وعُيونُنا ... إذا ما الْتَقَيْنا والقُلوبُ دَواعِي

وصَفْراءُ مِثْلُ الخَيْزُرانَةِ لم تَعِشْ ... بِبُؤسٍ ولم تَرْكَبْ مَطِيَّةَ راعِي

إذا قَلَّدَتْ أطْرافُها العُودَ زَلْزَلَتْ ... قُلوباً دَعاها لِلْوَساوسِ داعِي

كأنَّهُمُ في جَنَّةٍ قد تلاحَقَتْ ... مَحاسِنُها مِنْ رَوْضَةٍ وبِقاعِ

يَروحونَ مِنْ تَغْريدِها وحَديثِها ... نَشاوَى وما تَسْقِيهِمُ بِصُواعِ

لَعُوبٌ بألبابِ الرِّجالِ وإنْ دَنَتْ ... أُطِيعُ التُّقَى والغَيُّ غيرُ مُطاعِ

قال علي بن هارون - الصواع - المكيال يقول اذا غنت شربوا جزافا بلا كيل ولا وزن من حسن مايسمعون .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه هذا خطأ منه وانما أراد انما غناؤها لفرط حسنه وشدة اطرابه ينسيان شرة الخمر وان لم يكن هناك شرب

(١) قوله - تميت به ألبابنا وقلوبنا - الى آخره ظاهر القاموس ان مضارع مات مثلث وليس كذلك والضم انما هو فى الواوي كقال يقول والكسر انما هو فى اليائي كبيع فى باع وهي لغة مرجوحة آثرها جماعة والفتح انما هو فى المكسور الماضى كعلم يعلم ولظيره من المعتل خاف يخاف خوفا

بصواع وهذا يجرى مجري قول الشاعر

ويَوْمٍ ظَلِلْنا عِندَ أُمِّ مُحَلِّمٍ ... نَشاوَى ولم نَشْرَبْ طِلاءً ولا خَمْرا

وما كان عندى أن أحداً يتوهم في معنى هذا البيت ماظنه هذا الرجل .. وأماقوله فى القطعة الاولى

وأصْفَرَ مِثْلِ الزَّعْفَرانِ شَرِبْتُهُ

البيت فيحتمل وجوهاً ثلاثة أولها أن يكون أراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها وان ترائبها صفر لذلك كما قال الاعشى

بَيْضاءُ ضَحْوَتَها وصَفْـ ... ـراءُ العَشِيَّةِ كالعَرارِ

-والعرار - بهار البر وانما أراد انها تتضمخ بالعشى بالطيب فيصفرها ومثله لذى الرمة

بَيْضاءُ في دَعَجٍ كَحْلاءُ في بَرَجٍ ... كأنَّها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ

وقيل فى بيت قيس بن الخطيم

فَرَأيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِندَ طُلوعِها ... في الحُسْنِ أو كَدُنُوِّها لِغُروبِ

صَفْراءُ أعْجَلَها الشَّبابُ لِداتِها ... مَوْسومَةً بالحُسْنِ غيرَ قَطوبِ

أي انها سبقت أقرانها .. ومثله قول ابن الرقيات

لم تَلْتَفِتْ لِلِداتِها ... فمَضَتْ على غُلَوائِها (١)

(١) - البيت من جملة أبيات يقولها في أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوج الوليد بن عبد الملك وهي

أصحوت عن أم البنين وذكرها وعنائها

وهجرتها هجر امرئ ... لم يقل صفو صفائها

من خيفة الاعداء أن ... يوهوا أديم صفائها

قرشية كالشمس أشـ ... ـرق نورها ببهائها

وجهان .. أحدها انه أراد انها تتطيب بالعنبر فتصفر لأن الشمس تغيب صفراء الوجه .. والآخر أراد المبالغة في الحسن لأن الشمس أحسن ما تكون في وقتيها هذين ومن ذلك قول قيس بن الخطيم

صفراء أعجلها الشباب لداتها

ومثله للاعشى

إذا جردت يوماً حسبت خميصة عليها وجريال النضير الدلامصا

ـ الخميصة ـ ثوب ناعم لين ناعم شبه به نعومة جسمها ـ والنضير ـ الذهب ـ والجريال ـ كل صبغ أحمر وانما يعني لون الطيب عليها ـ والدلامص ـ البراق فهذا وجه .. والوجه الثاني أن يكون أراد بوصفها بالصفرة رقة لونها فعندهم ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة ضرب لونها بالعشي الى الصفرة .. قال علي بن مهدي الاصفهاني قال لي أبي قال لي الجاحظ زعموا ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض وبالعشي الى الصفرة واحتج في ذلك بقول الراجز

قد علمت بيضاء صفراء الاصل

زادت على البيض الحسا ن بحسنها ونقائها
لما أبكرت للشبا ب وقنعت بردائها
لم تلتفت للـداتها ومضت على غلوائها
لولا هوى أم البنـ ين وحاجتي للقائها
قد قربت لي بغلة محبوسة لنجائها

ومعنى ـ مضت على غلوائها ـ أي مضت على أول شبابها يقال فعل ذلك في غلواء شبابه أي في أوله .. قال الاعشى

إلا كناشرة الذي ضيعتم كالغصن في غلوائه المتنبت

وقيل الغلواء سرعة الشباب وحقيقته من الغلو وهو الارتفاع والتحدد ويقال مضى الرجل على غلوائه اذا ركب أمره وبلغ فيه غايته

وزعم ان بيت ذي الرمة الذي أنشدناه من هذا المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي أنشدناه والابيات محتملة للأمرين فأما البيت الذي لايحتمل الا وجهاً واحداً فهو قول الشاعر

وقد خنقتها عبرة فدموعها على خدها حمر وفي نحرها صفر

فانها لاتكون صفراً في نحرها الا لأجل الطيب .. فأما قوله ـ على خدها حمر ـ فانما أراد انها تصبغ بلون خدها .. والوجه الثالث أن تكون المرأة كانت صفراء على الحقيقة فان بشاراً كثيراً مايشبب بامرأة صفراء كقوله

أصفراء لاأنسى هواك ولا ودي ولا مامضى بيني وبينك من عهد
لقد كان مابيني زماناً وبينها كما كان بين المسك والعنبر الورد

أي كما كان بين طيب المسك والعنبر وكقوله

أصفراء كان الود منك مباحا ليالي كان الهجر منك مزاحا
وكان جواري الحي إذ كنت فيهم قباحاً فلما غبت صرن ملاحا

وقد روي ـ ملاحا فلما غبت صرن قباحا ـ وقوله قباحا فلما غبت يشبه قول السيد بن محمد الحميري

وإذا حضرن مع الملاح بمجلس أبصرتهن وما قبحن قباحا

فأما قوله ـ من البيض لم تسرج سواما ـ فانه لايكون مناقضاً لقوله صفراء وان أراد بالصفرة لونها لأن البياض ههنا ليس بعبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الادناس والعرب لاتكاد تستعمل البياض الا في هذا المعنى دون اللون لأن البياض عندهم البرص ويقولون في الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر

جاءت به بيضاء تحمله من عبد شمس صلتة الخد

ومثله بيض الوجوه .. فاما قول بشار في القطعة الثانية ـ وصفراء مثل الخيزرانة ـ فانه يحتمل ماتقدم من الوجوه وان كان اللون الحقيقي خص بقوله كالخيزرانة لأن الخيزران يضرب الى الصفرة ويحتمل أيضاً أن يريد بصفراء غير اللون الثابت ويكون قوله كالخيزرانة

انها مثلها في التثنى والتعطف •• ولقد أحسن جران العود في قوله فى المعنى الذى تقدم

كأنَّ سبيكةً صفراء صبَّت   عليها ثمَّ ليثَ بها الإزارُ

برُودُ العارضَينِ كأنَّ فاها   بُعيدَ النَّوْمِ مسكٌ مُستثارُ

مجلس آخر ٦٢

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) •• فقال كيف أضاف الاستهزاء اليه تعالى وهو مما لايجوز فى الحقيقة عليه وكيف خبر بأنه يمدهم فى الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم •• الجواب قلنا فى قوله تعالى (الله يستهزئ بهم) وجوه •• أولها أن يكون معنى الاستهزاء الذي أضافه تعالى الى نفسه تجهيله لهم وتخطئته اياهم في إقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى ذلك استهزاء مجازاً واتساعا كما يقول القائل ان فلانا ليستهزأ به منذ اليوم اذا فعل فعلا عابه الناس به وخطؤوه فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل وازراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء به وانما أقيم مقامه لتقارب ما بينهما فى المعنى لأن الاستهزاء الحقيقى هو مايقصد به الي عيب المستهزأ به والازراء عليه واذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبكيت هذا المعنى جاز أن يجرى اسم الاستهزاء عليه ويشهد بذلك قوله تعالى (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) ونحن نعلم ان الآيات لايصح عليها الاستهزاء ولا السخرية فى الحقيقة وانما المعنى اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويزرى عليها والعرب قد تقيم الشيء مقام ماقاربه فى معناه فتجري عليه اسمه •• قال الشاعر

كَمْ من أُناسٍ في نَعيمٍ عُمِّرُوا   في ذُرَي مُلْكٍ تَعالى فَبَسَقْ

سَكَتَ الدَّهرُ زَماناً عَنهمُ   ثمَّ أبكاهُمْ دَماً حِينَ نَطَقْ

والسكوت والنطق على الحقيقة لايجوز ان على الدهر وانما شبه تركه الحال على ماهي عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطق وأنشد الفراء

إنَّ دَهرًا يَلُفُّ شَملِي بِجُمْلٍ   لزَمانٌ يَهِمُّ بالإحْسانِ

ومثل ذلك قوله في الاستعارة لتقارب المعنى

سأَلَتْنِي عَنْ أُناسٍ هَلَكُوا   شَرِبَ الدَّهرُ عليهِمْ وأَكَلْ

وانما أراد بالاكل والشرب الافساد لهم والتغيير لأحوالهم •• ومثله

يَقَرُّ بِعَيني أنْ أرَى بابَ دارِها   وإنْ كانَ بابُ الدّارِ يَحسِبُنِي جَلَدَا

•• والجواب الثاني أن يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه تعالى أن يستدرجهم ويهلكهم من حيث لايعلمون ولايشعرون •• ويروى عن ابن عباس أنه قال في معنى استدراجه إياهم أنهم كانوا كلما أحدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما سمى هذا الفعل استهزاء من حيث غيب تعالى عنهم من الاستدراج الي الهلاك غير ما أظهر لهم من النعم كما ان المستهزئ منا المخادع لغيره يضمر أمراً ويظهر غيره •• فان قيل على هذا الجواب فالمسئلة قائمة وأى وجه لأن يستدرجهم بالنعمة الى الهلاك •• قلنا ليس الهلاك ههنا هو الكفر وما أشبهه من المعاصى التى يستحق بها العقاب وانما استدرجهم الى الضرر والعقاب الذى استحقوه بما تقدم من كفرهم ولله تعالى أن يعاقب المستحق بما شاء أي وقت شاء فكأنه تعالى قال كفروا وبدلوا نعمة الله وعاندوا رسله لم يغير نعمه عليهم فى الدنيا بل أبقاها لتكون متى نزعها عنهم وأبدلهم بها نقما تكون الحسرة منهم أعظم والضرر عليهم أكثر •• فان قيل فهذا يؤدي الى تجويز أن يكون بعض ما ظاهرها ظاهر النعمة على الكفار مما لايستحق الله به الشكر عليهم •• قلنا ليس يمتنع هذا فيمن استحق العقاب وانما المنكر أن تكون النعم المبتدأة بهذه الصفة على ما يلزم مخالفينا ألا ترى أن الحياة وما جرى مجراها من حفظ التركيب والصحة لايعد على أهل النار نعمة وان كان على أهل الجنة نعمة من حيث كان الغرض فيه ايصال العقاب اليهم •• والجواب الثالث أن يكون معنى استهزائه تعالى بهم ان جعل لهم بما أظهروا من موافقة أهل الايمان ظاهر أحكامهم من نظره ومناكحه وموارثه وموافقه وغير ذلك من الاحكام وان كان تعالى معداً لهم في الآخرة أليم العقاب لما أبطنوه من النفاق واستهزؤا به من الكفر فكأنه تعالى قال ان كنتم أيها

المنافقون بما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة وتبطنونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتم بهم تظنون انكم مستهزؤن فالله تعالى هو المستهزئ بكم من حيث جعل لكم أحكام المؤمنين ظاهراً حتى ظننتم ان لكم ما لهم ثم ميز تعالى بينكم فى الآخرة ودار الجزاء من حيث أثاب المخلصين الذين يوافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه من الجواب الثانى وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه •• والجواب الرابع أن يكون معنى ذلك ان الله هو الذي يرد استهزاءكم ومكركم عليكم وان ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم ونظير ذلك قول القائل ان فلانا أراد أن يخدعنى فخدعته وقصد الى أن يمكر بى فمكرت به والمعنى ان ضرر خداعه ومكره عائد اليه ولم يضرني به •• والجواب الخامس أن يكون المعنى أن يجازيهم على استهزائهم فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) الآية وقال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) والمبتدأ ليس بعقوبة •• وقول الشاعر

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلِينا[1]

ومن شأن العرب أن تسمي الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه به وتعلقه به واذا انكشف المعنى وأمن الابهام وربما غلبوا أيضاً اسم أحد الشيئين على الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهم فمثال الاول قولهم للبعير الذى يحمل المزادة راوية وللمزادة المحمولة على البعير رواية فسموا البعير باسم ما يحمل عليه •• قال الشاعر

مَشْيَ الرَّوَايا بِالمَزَادِ الأَثْقَلِ

أراد الروايا الابل ومن ذلك قولهم صرعته الكأس فاستلبت عقله •• قال الشاعر

وَما زَالَتِ الكاسُ تَغْتالُنا وَتَذْهَبُ بالأَوَّلِ فالأَوَّلِ

والكأس هي ظرف الشراب والفعل الذى أضافوه اليها انما هو مضاف الى الشراب الذى يحل فيها لأن العرب لا تقول الكأس الا بما فيه من الشراب فكان الاناء الفارغ لا يسمى

(١) ـ البيت من معلقة عمرو بن كلثوم

كأساً وعلى هذا القول يكون اضافة اختلاس العقل والتصريع وما جري مجرى ذلك الى الكأس على وجه الحقيقة لأن الكأس على هذا القول اسم للاناء وما حل فيه من الشراب •• ومثال الوجه الثاني الذي ذكرناه عنهم من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر

أَخَذْنا بِآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ لَنا قَمَرَاها وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ

أراد لنا شمسها وقمرها فغلب •• ومنه قول الآخر

فَقُولاَ لأَهْلِ المَكَّتَيْنِ تَحاشَدُوا وَسِيرُوا الى آطامِ يَثْرِبَ والنَّخْلِ

أراد ـ بمكتين ـ مكة والمدينة[1] وقال الآخر

فَبَصْرَةُ الأَزْدِ مِنَّا والعِرَاقُ لَنا وَالمَوْصِلاَنِ وَمِنَّا مِصْرُ والحَرَمُ

أراد ـ بالموصلين ـ الموصل والجزيرة •• وقال الآخر

نَحْنُ سَبَيْنا أُمَّكُمْ مُقْرِبا يَوْمَ صَبَحْنا الحِيرَتَيْنِ المَنُونْ

أراد ـ الحيرة والكوفة ـ وقال آخر

إذا اجْتَمَعَ العُمَرَانِ عَمْرُو بْنُ عامِرٍ وَبَدْرُ بْنُ عَمْرٍو خِلْتَ ذُبْيانَ جُوَّعا[2]

(١) ويقال القريتان لمكة والطائف وفسر به قوله تعالى (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ويقال أيضاً الحرمان لمكة والمدينة والحيرتان للبصرة والكوفة

(٢) قوله ـ اذا اجتمع العمران ـ الخ هما عمرو بن جابر بن هلال بن عقيل بن سمى ابن مازن بن فزارة وبدر بن عمرو بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة وهما روقا فزارة •• والبيتان لقراد بن حنش الصاردى من بني الصارد بن مرة •• قلت ومن هذا النوع قولهم سيرة العمرين لابى بكر وعمر رضى الله عنهما وقيل هما عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وهذا غلط قال معاذ الهراء لقد قيل سيرة العمرين قبل خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال سيبويه أما قولهم أعطيكم سنة العمرين فانما أدخلوا الالف واللام عليهما وهما نكرة وكأنهما جعلا من أمة كل

وَالقَوْا مَقَالِيدَ الامُورِ إليهِمَا ... جَمِيعاً وكانُوا كارِهِينَ وَطُوَّعا

أراد — بالعمرين — رجلين يقال لأحدهما عمرو وللآخر بدر وقد فسره الشاعر فى البيت •• ومثله

جَزَانِي الزَّهْدَمانِ جزاءَ سُوءٍ ... وكُنْتُ المَرْءَ يُجْزَى بالكَرَامَهْ(١)

أراد — بالزهدمين — رجلين يقال لاحدهما زهدم وللآخر كردم فغلب وكل الذي ذكرناه يقوى هذا الجواب من جواز تسمية الجزاء على الذنب باسمه وتغليبه عليه للمقاربة والاختصاص التام بين الذنب والجزاء عليه •• والجواب السادس ماروي عن ابن عباس أنه قال يفتح لهم وهم فى النار باب من الجنة فيقبلون اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم اذا رأوا الابواب قد أغلقت عليهم ولذلك قال تعالى (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون) •• فان قيل فأي فائدة فى هذا الوجه وما وجه الحكمة فيه •• قلنا وجه الحكمة فيه ظاهر لأن ذلك أغلظ في نفوسهم وأعظم فى مكروههم وهو ضرب من العقاب الذى يستحقونه بافعالهم القبيحة

واحد منهما عمر واختصا كما اختص النجم بهذا الاسم فصار بمنزلة اللسرين اذا كنت تعنى النجمين وبمنزلة الغريين المشهورين بالكوفة اه

(١) وبعده

وقد دافعت قد علمت معد ... بنى قرظ وعمهما قدامه

ركبت بهم طريق الحق حتى ... أتيتهم بها مائة ظلامه

والابيات لقيس بن زهير والزهدمان هما زهدم وكردم أبنا حزن العبسيان •• ومعنى جزانيها لقيس بن زهير انهما يوم شعب جبلة لما انهزم حاجب بن زرارة تبعاه فجعلا يطردانه ويقولان له استأسر فيقول من أنتما فيقولان الزهدمان فيقول لا أستأسر لموليين فاستأسر لمالك ذى الرقيبة فاستغاثا بقيس بن زهير فنازع ذا الرقيبة فحكموا حاجباً فقال أما من ردني عن قصدى فالزهدمان وأما الذى استأسرت له فمالك فحكموني في نفسى فحكموه فقال أما مالك فله ألف ناقة وللزهدمين مائة ثم وقعت بين قيس والزهدمين مغاضبة فقال الابيات

لان من طمع فى النجاة والخلاص من المكروه واشتد حرصه علي ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج ورد الى المكروه يكون عذابه أصعب وأغلظ من عذاب مالاطريق للطمع عليه •• فان قيل فعلى هذا الجواب ماالفعل الذى هو الاستهزاء •• قلنا فى ترداده لهم من باب الى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء من حيث كان اظهاراً لما المراد خلافه وان لم يكن من معنى الاستهزاء مايقتضي قبحه من اللهو واللعب وما جري مجري ذلك •• والجواب السابع أن يكون ماوقع منه تعالى ليس باستهزاء علي الحقيقة لكنه سماه بذلك ابزدوج اللفظ ويخف على اللسان وللعرب فى ذلك عادة معروفة فى كلامها والشواهد عليه مذكورة ومشهورة وهذه الوجوه التى ذكرناها فى الآية يمكن أن تذكر فى قوله تعالي (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وفى قوله (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) فليتأمل ذلك •• وأما قوله تعالى (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) فيحتمل وجهين •• أحدهما أن يريد انى املى لهم فى العمر وأمهلهم ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك مستمسكون بطغيانهم وعمههم •• والوجه الآخر أن يريد يمدهم أن يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثوابالهم ويمنعها من الكافرين عقابا كشرحه لصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح بحمد الله •• [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه واني لأستحسن لبعض الاعراب قوله

خَلِيلَيَّ هل يَشْفِي مِنَ الشَّوْقِ وَالجوَى ... يَدٌ وَذُرَى الأَوْطانِ لاَ بلْ يَشُوقُهَا

وَيَزْدَادُ في قُرْبٍ إليها صَبابَةً ... وَيَبْعُدُ من فَرْطِ اشْتِياقٍ طَرِيقُها

وَمَا يَنْفَعُ الحَرَّانَ ذَا اللَّوْحِ أنْ يرَى ... حِياضَ القِرَي مَمْلُوَّةً لاَ يَذُوقُهَا

ولآخر في تذكر الأوطان والحنين اليها

ألاَ قُلْ لِدَارٍ بينَ أَكْثِبَةِ الحِمَى ... وَذَاتِ الغَضَا جادَتْ عليكِ الهَوَاضِبُ

أَجِدَّكِ لاَ آتيكِ إلاَّ تَقَلَّبَتْ ... دُمُوعٌ أضاعَتْ ماحَفِظتْ سَوَاكِبُ

دِيارٌ تَنَاسَمَتْ الهَوَاءَ بِجَوِّهَا ... وَطاوَعَني فِيها الهَوَى والحَبائِبُ

لَيَالِيَ لاَ الهِجْرَانُ مُحْتَكِمٌ بِهَا … عَلَى وَصْلِ مَنْ أَهْوَى وَلاَ الظَّنُّ كَاذِبُ

وأنشد أبو نصر صاحب الأصمعي لاعرابي

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً … بِأَكْنَافِ نَجْدٍ وَهْيَ خُضْرٌ مُتُونُهَا

وهَلْ أَشْرَبَنَّ الدَّهْرَ مِنْ مَاءِ مُزْنَةٍ … بِجَرَّةِ لَيْلَى حَيْثُ فَاضَ مَعِينُهَا

بِلاَدٌ بِهَا كُنَّا نَحُلُّ فَأَصْبَحَتْ … خَلاَءً وَتَرْعَاهَا مَعَ الأُدْمِ عِينُهَا

تَفَيَّأْتُ فِيهَا بِالشَّبَابِ وَبِالصِّبَي … تَمِيلُ بِمَا أَهْوَى عَلَيَّ غُصُونُهَا

وأنشد الاصمعي لصدقة بن نافع الغنوي

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَحَنَّنَّ نَاقَتِي … بِبَيْضَاءِ نَجْدٍ حَيْثُ كَانَ مَسِيرُهَا

فَتِلْكَ بِلاَدٌ حَبَّبَ اللهُ أَهْلَهَا … إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ يُعْطِ نَصَفاً أَمِيرُهَا

بِلاَدٌ بِهَا أَنْضَبْتُ رَاحِلَةَ الصِّبَي … وَلاَنَتْ لَنَا أَيَّامُهَا وَشُهُورُهَا

فَقَدْنَا بِهَا الهَمَّ المُكَدَّرَ شُرْبُهُ … وَدَارَ عَلَيْنَا بِالنَّعِيمِ سُرُورُهَا

وأنشد أبو محلم لسوار بن المضرب

سَقَى اللهُ اليَمَامَةَ مِنْ بِلاَدٍ … نَوَافِحُهَا كَأَرْوَاحِ الغَوَانِي

وَجَوٍّ زَاهِرٍ لِلرِّيحِ فِيهِ … نَسِيمٌ لاَ يَرُوعُ التُّرْبَ وَانِي

بِهَا سُقْتُ الشَّبَابَ إِلَى مَشِيبٍ … يُقَبِّحُ عِنْدَنَا حُسْنَ الزَّمَانِ

وأنشد ابراهيم بن اسحق الموصلي

أَلاَ يَاحَبَّذَا جَنَّاتُ سَلْمَى … وَجَادَ رِيَاضَهَا جَوْنُ السَّحَابِ

خَلَعْتُ بِهَا العِذَارَ وَنِلْتُ فِيهَا … مُنَايَ بِطَاعَةٍ أَوْ بِاغْتِصَابِ

أَسُومُ بِبَاطِلِي طَلَبَاتِ لَهْوِي … وَيَعْذِرُنِي بِهَا عَصْرُ الشَّبَابِ

فكل هؤلاء على ماترى قد أفصحوا بأنّ سبب حنينهم الى الأوطان مالبسوه فيها من ثياب الشباب واستظلوه من ظله وأنضوه من رواحله وانه كان يعذرهم ويحسن قبائحهم

فعلى أي شئ يغلو الناس في قول ابن الرومي

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمُ … مَآرِبُ قَضَّاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَا

إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَّرَتْهُمُ … عُهُودَ الصِّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَالِكَا

ويزعمون انه سبق الى مالم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستوراً ووسم غُفلا وقوله وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على من تقدم ولا أبدع بل اتبع ولكن الجيد اذا ورد بمن يعهد منه الردئ كثر استحسانه وزاد استطرافه .. ولقد أحسن البحتري في قوله في هذا المعنى

فَسَقَى الغَضَى وَالنَّازِلِيهِ وَإِنْ هُمُ … شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحٍ وَقُلُوبِ (١)

وَقِصَارِ أَيَّامٍ بِهِ سُرِقَتْ لَنَا … حَسَنَاتُهَا مِنْ كَاشِحٍ وَرَقِيبِ

خُضْرٌ تُسَاقِطُهَا الصَّبَا فَكَأَنَّهَا … وَرَقٌ يُسَاقِطُهُ اهْتِزَازُ قَضِيبِ

كَانَتْ فُنُونَ بَطَالَةٍ فَتَقَطَّعَتْ … عَنْ هَجْرِ غَايَتِهِ وَوَصْلِ مَشِيبِ

وأحسن في قوله

سَقَى اللهُ أَخْلاَقاً مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً … سَقَتْنَا الجَوَى إِذْ أَبْرَقُ الحَزْنِ أَبْرَقُ

لَيَالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَمَا … أَضَاءَ بِإِصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرِقُ

---

(١) ـ الغضا ـ شجر معروف واحدته غضاة وأرض غضيانة كثيرته .. وفي البيت استخدام فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين الى الغضا وهو المجرور في الساكنيه المكان وهو أرض لبني كلاب وواد بنجد وبالآخر وهو المنصوب في شبوه النار أي أوقدوا في جوانحه نار الغضا يعني نار الهوى التي تشبه نار الغضا وخص الغضا دون غيره لأن جمره بطيء الانطفاء وفي بعض الروايات وضلوعي بدل وقلوب وهي غلط

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى فَمَا اشْتَفَى ... بِمَاءِ الرُّبَى مَنْ بَاتَ بِالرِّيقِ يَشْرَقُ

ولأبي تمام في هذا المعني مالايقصر عن احسان وهو

سَلَامٌ تَرْجُفُ الأَحْشَاءُ مِنْهُ ... عَلَى الحَسَنِ ابْنِ وَهْبٍ وَالعِرَاقِ

عَلَى البَلَدِ الحَبِيبِ إِلَيَّ غَوْرًا ... وَنَجْدًا وَالأَخِ العَذْبِ المَذَاقِ

لَيَالِيَ نَحْنُ فِي وَسَنَاتِ عَيْشٍ ... كَأَنَّ الدَّهْرَ عَنَّا فِي وَثَاقِ

وَأَيَّامٍ لَهُ وَلَنَا لِدَانٌ ... عُفِينَا مِنْ حَوَاشِيهَا الرِّقَاقِ [1]

كَأَنَّ العَهْدَ عَنْ عُفُرٍ لَدَيْنَا ... وَإِنْ كَانَ التَّلَاقِي عَنْ تَلَاقِ

مجاس آخر ٦٣

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو) الآية ٠٠ فقال كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب بينهما العداوة وأي عداوة كانت بينهما ٠٠ الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن يكون الخطاب متوجهاً الى آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما ويقوى ذلك قوله تعالى حاكياً عن ابراهيم واسمعيل عليهما السلام (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) ٠٠ وثانيها أن يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام ولإبليس اللعين وأن يكون الجميع مشتركين في الامر بالهبوط وليس لأحد أن يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لابليس ذكر في قوله تعالى (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) لأنه وان لم يخاطب بذلك فقد جري ذكره في قوله تعالى (فازلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) فجائز أن يعود

(١) وفي نسخة غنينا في حواشيها الرقاق وفي ديوانه عرينا من حواشيها الرقاق

الخطاب على الجميع ٠٠ وثالثها أن يكون الخطاب متوجهاً الى آدم وحواء عليهما السلام والحية التي كانت معهما على ماروى عن كثير من المفسرين وفي هذا الوجه بعد من قبل ان خطاب من لايفهم الخطاب لايحسن فلا بد من أن يكون قبيحاً اللهم الا أن يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وانما كنى تعالى عن إهباطه لهم بالقول كما يقول أحدنا قلت فلقيت الامير وقلت فضربت زيداً وانما يخبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف الظاهر وان كان مستعملا وفي هذا الوجه بعد من وجه آخر وهو ان لم يتقدم للحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لاتحسن إلا بحيث لايقع لبس ولايسبق وهم الى تعلق الكناية بغير مكنى عنه حتى يكون ذكره كتركه ذكره في البيان عن المعنى المقصود مثل قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب ٠٠ وكل من عليها فان) ومثل قول الشاعر

أَمَاوِيُّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ [1]

فاما بحيث لا يكون الحال على هذه الكناية عن غير مذكور فقبيحة ٠٠ ورابعها أن يكون الخطاب يخص آدم وحواء عليهما السلام وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك

(١) ـ قوله ـ اذا حشرجت ـ الخ فاعل حشرجت ضمير يعود على النفس ولم يتقدم ذكرها وذلك جائز لعلم المعنى من السياق ومثله قوله تعالى (كلا اذا بلغت التراقي) فان النفس لم يتقدم لها ذكر ولكن المعنى واضح ٠٠ والبيت من قصيدة لحاتم الطائي يخاطب إمرأته ماوية ومطلعها

أماوي قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتني في طلابكم العذر

أماوي ان المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الاحاديث والذكر

ومنها

أماوي إن يصبح صداي بقفرة ... من الارض لاماء لدي ولا خمر

ترى ان ماأنفقت لم يك ضائرى ... وان يدي مما بخلت به صفر

أماوي اني رب واحد أمه ... أخذت فلا قتل عليه ولا أسر

وقد علم الأقوام لو أن حاتماً ... أراد ثراء المال كان له وفر

لأن التثنية أول الجمع قال الله تعالى (اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) أراد تعالى وكنا لحكم داود وسليمان عليهما السلام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول قوله تعالى (فان كان له إخوة) على معنى فان كان له أخوان ‥ قال الراعي

أَخُلَيْدُ إنَّ أَباكِ ضافَ وِسادَهُ　　هَمَّانِ باتا جَنْبَةً وَدَخِيلاَ

أي داخلا فى القلب

طَرَقا فَتِلكَ هَمَاهِمي أَقرِيهِما　　قُلُصاً لَوَاقِحَ كالقِسِيِّ وَحُولاَ

فعبر بالهماهم وهي بمعنى الهموم وهما اثنان ‥ فان قيل فما معنى الهبوط الذي أمروا به ‥ قلنا أكثر المفسرين على أن الهبوط هو النزول من السماء الى الارض وليس في ظاهر القرآن مايوجب ذلك لأن الهبوط كما يكون النزول من علو الي سفل فقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى (اهبطوا مصر فان لكم ماسألتم) ويقول القائل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا يريد حللنا ‥ قال زهير

مازِلتُ أَرْمُقُهُمْ حتَّى إذَا هَبَطتْ　　أيدِي الرِكابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا

فقد يجوز على هذا أن يريد تعالى بالهبوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل أيضاً أن يريد بالهبوط غير معنى المسافة بل الانحطاط من منزلة الي دونها كما يقولون قد هبط عن منزلته ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الي دونها ‥ فان قيل فما معنى قوله (بعضكم لبعض عدو) ‥ قلنا أما عداوة إبليس لآدم وذريته فمعروفة مشهورة وأما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين من ذريته لابليس فهى واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار أى المارقين عن طاعة الله تعالى المستحقين لمقته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي تضمن ادخالها فى الخطاب لبنى آدم معروفة ولذلك يحذرهم منها ويجنبهم فاما على الوجه الذى يتضمن ان الخطاب اختص آدم وحواء دون غيرهما فيجب أن يحمل قوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) على أن المراد به الذرية كأنه قال تعالى اهبطوا وقد علمت من حال ذريتكم ان بعضكم يعادي بعضاً وعلق الخطاب بهما

للاختصاص بين الذرية وبين أصلها ‥ فان قيل أليس ظاهر القرآن إهبطوا يقتضي الأمر بالمعاداة كما انه أمر بالهبوط وهذا يوجب أن يكون تعالى أمر بالقبيح على وجه لأن معاداة ابليس لآدم عليه السلام قبيحة ومعادات الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك ‥ قلنا ليس يقتضى الظاهر ماظننتموه وانما يقتضى انه أمرهم بالهبوط فى حال عداوة بعضهم بعضاً فالأمر مختص بالهبوط والعداوة تجرى مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة فى كلام العرب ويجري مجرى هذه الآية فى أن المراد بها الحال قوله (انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهو كافرون) وليس معنى ذلك انه أراد كفرهم كما أراد تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل أراد أن تزهق أنفسهم فى حال كفرهم وكذلك القول فى الأمر بالهبوط وهذا بين ‥ [قال الشريف] المرتضى رضي الله عنه ومن مستحسن تمدح السادات الكرام قول الشاعر

وَيلُ أُمِّ قَوْمٍ غَدَوْا عَنكُمْ لِطِيَّتِهِمْ　　لاَ يَكْتَنُونَ غَدَاةَ العَلِّ والنَّهَلِ

صُدْأُ السَّرَابِيلِ لاَ تُوكَي مَقانِبُهُمْ　　عُجُرُ البُطُونِ وَلاَ تُطوَى علي الفُضُلِ

قوله ــ ويل أم قوم ــ من الزجر المحمود الذى لايقصد به الشر مثل قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعه وأبرحه ماأسمحه ‥ وقد قيل فى قول جميل

رَمَى اللهُ في عَيني بُثَينَةَ بالقَذَى　　وفي الغُرِّ من أنيابِها بالقَوَادِحِ [1]

---

(١) قوله ــ رمى الله في عيني بثينة بالقذى ــ الخ ‥ قيل معناه سبحان الله ماأحسن عيليها ومن ذلك قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعه ــ وأنياب القوم ــ ساداتهم أي رمي الله الفساد والهلاك في سادات قومها لأنهم حالوا بينها وبين زيارتي واستحسن بعضهم أن يقال أراد بالعينين رقيبها وبالغر من أنيابها كرام ذويها وعشيرتها والمعنى أفناهم الله وأراهم المنكرات فهو فى الظاهر يشتمها وفي النية يشتم من يتأذى به فيها ويقال هم أنياب الخلافة للمدافعين عنها ‥ وقيل أراد بلغها الله أقصى غايات العمر حتى تبطل عواملها وحواسها فالدعاء على هذا لها لاعليها ‥ وقوله ــ بالقذى ــ الباء زائدة والقذي كل ماوقع في العينين من

انه أراد هذا المعنى بعينه وقيل انه دعا لها بالهرم وعلو السن لأن الكبير يكثر قذي عينيه وتهتم أسنانه •• وقيل انه أراد بعيليها رقيبيها وبغر أنيابها سادات قومها ووجوههم والاول أشبه بطريقة القوم وان كان القول محتملا للكل •• فاما قوله ـ لا يكتنون غداة العل والنهل ـ فاراد انهم ليسوا برعاة يسقون الابل بل لهم من يخدمهم ويكفيهم ويرعي إبلهم وانما يكتني ويرتجز على الدلو السقاة والرعاة وفيه وجه آخر قيل انهم يسامحون شريبهم ويؤثرونه بالسقي قبل أموالهم ولا يضنون عليه ولا يكتنون وهذا من الكرم والتفضل لا من الضعف •• وقيل أيضاً بل عنى انهم أعزاء ذوو منعة اذا وردت إبلهم ماء أفرج الناس لها عنه لأنها قد عرفت فليس يحتاج أربابها الى الاكتناء والتعريف وقال قوم في قوله يكتنون انه أراد كنت يده تكنن اذا خشنت من العمل فيقول ليسوا أهل مهنة فتكنن أيديهم فتخشن من العمل بل لهم عبيد يكفونهم ذلك •• وقوله ـ صدأ

شيء يؤذيها كالتراب والعود ونحوهما •• وقوله ـ وفي الغر ـ الخ معطوف علي قوله فى عيني وهو جمع أغر وغراء أراد رمي الله فى أنيابها الحسان النقية البياض القوادح فالباء زائدة أيضا والأنياب جمع ناب وهى السن ـ والقوادح ـ جمع قادح وهو السواد الذي يظهر فى الاسنان فالاسنان تتأكل منه •• ويدفع في صدر ما تقدم ماروى ان جميلا لقى بثينة بعد تهاجر بينهما طالت مدته فتعاتبا طويلا فقالت له ويحك ياجميل أتزعم انك تهواني وأنت الذى تقول رمي الله في عيني بثينة بالقذى البيت فأطرق طويلا يبكي ثم قال

ألا ليتنى أعمى أصم تقودني ... بثينة لايخفى على كلامها

وروى أيضاً ان كثيراً قال وقفت على جماعة يفيضون فى وفي جميل أينا أصدق عشقاً ولم يكونوا يعرفونى ففضلوا جميلا فقلت لهم ظلمتم كثيراً كيف يكون جميل أصدق منه وحين أتاه من بثينة ما يكره قال رمي الله فى عيني بثينة بالقذى البيت وكثير حين أتاه من عزة مايكره قال

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت

فما انصرفوا الا على تفضيلى وهذا يدل على أن جميلا دعا عليها حقيقة اه

السرابيل ـ فانما أراد بهم طول حملهم للسلاح ولبسهم له ـ والمقانب ـ هي الأوعية التى يكون فيها الزاد فكأنه يقول اذا سافروا لم يشدوا الاوعية على مافيها وأطعموا أهل الرفقة وهذه كناية عن الاطعام وبذل الزاد مليحة ـ وعجر البطون ـ من صفات المناقب أراد انها لاتوكي عجر البطون ولا تطوى على فضل الزاد •• ولبعض شعراء بني أسد وأحسن غاية الاحسان

رَأَتْ صُرْمَةً لِإبْنَيْ عُبَيْدٍ تَمَنَّعَتْ ... مِنَ الحَقِّ لَمْ تُوزَلْ بِحَقٍّ إفالُها

فقالتْ ألاَ تَغْذُو فِصالَكَ هكَذَا ... فَقُلْتُ أَبَتْ ضِيفانُها وَعِيالُها

فَما حُلِبَتْ إلاَّ الثَّلاَثَةَ وَالثنيْ ... وَلاَ قُيِّلَتْ إلاَّ قَرِيبًا مَقالُها

حَدَابِيرُ مِنْ كلِّ العِيالِ كأَنَّها ... أَنَاضِيُّ شُقْرٍ حلَّ عنْها جِلالُها

شكى هذا الشاعر من امرأته وحكى عنها أنها رأت إبلا لجيرانه لم تعط فى حمالة ولم تعقر فى حق ولم تحلب لضيف ولا جار فهي سمان •• وقوله ـ لم توزل إفالها ـ فالإفال الصغار وتوزل من الازل وهو الضيق فى العيش والشدة فيقول فصال هؤلاء سمان لم تلق بؤساً لأن ألبان أمهاتها موفورة عليها •• وحكى عن امرأته أنها تقول أغذانت فصالك هكذا فقال لها تأبي ذلك الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيفان ثم أخبر انه لم يلتفت الى لومها وان الابل ماحلبت بعد مقالتها الا مرتين أو ثلاث ولا قيلت من القائلة الا بقرب البيوت حتى نحرها ووهبها ـ والحدابير ـ المهازيل وانما يعنى فصاله وهزالها من أجل انها لاتسقى الالبان وتعقر أمهاتها ـ وأناضي ـ جمع نضو فشبه فصاله من هزالها بانضاء خيل شقر •• وقوله ـ حدابير من كل العيال ـ فيه معنى حسن لأنه أراد انها من بين جميع العيال مهازيل وهذا تأكيد لأن سبب هزالها هو الايثار بألبانها واختصت بالهزال من بين كل العيال والعيال ههنا هم الجيران والضيفان وانما جعلهم عيالا لأن كرمه وجوده قد ألزمه مودتهم فصاروا كأخص عياله •• ومثل ذلك قول الشاعر

تُعَيِّرُنِي الحُظُلاَنَ أُمُّ مُحَلِّمٍ ... فَقُلْتُ لهَا لم تَقْذِفِيني بِدَائِيا

فإنّى رأيتُ الصّامِرِينَ متاعَهمْ ... يُذَمُّ ويَفنى فارضَخى من وِعائيا[1]

فلمْ تجِدِينى في المَعِيشةِ عاجزًا ... ولاَ حصرِماً خباشَدِيدًا وكائيا

ـ الحظلان ـ الممسكون البخلاء والحظل الامساك ـ وأم محلم ـ امرأته •• ومعنى قوله تعيرني الحظلان أى بالحظلان تقول مالك لاتكون مثل هؤلاء الذين يحفظون أموالهم ـ والصامرون ـ أيضاً البخلاء فقال لها رأيت البخلاء يضنون بما عندهم وهو يفنى ويبقى الذم فارضخى من وعائى وهذا مثل أى أعطي الناس مما عندي وهو من قولك رضخ له بشئ من عطيته ـ. والحصرم ـ الممسك تقول العرب حصرم قوسك أى شدد وترها •• وقوله ـ فلم تجدينى في المعيشة عاجزاً ـ أى أنا صاحب غارات أفيد وأستفيد وأتلف وأخلف فلا تخافى الفقر •• وقال مسكين الدارمى

أصبحتْ عاذِلَتى مُعتلّةً ... قَرِماً أمْ هِيَ وَحمى لِلصخَبْ

أصبحتْ تتفلُ في شحمِ الذّرَى ... وتَظُنُّ اللّوْمَ دُرًّا يُنتهبْ

لاَ تلُمْها إنّها مِنْ نِسوَةٍ ... مِلحُهامَوضُوعةٌ فوقَ الرُّكَبْ

يقول أنها تكثر لومى وكأنها قرمة الى اللوم كقرم الانسان الى اللحم وهي وحمى تشتهي الصخب ـ والوحم ـ شدة شهوة الطعام عند الحمل ـ وشحم الذرى ـ الاسنمة وأراد تتفل فيها أنها تعوذ ابلى لتزينها فى عيني ولتعظم قدرها فلا أهب منها ولا أنحر ثم أخبر ان أصلها من الزنج ـ والملح ـ الشحم وشحم الزنج[2] يكون على اوراكهم •• وأكفالهم وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد

---

(١) قوله ـ فاني رأيت الصامرين ـ الخ الصامرون الباخلون أراد الصامرين بمتاعهم •• وروي يموت بدل يذم أي يموتون وهذا من اعادة ضمير المفرد على الجمع •• وقال يعقوب الحظلان مشي الغضبان

(٢) قوله ـ وشحم الزنج ـ الخ هذا تفسير الأصمعي •• وقال أبو عمرو الشيباني

أيا ابْنةَ عبْدِ اللهِ وابْنةَ مالِكٍ ... ويا ابْنةَ ذِي البُرْدَيْنِ والفَرَسِ النّهْدِ[1]

إذَا ماصَنَعْتِ الزّادَ فالتَمِسي لهُ ... أكِيلاً فإنّي لستُ آكلُهُ وَحدِي

قَصِياً كرِيمًا أوْ قَرِيبًا فإنّنى ... أخافُ مذَمّاتِ الأحادِيثِ مِنْ بعْدِي[2]

ملحها موضوعة فوق الركب * أي انها بخيلة تضع ملحها فوق ركبتيها فهى تأمرني بذلك •• وقال غيرهما من اللغويين •• قوله ملحها موضوعة فوق الركب أي انها سريعة الغضب يقال للسريع الغضب ملحه فوق ركبتيه وكذا غضبه على طرف أنفه

(١) ـ عنى بذي البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة وانما لقب ذا البردين لأن وفود العرب اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء فاخرج بردى محرق وقال ليقم أعز العرب قبيلة فاليلبسهما فقام عامر المذكور فأتزر بأحدهما وتردى بالآخر فقال له النعمان أنت أعز العرب قبيلة قال العز والعدد فى معد ثم في نزار ثم فى مضر ثم فى خندف ثم في تميم ثم فى سعد ثم فى كعب ثم في عوف ثم في بهدلة فمن أنكر هذا فى العرب فلينافرني فسكت الناس فقال النعمان هذه عشيرتك فكيف أنت كما تزعم في نفسك وأهل بيتك فقال أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وأما أنا فى نفسي فهذا شاهدى ثم وضع قدمه في الارض وقال من أزالها عن مكانها فله مائة من الابل •• وقوله ـ والفرس ـ النهد ويروي الورد والورد هو بين الكميت والاشقر •• والمراد بابنة عبد الله نفوسة بنت زيد الفوارس الضبى وكان قيس بن عاصم المنقري رضى الله عنه تزوجها فأتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام فقال أين أكيلى فلم تعلم مايقول حتي قال الابيات فارسلت جارية لها تطلب له أكيلا ـ الاكيل ـ المؤاكل كالنديم المنادم والشريب المشارب والجليس المجالس ولا يطلق الا على من تكرر منه ذلك لامن وقع ذلك منه مرة وانما نكره ولم يقل أكيلى لأنه عرف بمؤاكلته عدة فأراد واحداً منهم قاله التبريزي والمرزوقى

(٢) قوله ـ قصياً كريماً ـ النخ روى بدلهما •• أخاً طارقا أو جار بيت فاني •• النخ •• وقوله أخا بدل من أكيلا ـ والمذمة ـ بالفتح الذم وروى بعد

وإنّي لِعبـدُ الضيّفِ مادَامَ نازِلاً　　وما في صِفاتي غيرَها شِيمُ العَبـدِ

قال أبو العباس استثنى الكرم من القصي البعيد ولم يستثنه من القريب لأن أهله جميعاً عنده كرام وأراد بقوله ـ عبد الضيف ـ أن يخدم الضيف هو بنفسه لايرضى له بخدمة عبده ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ويشبه ذلك قول المقنع الكندى

وإنّي لعبدُ الضيّفِ مادَامَ نازِلاً　　وما لِى سِوَاها خِلّةٌ تُشْبِهُ العَبْدَا [1]

هذا البيت بيتان وهما

وكيف يسيغ المرء زاداً وجاره　　خفيفُ المعا بادى الخصاصة والجهد

وللموت خير من زيارة باخل　　يلاحظ أطراف الاكيل على عمد

٠٠ وقيل ان هذه الابيات لحاتم الطائي والصحيح انها لقيس بن عاصم كما تقدم

[١] ـ أول القطعة التى منها هذا البيت .

يعاتبني في الدين قومى وانما　　ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

ألم ير قومي كيف أوسر مرة　　وأعسر حتى تبلغ العسرة الجهدا

فما زادنى إلا سناء ورفعة　　ومازادني فضل الغنى منهم بعدا

أسد به ماقد أخلوا وضيعوا　　ثغور حقوق ماأطاقوا لها سدا

وفى جفنة ما يغلق الباب دونها　　مكللة لحما مدفقة ثردا

وفى فرس نهد عتيق جعلته　　حجابا لبيتى ثم أخدمته عبدا

وان الذي بينى وبين بني أبى　　وبين بني عمى لمختلف جدا

أراهم الى نصرى بطاء وإنهم　　دعوني الى نصر أتيتهم شدا

اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم　　وإن يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا

وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم　　وان هم هووا غيبي هويت لهم رشدا

وان زجروا طيراً بنحس تمر بي　　زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم　　وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

لهم جل مالى ان تتابع لى غنى　　وان قل مالي لاأ كلفهم رفدا

وانما اشترط فى كونه عبداً للضيف فى البيت الاول والثانى ثواءه ونزوله مؤثراً له ليعلم ان الخدمة لم تكن لضعة وصغر قدر بل انما يوجبه الكرم من حق الاضياف وانه يخرج عن أن يكون مخدوما بخروجه من أن يكون ضيفاً ولو قال وانى لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل

مجلس آخر ٦٤

[تأويل آية]٠٠إن سأل سائل فقال بم تدفعون من خالفكم فى الاستطاعة وزعم أن المكلف يؤمر بمالايقدر عليه ولا يستطيعه اذا تعلق بقوله تعالى (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) وان الظاهر من هذه الآية يوجب انهم غير مستطيعين للأمر الذى هم غير فاعلين له وان القدرة مع الفعل واذا تعلق بقوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام (انك لن تستطيع معى صبراً) وانه نفي كونه قادراً على الصبر فى حال هو فيها غير صابر وهذا يوجب ان القدرة مع الفعل وبقوله تعالي (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ٠٠ الجواب يقال له أول مانقوله ان المخالف لنا في هذا الباب فى الاستطاعة لا يصح له فيه التعلق بالسمع لأن مذهبه لايسلم معه صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بأدلته وانما قلنا ذلك لأن من جوز تكليف الله تعالي الكافر الايمان وهو لايقدر عليه لايمكنه العلم نفى القبائح عن الله عز وجل واذا لم يمكنه ذلك فلا بد من أن يلزمه تجويز القبائح فى أفعاله تعالى وأخباره ولا يأمن أن يرسل كذابا وأن يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع ان كان كلامه قدح في حجته تجويز الكذب عليه وان كان كلام رسوله عليه السلام قدح فيه مايلزمه من تجويز تصديق الكذاب وانما طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه وليس لهم أن يقولوا ان أمره تعالى الكافر بالايمان وان لم يقدر عليه يحسن من حيث أتي الكافر

وانى لعبد الضيف مادام نازلا　　وماشيمة لي غيرها تشبه العبدا

فيه من قبل نفسه لأنه تشاغل بالكفر وترك الايمان وانما كان يبطل تعلقنا بالسمع لو أضفنا ذلك اليه لكان على وجه يقبح وذلك لأنما قالوه اذا لم يؤثر في كون ماذكرناه تكليفاً لمالا يطاق لم يؤثر فى انى ما ألزمناه عنهم ولأنه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب وسائر القبائح وتكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لايقبح منه وليس قولهم انا لم نضفه اليه من وجه يقبح بشئ يعتمد بل يجري مجري قول من جوز عليه تعالى الكذب ويكون الكذب منه تعالى حسناً ويدعى مع ذلك صحة معرفة السمع بأن يقول انني لم أضف اليه تعالى قبيحاً فيلزمه فى إفساد طريقة السمع فلما كان من ذكرناه لاعذرله في هذا الكلام لم يكن للمخالف فى الاستطاعة عذر بمثله ٠٠ ونعود الى تأويل الآى أما قوله تعالي (أنظر كيف ضربوا) الآية فليس فيه ذكر للشئ الذي لايقدرون عليه وبيان له وانما كان يصح ماقالوه لو بين تعالي انهم لايستطيعون سبيلا الى أمر معين فاما اذا لم يكن ذلك كذلك فلا متعلق لهم ٠٠ فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله (فلا يستطيعون سبيلا) الي مفارقة الضلال ٠٠ قلنا انه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل منهم فيجوز أن يريد انهم لايستطيعون سبيلا الي تحقيق ماضربوه من الامثال اذ ذلك غير مقدور على الحقيقة ولا مستطاع والظاهر أن هذا الوجه أولي لأنه عز وجل حكي انهم ضربوا له الامثال وجعل ضلالهم وانهم لايستطيعون السبيل متعلقاً بما تقدم ذكره وظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين جميعاً اليه وانهم ضلوا بضرب المثل وانهم لايستطيعون سبيلا الي تحقيق ماضربوه من المثل على انه تعالي أخبرنا بأنهم ضلوا وظاهر ذلك الاخبار عن ماضى فعلهم فان كان قوله تعالى (فلا يستطيعون سبيلا) يرجع اليه فيجب أن يدل على أنهم لايقدرون على ترك الماضى وهذا مما لايخالف فيه وليس فيه ماناباه من أنهم لايقدرون فى المستقبل أوفى الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذر تركه بعد مضيه فاذا لم يكن للآية ظاهر فلم صاروا بان يحملوا نفى الاستطاعة على أمر كلفوه باولي منا اذا حملنا ذلك على أمر لم يكلفوه أو على انه أراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقة عليهم ولو جرت عادة أهل اللغة بان يقولوا لمن يستثقل شيئاً انه لايستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه ألا ترى

انهم يقولون ان فلاناً لايستطيع أن يكلم فلانا ولا ينظر اليه وما أشبه ذلك وانما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة والمشقة ٠٠ فان قيل فاذا كان لاظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم ٠٠ قلنا قد ذكر أبو على ان المراد انهم لايستطيعون الي بيان تكذيبه سبيلا لانهم ضربوا الامثال ظناً منهم بأن ذلك يبين كذبه فاخبر تعالى أن ذلك غير مستطاع لأنه تكذيب صادق وابطال حق مما لايتعلق به قدرة ولا يتناوله استطاعة وقد ذكر أبو هاشم ان المراد بالآية انهم لأجل ضلالهم بضرب الأمثال وكفرهم لايستطيعون سبيلا الى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب ٠٠ وليس يمكن على هذا أن يقال كيف لايستطيعون سبيلا الي الخير والهدى وهم عندكم قادرون على الايمان والتوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لأن المراد انهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لاسبيل لهم الى خير وهدى وانما يكون لهم سبيل الى ذلك بان يفارقوا ماهم عليه ٠٠ وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ماتقدم ذكره من أن المراد بنفى الاستطاعة عنهم انهم مستثقلون للايمان وقد يخبر عمن استثقل شيئاً بأنه لايستطيعه على ماتقدم ذكره ٠٠ فاما قوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام (انك لن تستطيع معي صبرا) فظاهره يقتضى انك لاتستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على أنه غير مستطيع للصبر فى الحال وأن يفعله في الثانى وقد يجوز أن يخرج فى المستقبل من أن يستطيع ماهو فى الحال مستطيع له غير أن الآية تقتضى خلاف ذلك لأنه قد صبر على المسئلة أوقاتا ولم يصبر عنها في جميع الاحوال فلم ينف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الاوقات المستقبلة على أن المراد بذلك واضح وانه خبر عن استثقال الصبر عن المسئلة عمالا يعرف ولا يقف عليه لأن مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا يجد أحدنا اذا وجد بين يديه ماينكره ويستبعده تنازعه نفسه الى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن الفحص عن أمره فلما حدث من صاحب موسى عليه السلام مايستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسئلة عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالي (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) فبين تعالى ان العلة فى قلة صبره ماذكرناه دون غيره ولو كان على ماظنوه لوجب أن يقول وكيف تصبر وأنت غير مطيق للصبر ٠٠ فاما قوله

تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع) فلا تعلق لهم بظاهره لأن السمع ليس بمعني فيكون مقدوراً لأن الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعني ولو ثبت انه معنى على مايقوله أبو على لكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث اختص تعالى بالقدرة عليه هذا ان أريد بالسمع الادراك وان أريد به نفس الحاسة فهى أيضاً غير مقدورة للعباد لأن الجواهر وما تختص به الحواس من البنية والمعانى لايصح بها الادراك فانهما ينفرد به القديم تعالى في القدرة عليه فالظاهر لاحجة لهم فيه •• فان قالوا فلعل المراد بالسمع كونهم سامعين كأنه تعالي نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا ••قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت ان المراد ذلك لحملنا نفى الاستطاعة على ماتقدم ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل فلان لايستطيع أن يرانى ولا يقدر على أن يكلمنى وما أشبه ذلك وهذا بين لمن تأمله

[تأويل خبر] •• ان سأل سائل فقال ماتأويل مارواه بشار عن معاوية بن الحكم قال قلت يارسول الله كانت لى جارية ترعي غنما لى قبل أحد فذهب الذئب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني غضبتُ فصككتها صكة قال فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت يارسول الله أفلا أعتقها قال إئتنى بها فأتيته بها فقال عليه الصلاة والسلام أين الله قالت فى السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعتقها فانها مؤمنة •• الجواب أما قوله ــ أنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون ــ فمعناه أغضب كما يغضبون •• قال محمد بن الحبيب وأنشد للراعى

فَما لحقَتْنى العيسُ حتَّى وَجَدْتَنى ... أسِيفا على حادِيهِمُ المُتَجَرِّدِ

والاسف أيضاً الحزن •• قال ابن الاعرابي الاسف الحزن والغضب قال كعب

في كلِّ يَومٍ أرَى فيهِ منيَّتهُ ... يَكادُ يَسقُطُ مِنِّي مِنَّةً أسَفا

وقوله ــ ولكني غضبت فصككتها ــ أراد لطمتها يقال صك جبهته اذا لطمها بيده قال الله تعالى (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها) •• وقال بشر بن أبي خازم يصف حمار وحش وأتانا

فَيَصُكُّ مِحجَرَهُ إذَا ماسافَها ... وَجَبِينَهُ بِحَوافِرٍ لم تُنْكَبِ

ــ سافها ــ اذا شمها •• وقولها ــ في السماء ــ فالسماء هي الارتفاع والعلو فمعني ذلك انه تعالى عال في قدرته وعزيز في سلطانه لايبلغ ولا يدرك ويقال سما فلان يسمو سموا اذا ارتفع شأنه وعلا أمره وقال تعالي (أءمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض) الآية فاخبر تعالى بقدرته وسلطانه وعلو شأنه ونفاذ أمره •• وقد قيل فى قوله تعالي (أءمنتم من فى السماء) غير هذا وان المراد ءأمنتم من في السماء أى أمره وآياته وقدرته ورزقه وما جرى مجرى ذلك •• وقال أمية بن أبي الصلت شاهداً لما تقدم

وأشهَدُ أنَّ اللهَ لاَ شَيءَ فَوقَهُ ... علِيًّا وأمسِي ذِكرُهُ متعالِيا

وقال سليمان بن يزيد العدوى

لكَ الحَمدُ ياذَا الطَّوْلِ والمُلْكِ والغِنى ... تَعاليتَ مَحمُودًا كرِيمًا وَجازِيا

عَلَوتَ على قُرْبٍ بِعِزٍّ وَقُدرَةٍ ... وكُنتَ قَرِيبًا في دُنُوِّكَ عالِيا

والسماء أيضاً سقف البيت ومنه قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله) الآية وقال ابن الاعرابي يقال لأعلى البيت سماء البيت وسماوانه وسرانه وصهوته والسماء أيضاً المطر قال الله تعالى (وأرسلنا السماء عليهم مدراراً) ومنه الحديث الذى رواه أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فادخل عليه الصلاة والسلام يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ماهذا ياصاحب البر قال أصابته السماء يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم أولا جعلته فوق الطعام يراه الناس من غش فليس منا •• وقال مثقب العبدى

فَلَمَّا أتانِى وَالسَّماءُ تَبُلُّهُ ... فقلتُ لهُ أهلاً وَسَهلاً وَمَرْحَبا

ويقال أيضاً لظهر الفرس سماء كما يقال لحوافره أرض •• ولبعضهم في فرس

وأحمَرَ كالدِّينارِ أما سَماؤُهُ ... فَخِصبٌ وأما أرْضُهُ فَمَحُولُ[1]

وانما أراد انه سمين الاعلى عريان القوائم ممشوقها وكل معاني السماء التى تتصرف وتتنوع

(١) ــ البيت لطفيل الغنوي •• وقال الراغب كل سماء بالاضافة الى مادونها فسماء وبالاضافة الى مافوقها فارض الا السماء الدنيا فانها سماء بلا أرض

ترجع الى معنى الارتفاع والعلو والسمو وان اختلفت المواضع التي أجريت هذه اللفظة فيها وأولى المعانى بالخبر الذى سئلنا عنه ماتقدم من معنى العزة وعلو الشأن والسلطان وما عدا ذلك من المعاني لايليق به تعالى وان العلو بالمسافة لايجوز على القديم تعالى الذى ليس بجسم ولا جوهر ولا حال فيهما ولأن الخبر والآية التي تضمنت أيضاً ذكر السماء خرجت مخرجَ المدح ولامدح في العلو بالمسافة وانما التمدح بالعلو فى الشأن والسلطان ونفاذ الامر ولهذا لاتجد أحداً من العرب مدح غيره فى شعر أو نثر بمثل هذه اللفظة وأراد بها علو المسافة بل لايريد الاماذكرناه من معنى العلو فى الشأن وانما يظن في هذه المواضع خلاف هذا من لافطنة عنده ولا بصيرة له

مجلس آخر ٦٥

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) الآية •• الجواب قلنا اما التنور فقد ذكر في معناه وجوه •• أولها أنه تعالى أراد بالتنور وجه الارض وان الماء نبع وظهر على وجه الارض وفار هذا قول عكرمة وقال بن عباس رضي الله عنهما مثله والعرب تسمى وجه الارض تنوراً •• وثانيها أن يكون المراد ان الماء نبع من أعالى الارض وفار من الاماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة روي عنه في قوله تعالى (وفار التنور) قال ذكر لنا أنه أرفع الارض وأشرفها •• وثالثها أن يكون المراد بفار التنور أى برز النور وظهر الضوء وتكاثف حرارة دخول النهار وتقضى الليل وهذا القول يروى عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه •• ورابعها أن يكون المراد بالتنور الذى يختبز فيه على الحقيقة وانه تنور كان لآدم عليه السلام أبي البشر وقال قوم ان التنور كان فى دار نوح عليه السلام بعين وردة من أرض الشام •• وقال آخرون بل كان التنور فى ناحية الكوفة والذي روي عنه ان التنور هو تنور الخبز الحقيقى ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم •• وخامسها أن يكون معنى ذلك اشتد غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع نقمته بهم وذكر تعالى التنور مثلا لحضور

العذاب كما تقول العرب قد فارت قدر القوم اذا اشتد الحرب وعظم الخطب والوطيس هو التنور وتقول العرب أيضاً قد حمي الوطيس اذا اشتد بالقوم حربهم •• قال الشاعر

تَفُورُ علَينا قِدرُهُمْ فَنُدِيمُها ... وَنَفثَؤُها عنّا إذاحَميُها غلا[1]

أراد بقدرهم حربهم ومعنى نديمها نسكنها ومن ذلك الحديث المروى عنه عليه الصلاة والسلام انه نهى عن البول فى الماء الدائم يعنى الساكن ويقال قد دوّم الطائر فى الهوى اذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما ونفثؤها معناه نسكنها يقال فثأت غضبه عنى وفثأت الحار بالبارد اذا كسرته به •• وسادسها أن يكون التنور الباب الذى يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران الماء منه والسفينة على الارض علماً على ما أنذر به من اهلاك قومه وهذا القول يروي عن الحسن وأولى الأقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقى لانه الحقيقة وما سواه مجاز ولأن الروايات الظاهرة تشهد له وأضعفها وأبعدها من شهادة الاثر قول من حمل ذلك على شدة الغضب واحتداد الأمر تمثيلا وتشبيهاً لأن حمل الكلام على الحقيقة التى تعضدها الرواية أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية وأى المعانى أريد بالتنور فان الله تعالى جعل فوران الماء علماً لنبيه عليه السلام وانه يدل على نزول العذاب بقومه لينجو بنفسه وبالمؤمنين •• فاما قوله تعالي (من كل زوجين اثنين) فقد قيل ان المراد به إحمل من كل ذكر وأنثي اثنين وانه يقال لكل واحد من الذكر والانثي زوج •• وقال آخرون الزوجان ههنا الضربان وقال آخرون الزوج اللون وان كل ضرب يسمى زوجا واستشهدوا ببيت الاعشي

في كلِّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيباجِ يَلْبَسهُ ... أبو قُدامَةَ مَحْبُورًا بِذاكَ معا

ومعنى (من سبق عليه القول) أي من أخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به والله أعلم بمراده

[تأويل خبر] •• إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه شريك عن عمار الذهبي عن أبى صالح الحنفى عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) البيت للنابغة الجعدي أبي ليلى رضى الله عنه وبعده

بطعن كتشهاق الجحاش شهيقه ... وضرب له ما كان من ساعد خلا

فى المنام وأنا أشكو اليه ما لقيت من الاود واللدد •• الجواب يقال له أما ـ الاود ـ فهو الميل تقول العرب لأقيمن ميلك وحنفك وأودك وذراك وضلعك وصعرك وصدغك وظلعك بالظاء وصعوك وصدعك كل هذا المعنى واحد •• وقال ثعلب الاود اذا كان من الانسان فى كلامه ورأيه فهو عِوج واذا كان فى الشيء المنتصب مثل عصا وما أشبهها فهو عَوج وهذا قول الناس كلهم الا أبا عمرو الشيباني فانه قال العوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر وقال ثعلب كأنه مصدر عوج يعوج عوجا ويقال عصاً معوجة وعود معوج وليس في كلامهم معوج •• وأما ـ اللدد ـ فقيل هو الخصومات وقال ثعلب يقال رجل ألدّ وقومٌ لدٌّ اذا كانوا شديدى الخصومة ومنه قول الله تعالي (وهو ألد الخصام) •• وقال الاموى اللدد الاعوجاج والالد في الخصومة الذي ليس بمستقيم أي هو أعوج الخصومة يميل فلا يقوي عليه ولا يتمكن منه ومن ذلك قولهم لد الصبي وانما يلد فى شق فيه وليس يلد مستقيما فهو يرجع الى معنى الميل والاعوجاج وقال فسر لنا الحكم بن ظهير فقال ألدّ الخصام أى اعوج الخصام •• وأنشد أبو السمح لابن مقبل

لَقَدْ طالَ عن دَهْماءَ لَدِّي وَعِذْرَتِى ... وَكِتمانُها أَكْنِي بأُمِّ فلانِ

جَعَلْتُ لِجُهَّالِ الرِّجالِ مَخاضَةً ... ولَوْ شِئْتُ قَدْ بَيَّنْتُها بِلِساني

ـ اللدد ـ الجدال والخصومة •• وقال أبو عمرو الألد الذى لا يقبل الحق ويطلب الظلم وقوله ـ مخاضة ـ يقول انهم يخوضون في شعري ويطلبون معانيه ولا يقفون عليها •• وأنشد أبو السمح

لَاَ تَفْتَرِ الكَذِبَ القَبِيحَ فإِنَّهُ ... لِلمَرْءِ مَعتَبَةٌ وَبابُ مَلامِ

واصْدُقْ بِقَوْلِكَ حِينَ تَنْطِقُ إِنَّهُ ... لِلصِّدْقِ فَضْلٌ فَوْقَ كلِّ كَلامِ

وإِذَا صَدَقْتَ على الرِّجالِ خَصَمْتَهُمْ ... والصِّدْقُ مَقْطَعَةٌ على الظُّلَّامِ

وإِذَا رَماكَ غَشُومُ قَوْمٍ فازْمِهِ ... باللدِّ مُشْتَغِرِ المدى غَشَّامِ

لاَ تَعْرِضَنَّ على العَدُوِّ وَسِيلَةً ... واحْذَرْ عَدُوَّكَ عِنْدَ كلِّ مَقامِ

واعْلَمْ بِأَنْ قَدْ لَيْسَ يَوْماً نافِعاً ... عِنْدَ اللَّئِيمِ وسائِلُ الأَرْحامِ

مالَمْ يَخَفْكَ وَيَلْقَ عِنْدَكَ جانِباً ... خَشِناً وتُصْبِحُهُ بِكأْسِ سِمامِ

وإِذَا حَلَلْتَ بِمأْزِقٍ فاكْرِمْ بِهِ ... حتَّي تُفَرِّجَ حَلْبَةَ الظُّلَّامِ

فاصبِرْ على كُرَبِ البَلاَءِ فإِنَّهُ ... لَيْسَ البَلاَءُ على الفَتَي بِلِزامِ

واعْلَمْ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ وَمُحَدَّثٌ ... عَمَّا فَعَلْتَ مَعاشِرُ الأَقْوامِ

معنى قوله ـ مشتغر المدى ـ أي بعيد المدى •• ومعنى قوله ـ لا تعرضن على العدو وسيلة ـ أى لا تقاربه ولا تصانعه ولا يكن بينك وبينه الا صدق العداوة •• وأنشد أيضاً شاهداً لما تقدم

يا وَهْبُ أَشْبِهْ باطِلِي وجِدِّى ... أَشْبَهْتَ أَخْلاَقِى فأَشْبِهْ مَجْدِي

وَجَدَ لِى عِنْدَ الخُصُومِ اللُّدِّ

•• [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه ومن أحسن ماوصف به الثغر قول فضالة ابن وكيع البكرى

تَبَسَّمُ عن حُمِّ اللِّثاتِ كأَنَّها ... حَصَى بَرَدٍ أو أُقْحُوانُ كَثِيبِ

إِذَا ارتَفَعَتْ عن مَرْقَدٍ عَلِمَتْ بِهِ ... مِنَ اليانِعِ القَوْرِيِّ فَرْعَ قَضِيبِ

قَضِيبٍ نَجاهُ الرَّكْبُ أَيامَ عَرَّفُوا ... لَها مِنْ ذُرَى ما لِلنَباتِ خَضِيبِ

يعني من يانع الاراك •• ومعنى ـ نجاه أي قطعه ومثله استنجاه أيضاً و ـ ما للنبات ـ أى ناعمه وحسنه يقال عشب مال وماد سواء أي مياد ناعم •• ومعنى ـ أيام عرفوا ـ أى اجتنوه من عرفات وذكر انه خضيب بالطيب الذى بيديها لادمانها لاستعماله •• وقال الاخطل يصف ثغراً

شَتِيتا يَرْتَوِي الظمآنُ مِنْـهُ إذَاالجَوْزَاءُ احْجَبتِ الضِّبابا[١]

ـ الشتيت ـ هو المتفرق المفلج الذي ليس بمتراكب ٠٠ ومعـنى قوله ـ اذا الجوزاء أحجبت الضبابا ـ فيه وجهان ٠٠ أحدهما انه أراد سقوط الجوزاء وذلك فى شدة البرد وطول الليـل اذا انجحرت الضباب من البرد وتغيرت الافواه لطول ليل الشتاء يقول فثغرها حينئذ عذب غير متغير ٠٠ والوجه الثانى انه أراد عند طلوع الجوزاء فى شدة الحر اذا انجحرت الضباب من شدة الحر والقيظ فالظمآن حينئذ أشد عطشاً وأحر غلة فريقها يرويه ويبرد غلته ٠٠ وقال آخر

فَوَيْلٌ بِها لِمَنْ تَـكُونُ ضَجِيعَهُ إذَاماالثُّرَيَّاذَبْذَبَتْ كلُّ كَوْكَبِ

قوله ـ فويل بها ـ من الزجر المحمود مثل قولهم ويل أمه ما أشجعه فكأنه يقول نعم الضجيع هى عند السحر اذا تحادرت النجوم للمغيب كما قال ذو الرمة

(١) ـ وفي رواية شليباً بدل شلياً والروايتان متقاربتا المعـنى فان الشليب كثير الشلب وهو ماء ورقه وبرد وعذوبة في الاسنان وقيل حد فيها أو هو نقط بيض فيهـا أوحدة الانياب كالغرب تراها كالمنشار ٠٠ والشتيت المفلج والبيت من قصـيدة يمدح بها عبد الله بن سعيد بن العاص ومطلعها

ألم تعرض فتسـأل آل لهو وأروى والمـدلة والربابا
بأيام خـوال صـالحـات ولذات تذكرنى الشـبابا
نزلت بهن فاستذكيت ناراً قليـلا ثم أسرعـن الذهابا
وكنّ إذا بدون بقبل صيف ضربن بجانب الجفـر القبابا
نواعم لم يقظن بجد مقـل ولم يقذفن عن حفض غرابا

ـ الجد ـ البئر ـ ومقل ـ أرض ـ والحفض ـ البعير يحمل متاع القوم اذا انتقلوا ٠٠ وقوله لم يقذفن عن حفض غرابا أي لم يعالجن أنفسـهن وكأنه وصفهن بالخفر والستر ومنها

ونفس المرء ترصـدها المنايا وتحـذر صولة حتي يصـابا
اذا مرت به ألقت عليـه أحدّ سـلاحها ظفراً ونابا

وأَبْدِي الثُّرَيَّا جُنَّحٌ في المَغارِبِ

وقال الآخر

نِعْمَ شِعارُ الفتى إذَابَرَدَ اللَّيْـــلُ سُحَيْرًا وَقَفْقَفَ الصُّرَدُ[١]

وانما يعنى انها في ذلك الوقت الذى تتغير فيه الافواه طيبة الريق عذبته ٠٠ وأنشد أبو العباس ثعلب لأم الهيثم

وَعارِضٍ كَجانِبِ العِرَاقِ أنْبَتَ بَرَّاقا مِنَ البرَّاقِ
يذَاقُ مِثْلَ العَسَلِ المُذَاقِ

قال أبو العباس في هذا قولان ٠٠ أحدهما انها وصفت ثغراً ـ وعارضاه ـ جانباه ـ والعراق ـ ماثنى ثم بخرز كعراق القربة فاخـبرت انه ليس فيـه اعوجاج ولا تراكب ولا نقص ٠٠ وقولها ـ أنبت براقا من البراق ـ أى مانبته الارض اذا مطرت من النَّوْر ٠٠ قال المبرد والقول الاول عندنا أصح لذكرها العسل ٠٠ وأنشد أحمد بن يحيي لتأبط شراً

وشعْبٍ كشَكِّ الثَّوْبِ شَكْسٍ طَرِيقُهُ مَجَامِعُ ضُوجَيْـهِ نِطافٌ مَخاصِرُ
تَعَسَّفْتُهُ باللَّيْـلِ لم يَهْـدِني لهُ دَلِيلٌ ولم يُحسِن لهُ النَّعتَ خابِرُ[٢]

قال يعنى ـ بالشعب ـ فم جارية ـ كشك الثوب ـ يعنى كف الثوب اذا خاطه الخياط ـ والشكس ـ الضيق يصـفها بصغر الفم وحسنه ورقة الشفتين ـ وضوجاه ـ جانباه وضوج الوادي جانبـه ـ والمخاصر ـ الباردة من الخصر ويعنى ـ بالنطاف ـ الريق ٠٠ وقوله ـ لم يهدني له دليل ـ أى لم يصل اليه غيري كما قال جرير

ألاَ رُبَّ يَوْمٍ قدْشَرِبْتُ بِمشْرَبٍ شفَاالغيْمَ لم يَشْرَبْ بِهِ أحَدٌ قَبْلي

(١) ـ وبعده ٠٠ زينها الله فى الفؤاد كما زُين في عين والدٍ ولد

(٢) وفسر ابن سيدة هذين البيتين بما نصه ٠٠ قال فانه عنى بالشعب ههنا الفم وجعله كشك الثوب لاصطفاف نبته وتناسق بعضه فى اثر بعض كالخياطة فى الثوب وجعل جانبي الفم ضوجين

ـالغيم ـ والغين المعاش وانما يعنى ريق جارية •• قال أبو العباس وقال آخرون بل يعنى شعباً من الشعاب مخنوقا ضيقا سلكه وحده قال أبو العباس انما كنى بالشعب عن فم جارية ثم أخذ في وصف الشعب ليكون الامر أشد التباساً •• [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه والاشبه أراد أن يكون شعباً حقيقياً لأن تأبط شراً لصاً وصافاً للاهوال التي يمضى بها ويعانيها فى تلصصه وكان كثيراً مايصف تدليه من الجبال وتخلصه من المضايق وقطعه المفاوز وأشباه ذلك والقطعة التى فيها البيتان كأنها تشهد بأن الوصف لشعب لا لفم جارية لأنه يقول بعد قوله كشك الثوب

لَدُنْ مَطْلَعِ الشِّعْرَى قَلِيلٍ أنيسهُ	كَأَنَّ الطَّخَا في جانِبَيْهِ مَعاجِرُ
بِهِ مِنْ نَجاءِ الدَّلْوِ بِيضٌ أَقَرَّها	خَبارٌ لِصُمِّ الصَّخْرِ فِيهِ قَرَاقِرُ
وَقُرِّزْنَ حتَّى كُنَّ لِلْماءِ مُنْتَهى	وَغادَرَهُنَّ السَّيْلُ فِيما يُغَادِرُ
بِهِ نُطُفٌ زُرْقٌ قَلِيلٌ تُرابُها	جَلَا الْماءَ عَنْ أَرْجائِها فَهْوَ حائِرُ

•• وهذه الاوصاف كلها لاتليق الا بالشعب دون غيره وتأول ذلك على الفم تأول بعيد

وقد أحسن كثير فى قوله يصف ثغراً

وَيَوْمَ الخَيْلِ قَدْ سَفَرَتْ وَكَفَّتْ	رِداءَ العَصْبِ عَنْ رَتِلٍ بُرَادِ
وَعَنْ نَجْلاءَ تَدْمَعُ فِي بَيَاضٍ	إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فِي سَوَادِ
وَعَنْ مُتَكاوِسٍ فِي العَقْصِ جَثْلٍ	أَثِيثِ النَّبْتِ ذِي غُدُرٍ جِعادِ[1]

(١) ـالعصب ـ ضرب من البرود اليمنية ـ والرتل ـ بالفتح حسن التنضيد مستو النبات وقيل مفلج وربما قالوا رجل رتل الاسنان مثل تعب اذا كان مفلجها ـ وبراد ـ كغراب بارد •• وقوله ـ عن متكاوس ـ المتكاوس هنا شعر رأسها أى كثيف مأخوذ من تكاوس النبت وهو التفافه وسقوط بعضه على بعض ـ وجثل ـ كثير ملتف أيضاً •• والبيت من

وقال أبو تمام فى هذا المعنى

وَعلَى العِيسِ خُرَّدٌ يَتَبَسَّمْـــنَ عنِ الأَشْنَبِ الشَّتِيتِ البُرَادِ

قصيدة مشهورة له يتغزل بهـا في غاضرة جارية أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ثم رثى فيها صاحبه خنـدق الاسدي وخندق هذا هو الذي أدخل كثيراً في مـذهب الخشبية وأول القصيدة

شجا أظعان غاضرة الغوادى	بغير مثيبة غرضاً فؤادى
أغاضر لو شـهدت غداة بنتم	حنو المرضعات على وسادى
أويت لعاشق لم تشكميه	نوافذه تلذع بالزناد ✲

ويوم الخيل •• الابيات الثلاثة

وغاضرة الغداة وان نأتنـا	وأصبح دونها قطر البـلاد
أحب ظعينة وبنات نفسى	اليها لو بللن بهـا صوادى
ومن دون الذى أملت وداً	ولو طالبتهـا خرط القتـاد
وقال الناصحون تحل منهـا	ببذل قبـل شيمتها الجمـاد
وقد وعدتك لو أقبلت وداً	فلج بك التـدلل في تعادى
فأسررت الندامة يوم نادي	برد جمـال غاضرة المنادى
تمادى البعد دونهم فامست	دموع العـين لج بها التمادى
لقـد منع الرقاد فبت ليلى	تجافينى الهـموم عن الوساد
عدانى أن أزورك غير بغض	مقامك بين مصفحة شداد
وانى قائـل ان لم أزره	سقت ديم السواري والغوادى
محل أخى بنى أسـد قنونا	فـا والى الى برك الغـماد
مقيم بالمجـازة من قنونا	وأهلك بالاجيفر والثمـاد
فلا تبعد فكل فتى سـيأتي	عليه الموت يطرق أو يغادى
وكل ذخـيرة لابد يوما	ولو بقيت تصـير الى نفـاد
فلو فوديت من حدث المنايا	وقيتك بالطريف وبالتـلاد

كانَ شَوْكَ السَّيالِ حُسْناً فاضحى   دُونَهُ لِلفِراقِ شَوْكُ القَتادِ [1]

وقال البحترى

---

(١) ـ البيتان من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبى دؤاد ومطلعها

سعدت غربة النوى بسعاد   فهي طوع الاتهام والانجاد

* فارقتنا فللمدامع أنوا   ء سوارٍ على الخدود غوادى

كل يوم يسفحن دمعاً طريفاً   يمترى مزنه بشوق تلاد

واقع بالخدود والحر منه   واقع بالقلوب والاكباد

وعلى العيس البيتين .. وخمسة أبيات تقدمت ثم قال

ياأبا عبد الله أوريت زنداً   في يدى كان دائم الاصلاد

أنت جبت الظلام عن سنن الآمال اذ ضل كل هاد وحادى

فكأن المغذ فيها مقيم   وكأن السارى عليهن غادى

وضياء الآمال أفتح فى الطرف وفي القلب من ضياء البلاد

ومنها

بعد ما أصلت الوشاة سيوفا   قطعت فىَّ وهي غير حداد

من أحاديث حين دوختها بالـرأي كانت ضعيفة الاسناد

فنفى عنك زخرف القول سمع   لم يكن فرصة لغير السداد

ضرب الحلم والوقار عليه   دون عور الكلام بالاسداد

وحوان أبت عليها المعالى   ان تسمى مطية الاحقاد

ولعمرى ان لو أصخت لاقدمت بحتفى صيلية الحساد *

حمل العبء كاهل لك أمسى   لخطوب الزمان بالمرصاد

عاتق معتق من الهون الا   من مقاساة مغرم أو نجاد

للعمالات والحمائل فيه   كلحوب الموارد الاعداد

ملكتك الاحساب أى حياة   وحيا أزمة وحية وادى *

لو تراخت يداك عنها فواقا   أكلتها الايام أكل الجراد

وارَتْنا خَدًّا يُرَاحُ لهُ الورْ   دُ ويَشْتَمُّهُ جنَى التُّفَّاحِ

وَشَنِيباً يَغُضُّ مِنْ لُؤلُوءِ النَّظْـم ويزْرِى علي شَتِيتِ الأَقاحِي

فأَضاءتْ تحتَ الدُّجُنَّةِ للسَّرْ   بِ وكادَتْ تُضِيءُ لِلمِصْباحِ [1]

أنت ناضلت دونها بعطايا   عائدات على العفاة بوادى

* فاذا هلهل النوال أتتنا   ذات نيرين مطبقات الايادى

كل شئ غث اذا عاد والمعروف غث ما كان غير معاد

كادت المكرمات تنهد لولا   انها أيدت بحي إياد *

عندهم فرجة اللهيف وتصديق ظنون الرواد والوراد

باحاظي الجدود لا بل بوشك الجد لا بل بسؤدد الاجداد

وكأن الاعناق يوم الوغى أو   لى باسيافهم من الاغماد

فاذا ضلت السيوف غداة الرو   ع كانت هواديا للهوادى

قد بثثم غرس المودة والشحناء في قلب كل قار وبادى

أبغضوا عزكم وودوا نداكم   فقراكم من بغضة ووداد

لاعدمتم غريب مجد ربقتم   فى عراه نوافر الاضداد

(١) والابيات من قصيدة يقولها فى أبى مسلم البصري ومطلعها

هين مايقول فيك اللاحى   بعد اطفاء غلتى والتياحى

كنت أشكو شكوى المصرخ فالآن ألاقى النوى بدمع صراح

هل الى ذى تجنب من سبيل   أم على ذي صبابة من جناح

فسقى جانب المناظر فالقصـر هزيم المجاجل السحاح

حين جادت فوت الرياح فقلنا   أى شمس تجيء فوت الرياح

هزمنا شرخ الشباب فجالت   فوق خصر كثير جول الوشاح

وأرتنا خداً يراح له الور   دويشتمه جنى التفاح *

وشتيتاً يغض من لؤلؤ النظم ويزرى على شتيت الاقاحى

وقال أيضاً

سَفَرَتْ كما سَفَرَ الرَّبيعُ الطَّلْقُ عنْ ... وَرْدٍ يُرَقْرِقُهُ الضُّحى مَصْقولِ
وَتَبَسَّمَتْ عنْ لؤلؤٍ في رَصْفِهِ ... بَرَدٌ يَرُدُّ حُشاشَةَ المَتْبُولِ

وقد جمع كلما وصف به الثغر فى قوله

كأنما تبسم غن لؤلؤ ... منضد أو برد أواقاح

فاضاءت تحت الدجنة للشر ... ب وكادت تضيء للمصباح
وأشارت على الغناء بالحا ... ظ مراض من التصابي صحاح
فطربنا لهن قبل المثاني ... وسكرنا منهن قبل الراح
قد تدير الجفون من عدم الا ... لباب مالايدور فى الاقداح
ياأبا مسلم تلفت الي الشر ... ق وأشرف للبارق اللماح
مستطيراً يقوم فى جانب الليل على عرضه مقام الصباح
ومنيفاً يريك منبج نصاً ... وهي خضراء من جميع النواحي
ورياضاً بين العبيدى فالقصر فاعلى سمعان فالمستراح
عرصات قد أبرحت حرق الشوق اليهن أيما ابراح
فاذا شئت فارفع العيس يخنن بحر الوجيف تحت القداح
لتمين السحاب ثم على إسقاء أرض غرب الفرات براح
لانم السقيا بساحة قوم ... لم يبيتوا في نائل وسماح
ولعمري لئن دعيتك لاجو ... د لقدماً لبيتنى بالنجاح
خلق كالغمام ليس له بر ... ق سوى بشر وجهك الوضاح
ارتياحا للطالبين وبذ ... لا للمعالي للباذل المرتاح
أى جديك لم يفت وهو ثان ... من مساعيه السن المداح
وكلا جانبيك سبط الخوافى ... حين تسمو أنبت ريش الجناح
شرف بين مسلم مسلم الجو ... د وعبد العزيز والصباح

مجلس آخر ٦٦

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) الي آخر الآية •• فقال ما أنكرتم أن تكون هذه الآية دالة على أنه جعل الكافر كافراً لأنه أخبر بانه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير وليس يجعله كافراً الا بأن يخلق كفره •• الجواب يقال له قبل أن يتكلم في تأويل الاية بما تحتمله من المعانى كيف يجوز أن يخبرنا تعالى بانه يجعلهم كفاراً وخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الازراء عليهم وأي مدخل لكونه خالقاً لكفرهم في باب ذمهم وأى نسبة بينه وبينهم وبين ذلك بل لاشيء أبلغ فى عذرهم وبراءتهم من أن يكون خالقاً لماذمهم من أجله وهذا يقتضى أن يكون الكلام متناقضاً مستحيل المعنى ونحن نعلم ان أحداً اذا أراد ذم غيره وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام انما يقول ألا أخبركم بشر الناس وأحقهم بالذم واللوم من فعل كذا وصنع كذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الاحوال والافعال قبائحها ولا يجوز أن يدخل فى جملتها ماليس بقبيح ولا ماهو من فعل الذام أو من جهته حتى يقول في جملة ذلك ومن شاغل بالصنعة الفلانية التى أسلمها اليه وحمله عليها وان عقلا يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف •• فان قيل أليس قد ذمهم فى الكلام بان جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم فى ذلك فكذلك يجوز أن يذمهم ويجعلهم عابدين للطاغوت وان كان من فعله •• قلنا انما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على أفعالهم وباستحقاقهم فجري ذلك مجري أفعالهم كما ذمهم بان لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه تعالى بافعالهم وعبادتهم للطاغوت فان كان هو خلقها فلا وجه لذمهم بها لأن ذلك مما لا يستحقونه بفعل متقدم كاللعن والمسخ •• ثم نعود الى تأويل الآية فنقول لاظاهر للآية يقتضي ماظنوه وأكثر ماتضمنته الاخبار بانه جعل وخلق من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة فى أنه تعالي هو خالق الكافر وانه لاخالق له سواه غير ان ذلك لايوجب انه خلق كفره وجعله كافراً وليس لهم أن يقولوا كما نستفيد من قوله

تعالى جعل منهم القردة والخنازير انه جعل مابه كانوا كذلك هكذا نستفيد من قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خلق مابه كان عابداً للطاغوت وذلك انما استفدنا ماذكروه من الأول لأن الدليل قد دل علي أنما به يكون القرد قرداً والخنزير خنزيراً لايكون الا من فعله تعالى وليس مابه يكون الكافر كافراً مقصوراً علي فعله تعالى بل قد دل الدليل على أنه يتعالي عن فعل ذلك وخلقه فافترق الامران ٠٠ وفي الآيةوجه آخر وهو أن لايكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفا على القردة والخنازير بل معطوفا على من لعنه الله ومن غضب عليه وتقدير الكلام من لعنه الله ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة والخنازير وهذا هو الواجب لان عبد فعل والفعل لايعطف على الاسم فلو عطفنا على القردة والخنازير لكنا قد عطفنافعلا على اسم فالاولى عطفه علي ماتقدم من الافعال ٠٠ وقال قوم يجوز أن يعطف عبدالطاغوت على الهاء والميم فى منهم فكأنه تعالى جعل منهم ومن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد يحذف من فى الكلام قال الشاعر

أَمَنْ يهجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكمْ ... وَيَمْدَحهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ [1]

أراد ومن يمدحه وينصره ٠٠ فان قيل فهبوا هذا التأويل ساغ فى قراءة من قرأ بالفتح أين أنتم عن قراءة من قرأ وعبد بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن قرأ عبد الطاغوت بضم العين والباء ومن قرأ وعبد الطاغوت بضم العين والتشديد

(١) قوله ـ فمن يهجو رسول الله منكم ـ الخ قيل ان فيه ثلاثة عشر مرفوعاً ٠ فمنها قوله فمن يهجو فيها ثلاث مرفوعات المبتدأ والفعل المضارع والضمير المستكن ٠٠ ومنها المبتدأ المقدر فى قوله ويمدحه والمعنى ومن يمدحه فيكون هنا على حسب المثال الاول ثلاث مرفوعات أيضاً ٠٠ ومنها المرفوعان فى قوله وينصره أحدهما الفعل المضارع والثانى الضمير المستكن فيه ومنها المرفوعات الاربعة فى قوله سواء اثنان من حيث انه فى مقام الخبرين للمبتدأين واثنان آخران من حيث ان فى كل واحد ضميراً راجعاً الى المبتدأ والباقي المبتدأ المحذوف المعطوف على قوله من فى الاول في قوله فمن يهجو أى ومن يمدحه ومن ينصره

ومن قرأ وعباد الطاغوت ٠٠ قلنا المختار من هذه القراءة عند أهل العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الا حمزة فانه قرأ عبد بفتح العين وضم الباء وباقي القراآت شاذة غير مأخوذ بها ٠٠ قال أبو اسحاق الزجاج فى كتابه فى معاني القرآن عبد الطاغوت نسق على من لعنه الله قال وقد قرئت عبد الطاغوت والذي اختاره وعبدَ الطاغوت ٠٠ وروى عن ابن مسعود رحمه الله وعبدوا الطاغوت فهذا يقوي وعبد الطاغوت قال ومن قرأ وعبدُ الطاغوت بضم الباء وخفض الطاغوت فانه عند بعض أهل العربية ليس بالوجه من جهتين أحدهما ان عبد على وزن فعل وليس هذا من أمثلة الجمع لأنهم فسروه بخدم الطاغوت والثاني أن يكون محمولا على وجعل منهم عبد الطاغوت ثم خرّج الى من قرأ لعبد وجهاً فقال ان الاسم بني على فعل كما يقال رجل حذر أى مبالغ في الحذر فتأويل عبد انه بلغ الغاية فى طاعة الشيطان وهذا كلام الزجاج ٠٠ وقال أبو على الحسن بن عبد الغفار الفارسى محتجاً لقراءة حمزة ليس عبد لفظ جمع ألا ترى انه ليس فى أبنية الجموع شئ على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة ألا ترى ان فى الاسماء المفردة المضافة الى المعارف مالفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) وكذلك قوله وعبد الطاغوت جاء على فعل فان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقظ وندس فهذا كله تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا لأن عبد فى الاصل صفة وان كان قد استعمل استعمال الاسماء واستعمالهم اياه استعمالها لايزيل عنه كونه صفة ألا ترى ان الابرق والابطح وان كانا قد استعملا استعمال الاسماء حتى كسر أهل النحو عندهم من التكسير فى قولهم فى أبارق وأباطح فلم يزل عنه حكم الصفة يدلك على ذلك تركهم صرفه كتركهم صرف أحمر ولم يجعلوا ذلك كافكل وأيدع فكذلك عبد فان كان قد استعمل استعمال الاسماء فلم يخرجه ذلك عن أن يكون صفة واذا لم يخرج عن أن يكون صفة لم يمتنع أن يبنى بناء الصفات على فعل وهذا كلام مفيد في الاحتجاج لحمزة فاذا صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح أيضاً سائر ماروي من القراآت التى حكاها السائل كان الوجه الاول الذى ذكرناه فى الآية يزيل الشبهة فيها ٠٠ ويمكن

فى الآية وجه آخر على جميع القراآت المختلفة فى عبد الطاغوت وهو أن يكون المراد أن يجعل منهم عبد الطاغوت أي نسبه اليهم وشهد عليه بكونه من جملتهم ويجعل في مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل كقوله (وجعل الظلمات والنور) وكقوله تعالى (وجعل لكم من الجبال أكناناً) وهي ههنا تتعدى الى مفعول واحد وقد تكون أيضاً بمعنى التسمية والشهادة كقوله تعالي (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) وكقول القائل جعلت البصرة بغداد وجعلتنى كافراً وجعلت حسنى قبيحاً وما أشبه ذلك فهى ههنا تتعدى الى مفعولين ولجعل مواضع أخر لاحاجة بنا الى ذكرها فكأنه تعالى نسب عبد الطاغوت اليهم وشهد انهم من جملتهم •• فان قيل لو كانت جعل ههنا على ماذ كرتم لوجب أن يكون متعدية الى مفعولين لانها اذا لم تتعد الا الى مفعول واحد فلا معنى لها الا الخلق •• قلناهذا غلط من متوهمه لأن جعل ههنا متعدية الى مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم مقام المفعول الثاني عند جميع أهل العربية لأن كل جملة تقع فى موضع خبر المبتدا فهى تحسن ان تقع فى موضع المفعول الثانى كجعلت وظننت وما أشبهما •• وقال الشاعر

أبا لأَرَاجِيزِ يابْنَ اللُّؤْمِ تُوعِدُنِي　　　وفي الأَرَاجِيزِ خِلْتُ اللُّؤْمُ والخَوَرُ[1]

(١) ـ الاراجيز ـ جمع أرجوزة بمعنى الرجز وهو اسم بحر من بحور الشعر ولكن أراد بها القصائد المرجزة الجارية على هذا البحر •• وقوله ـ توعدني ـ من الايعاد لامن الوعد ـ واللؤم ـ بضم اللام وسكون الهمزة وهو أن يجتمع في الانسان الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء فهو من أذم مايهجي به وقد بالغ بجعل المهجو ابناًله اشارة الى أن ذلك غريزة فيه •• وأما اللوم بفتح اللام وسكون الواو فهو العذل يقال لامه على كذا لوماولومة فهو ملوم •• وقوله ـ الخور ـ بفتح الخاء المعجمة وفتح الواو أيضاً وفي آخره راء وهو الضعف يقال رجل خوار ورمح خوار وأرض خوّارة يقول انك راجز لاتحسن القصائد والتصرف فى أنواع الشعر فجعل ذلك دلالة على لؤم طبعه وضعفه •• فقوله ابا الاراجيز الهمزة للتوبيخ والانكار والباء تتعلق بقوله توعدني وقوله يابن اللؤم منادى مضاف

وقد فسر هذا على وجهين أحدهما على الغاء خلت من حيث توسطت الكلام فيكون فى الاراجيز على هذا في موضع رفع بانه خبر المبتدا • والوجه الثاني[1] على إعمال خلت

منصوب معترض بينهما وقوله اللؤم مرفوع بالابتداء والخور عطف عليه وخبره قوله فى الاراجيز وقوله خلت بينهم اعتراض ولو نصبهما علي المفعولية لجاز وكان الظرف حينئذ في محل النصب مفعولا ثانياً وخلت بمعنى علمت •• والبيت للعين المنقرى واسمه منازل بن زمعة من بني منقر بن عبيد بن الحارث بن تميم يهجو به رؤبة بن العجاج كذا قال بعضهم •• وقال النحاس يهجو العجاج وقال أبو الحجاج وبيت اللعين من كلمة رويها لام وقبله

انى أنا ابن جلا ان كنت تعرفنى　　　يارؤب والحية الصماء فى الجبل

مافي الدواوين فى رجلى من عقل　　　عند الرهان ولا أكوى من العقل

أبا لاراجيز يابن اللؤم توعدنى　　　وفى الاراجيز خلت اللؤم والفشل

هكذا رواه الجاحظ في كتاب الحيوان على أن الاقواء في البيت الثالث وأنشد الابيات الثلاثة فى كتاب الوحشي وليس فيها إقواء لأنه روي فيها وفي الاراجيز رأس القول والفشل

(١) قوله ـ والوجه الثاني على أعمال خلت فيكون فى الاراجيز في موضع نصب ـ الخ لم نر هذا التوجيه لغيره ونص سيبويه في كتابه ومن قال عبد الله ضربته نصب فقال عبد الله أظنه ذاهباً وتقول أظن عمراً منطلقا وبكراً أظنه خارجا كما قلت ضربت زيداً وعمراً كلته وان شئت رفعت على الرفع فى هذا فان ألغيت قلت عبد الله أظن ذاهب وهذا إخال أخوك وفيها أرى أبوك وكلما أردت الالغاء فالتأخير أقوى وكلٌ عربي جيد قال الشاعر وهو اللعين * أبا لاراجيز يابن اللؤم الخ * أنشده يونس مرفوعا وانما كان التأخير أقوي لأنه انما يجيء بالشك بعد مايمضى كلامه على اليقين أو بعد مايبتدئ وهو يريد اليقين ثم يدركه الشك •• وقال في التوضيح فصل لهذه الأفعال ثلاثة أحكام أحدها الإعمال وهو الاصل وهو واقع في الجميع والثاني الالغاء وهو ابطال العمل لفظاً ومحلا لضعف العامل بتوسطه أو تأخره كزيد ظننت قائم وزيد قائم ظننت •• قال منازل بن ربيعة •• أبا لاراجيز الخ •• قال يس قوله خلت اللؤم والخور قال المصنف في الحواشي قال

فيكون فى الاراجيز فى موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول الثانى وهذا بين لمن تدبره •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه •• أنشد ثعلب ابن الاعرابى

أماوأبي للصبرُ في كلِّ موْطنٍ   أقرُّ لعيني من غنى رَهْنَ ذِلَّتي

ويروى — من غنىً رهن ذلتى

وإني لأختارُ الظَّما في مواطنٍ   على باردٍ عذبٍ وأعيا بغلَّتي

وأستُرُ ذَنْبَ الدَّهرِ حتَّى كأنَّهُ   صَدِيقٌ ولا أُغتابُهُ عند زلَّتي

ولستُ كمَنْ كانَ ابنَ أُمِّي مقترًا   فلَمَا أفادَ المالَ عادَ ابنَ علَّةِ

فَدَابَرْتُهُ حتَّى انقضي الودُّ بيننَا   ولم أتمطَّقْ من نداهُ ببلَّةِ

وكُنتُ لهُ عندَ الملِمَّاتِ عُدَّةً   أسُدُّ بمالي عندَهُ كلَّ خلَّةِ

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه الاولى فى هذه القطعة اطلاقها — الخلة — الحاجة والخلة أيضاً الخصلة والخلة بالضم المودة والخلة أيضاً بالضم من كان خلواً من المرعي والخلة بالكسر مايخرج من الاسنان بالخلال والخليل الحبيب من المودة والمحبة والخليل أيضاً الفقير وكلا الوجهين قد ذكر في قوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) ومنه حديث ابن مسعود تعلموا القرآن فانه لايدري أحدكم متى يختل اليه •• قال أبو العباس ثعلب يكون من شيئين أحدهما من الخلة التى هي الحاجة أي متى يحتاج اليه ويكون من الخلة وهي الثبات والخلود ويكون معناه متى تشتهى ماعنده يشبه بالابل لانها ترعي الخلة فاذا ملتها عدلوا بها الى الحمض فاذا ملت الحمض اشتهت الخلة ومن أمثالهم جاؤا مخلين فلاقوا حمضاً أى جاؤا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا والخلة أيضاً بنت المخاض والذكر الخل ويقال جسم خل اذا كان مهزولا •• قال الشاعر

أبو الفتح فيما نقل عنه عبد المنعم الوجه الرفع لأن الواو ليست للعطف لاختلاف الجملتين طلباً وخبراً والعطف نظير التثنية وواو الحال تطلب الابتداء فالظرف خبر واللؤم مبتدا ولا يمنع النصب على أن يقدر مبتدأ

فاسقنيها ياسوادَ ابنَ عمرٍو   إنَّ جسمي بعدَ خالي لخلُّ [1]

---

(١) — فاسقنيها — الخ البيت من قصيدة مشهورة من مختار أشعار القبائل لأبى تمام قيل إنها للشنفري يرثي خاله تأبط شراً وذلك غلط لأن تأبط شراً ليس خالاله ولأن الشنفري مات قبله وقيل انها لابن أخت تأبط شراً يرثيه وقيل انها من أوضاع خلف الاحمر وأولها

ان بالشعب الذى دون سلع   لقتيلا دمه ما يطل *

* قذف العبء على وولي   أنا بالعبء له مستقل *

ووراء الثار منه ابن أخت   مصعٌ عقدته ماتحل *

مطرق يرشح سماً كما   أطرق أفعي ينفث السم صل

خبر ماانابنا مصمئل   جل حتي دق فيه الأجل

بزنى الدهر وكان غشوما   بأبيٍّ جاره مايذل *

شامس فى القر حتى اذا ما   ذكت الشعرى فبرد وظل

يابس الجنبين من غير بؤس   وندي الكفين شهم مدل

ظاعن بالحزم حتى اذا ما   حل حل الحزم حيث يحل

غيث مزن غامر حيث يجدي   واذا يسطو فليث أبل

مسبل فى الحى أحوى رِفَلٌّ   واذا يغزو فسِمْعٌ أزل

وله طعمان أريٌ وشري   وكلا الطعمين قد ذاق كل

يركب الهول وحيداً ولا يصحبه الا اليماني الأفل

وفتوٍ هجّروا ثم أسروا   ليلهم حتى اذا انجاب حلوا

كل ماض قد تردي بماض   كسنا البرق اذا ما يُسَلُّ

فادّركنا الثأر منهم ولما   ينج ملحيين الا الاقل

فاحتسوا أنفاس نوم فلما   هوموا رعتهم فاشمعلوا

فلئن فلت هذيل شباه   لبما كان هذيلا يفل

ويقال فصيل مخلول اذا شد لسانه حتى لايرضع ويقال خللته فهو خليل ومخلول ومثله أجررته •• قال الشاعر

فلوْ أن قوْمي أنطقتنى رِماحهمْ   نَطقتُ ولٰكِنَّ الرِّماحَ أجرَّتِ (١)

وبما أبركها في مناخ   جعجع ينقب فيه الاظل

وبما صبحها فى ذراها   منه بعد القتل نهب وشل

صليت منى هذيل بخرق   لايمل الشر حتى يملوا

يُنهل الصعدة حتي اذاما   نهلت كان لها منه عل

حلّت الخمر وكانت حراما   وبلأيٍ ماألمت تحل *

فاسقنيها ياسواد بن عمرو   ان جسمى بعد خالى لخل

تضحك الضبع لقتلى هذيل   وتري الذئب لها يستهل

وعتاق الطير تغدو بطاناً   تتخطاهم فما تستقل *

(١) قوله — فلو أن قومي — الخ يقول لوصبروا وطعنوا برماحهم أعداءهم لأمكننى مدحهم ولكن فرارهم صيرنى كالمشقوق اللسان لانى ان مدحتهم بمالم يفعلوا كذبت ورد على يقال أجررت الفصيل اذا شققت لسانه لئلا يرضع أمه •• قال أبو القاسم الزجاجي فى أماليه الوسطي أخبرنا ابن شقير قال حضرت المبرد وقد سأله رجل عن معنى قول الشاعر — فلو أن قومي أنطقتنى رماحهم — البيت فقال هذا كقول الآخر

وقافية قيلت فلم أستطع لها   دفاعا اذا لم تضربوا بالمناصل

فادفع عن حق بحق ولم يكن   ليدفع عنكم قالةالحق باطل

قال أبو القاسم معنى هذا ان الفصيل إذا لهج بالرضاع جعلوا فى أنفه خلالة محدودة فاذا جاء يرضع أمه نخسته تلك الخلالة فمنعته من الرضاع فان كف والا أجروه والاجرار أن يشق لسان الفصيل أو يقطع طرفه فيمتنع حينئذ من الرضاع ضرورة فقال قائل البيت الاول ان قومي لم يقاتلوا فانا مُجَرٌّ عن مدحهم كما يجر الفصيل عن الرضاع ففسره أبو العباس بالبيتين اللذين مضيا وللاجرار موضع آخر وهو أن يطعن الفارس الفارس

أى لم يعملوا فى الحرب شيئاً فكنت أفتخر بهم وقوله

أقرُّ لِعَيْني مِنْ غِنيً وَهْنَ ذِلَّتي

يقول اختار الصيانة مع الفقر أحبّ اليّ من الغنى مع الذل ومثله

إذَا كانَ بابُ الذُّلِّ مِنْ جانِبِ الغِنا   سَمَوْتُ إلي العَلْياءِ مِنْ جانِبِ الفقرِ

صَبَرْتُ وكانَ الصبْرُ مِني سجيّةً   وَحَسبُكَ أنَّ اللهَ أثْنيَ على الصبْرِ

•• وقوله — واستر ذنب الدهر حتى كأنه صديق — أراد اني لاأشكو مايمسني به الدهر

فيمكن الرمح فيه ثم يتركه منهزما يجر الرمح فذلك قاتل لامحالة ومنه قول الشاعر

وآخر منهم أجررت رمحى   وفي البجلى معبلة وقيع

وقوله   ونلقى بأفضل مالناأحسابنا   ونجرفى الهيجاالرماح وندعى

قوله — وندعى — أى ننتسب في الحرب كما ينتسب الشجاع فى الحرب فيقول أنا فلان بن فلان •• والبيت من أبيات لعمرو بن معدى كرب الزبيدى رضي الله عنه وأولها

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها   جداول زرع أرسلت فاسبطرت

فجاشت الى النفس أول مرة   فردت على مكروهها فاستقرت

علىم تقول الرمح يثقل عاتقى   اذا أنا لم أطعن اذا الخيل كرت

لحا الله جرما كلما ذر شارق   وجوه كلاب هارشت فازبأرت

فلم تغن جرم نهدها اذ تلاقيا   ولكن جرما فى اللقاء ابذعرت

ظللت كأني للرماح دريئة   أقاتل عن أبناء جرم وفرت

فلو أن قومي أنطقتنى رماحهم   نطقت ولكن الرماح أجرت

وسبب هذه الابيات ان جرما ونهداً وهما قبيلتان من قضاعة كانتا من بني الحارث بن كعب فقتلت جرم رجلا من أشراف بني الحارث فارتحلت عنهم وتحولت فى بني زبيد فخرجت بنو الحارث يطلبون بدم أخيهم فالتقوا فعبى عمرو جرما لنهد وتعبى هو وقومه لبنى الحارث ففرت جرم واعتلت بانها كرهت دماء نهد فهزمت يومئذ بنو زبيد فقال عمرو هذه الابيات يلومها ثم غزاهم بعد فانتصف منهم

من خصاصة بل أستر ذلك وأظهر التجمل حتى لا أسوء الصديق وأسر العدو" وهذا المعنى أراد بقوله ـ ولا أغتابه عند زلتى ـ وقوله ـ فلما أفاد المال عاد ابن علة ـ والعرب تقول هم بنو أعيان اذا كان أبوهم واحداً وأمهم واحدة فاذا كان أبوهم واحداً وأمهاتهم شتى قيل أولاد علات ومنه الحديث المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الانبياء أولاد علات أي أمهاتهم شتي وأبوهم واحد وكنى الشاعر بذلك عن التباعد والتقاطع والتقالى لأن الاكثر من بني العلات ماذكرناه •• وقوله ـ ودابرته ـ أى قاطعته •• وقوله ـ ولم أنطق من نداه ببلة ـ فالنطق يكون بالشفتين والتلمظ يكون باللسان وكنى بذلك عن انه لم يصب من خيره شيئاً فصان نفسه عنه

مجلس آخر ٦٧

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالي (الذى جعل لكم الارض فراشاً) الى قوله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) •• فقال ما الذى أثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم بالعلم ههنا لوصفهم بالجهل فى قوله تعالى (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) •• الجواب قلنا هذه الآية معناها متعلق بما قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد عليهم صنوف النعم التي ليست الا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته وان العبادة انما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم) الي آخر الآية ونبه فى آخرها على وجوب توحيده والاخلاص له وان لا يشرك به شيئاً بقوله تعالي (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ومعنى قوله تعالى (جعل لكم الارض فراشاً) أي يمكن أن تستقروا عليها وتفرشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدل أبو على بذلك وبقوله تعالى (وجعل لكم الارض بساطا) على بطلان ماتقوله المنجمون من أن الارض كرية الشكل وهذا القدر لا يدرك لانه يكفى فى النعمة علينا أن يكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب أن يكون

جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطا وان كان مواضع التصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون أن يكون في الارض بسائط وسطوح يتصرف عليها ويستقر فيها وانما يذهبون الي أن بجملتها شكل الكرة وليس له أن يقول قوله تعالي (وجعل لكم الارض فراشاً) يقتضي الاشارة الى جميع الارض وجملتها لا الي مواضع منها لأن ذلك تدفعه الضرورة من حيث أنا نعلم بالمشاهدة ان فيها ماليس ببساط ولا فراش ولا شبهة في أن جعله تعالى السماء على ماهى عليه من الصفة مما له تعلق بنفعنا ومصالحنا وكذلك انزاله تعالي منها الماء الذى هو المطر الذى تظهر به الثمرات فننتفع بنيلها والاغتذاء بها •• فاما قوله تعالي (فلا تجعلوا لله أنداداً) فان الند هو المثل(١) والعدل •• قال حسان بن ثابت

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ(٢)

(١) قوله ـ فان الند هو المثل والعدل ـ قلت يكون الند للضد أيضاً وفسر الناس قول الله عز وجل (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) على جهتين •• قال الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس معناه فلا تجعلوا لله أعدالا فالاعدال جمع عدل والعدل المثل وقال أبو العباس عن الاثرم عن أبي عبيدة (فلا تجعلوا لله أنداداً) أضدادا ويقال فلان ندي ونديدي ونديدتي فالثلاث اللغات بمعنى واحد وانما دخلت الهاء فى نديدة للمبالغة كما قالوا رجل علامة ونسابة وجاءنى كريمة القوم يراد به البالغ في الكرم المشبه بالداهية ويقال في تثنية الند ندان وفى جمعه أنداد ومن العرب من لا يثنيه ولا يجمعه ولا يؤنثه فيقول الرجلان ندى والرجال ندي والمرأة ندي والنساء ندى

(٢) البيت من قصيدته المشهورة التى يقال انه قال بعضها فى الجاهلية وبعضها فى الاسلام •• ومطلعها

عفت ذات الاصابع فالجواء ... الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بنى الحسحاس قفر ... تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس ... خلال مروجها نعم وشاء

وأما قوله تعالى (وأنتم تعلمون) فيحتمل وجوهاً ٠٠ أولها أن يريد أنكم تعلمون ان الانداد التى هي الاصنام وما جرى مجراها التى تعبدونها من دون الله تعالي لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا بامثالها وانها لاتضر ولاتنفع ولا تبصر ولا تعتقدون ان الاصنام خلقت السماء والارض من دون الله تعالى ولامعه تعالى فالوصف لهم ههنا بالعلم انما هولتأ كد الحجة عليهم ويصح لزومها لهم لانهم من العلم بما ذكرناه ويكونون أضيق عذراً ٠٠ والوجه الثانى أن يكون المراد بقوله تعالى (وأنتم تعلمون) أي تعقلون وتميزون وتعلمون ماتقولون وتفعلون وتأتون وتذرون لأن من كان بهذه الصفة فقد استوفي شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر واصابة الحق ونظير ذلك قوله تعالى (انما يتذكر أولو الالباب ٠٠ وانما يخشى الله من عباده العلماء) ٠٠ والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره ان المراد بذلك أهل الكتابين

٭ لشعثاء التي قد تيمته	فليس لقلبه منها شفاء
كأن سبيئة من بيت رأس	يكون مزاجها عسل وماء
٭ نوليها الملامة إن ألمنا	اذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا	وأسداً ماينهنهنا اللقاء ٭
عدمنا خيلنا ان لم تروها	تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الاعنة مصغيات	على اكتافها الاسل الظماء
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا	وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم	يعز الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا	وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد يسرت جنداً	هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد	سباب أو قتال أو هجاء ٭
ونحكم بالقوافي من هجانا	ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أبا سفيان عني	مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبداً	وعبد الدار سادتها الاماء

التوراة والانجيل خاصة ومعنى تعلمون أي أنكم تعلمون أنه إله واحد في التوراة والانجيل فعلى الوجهين الاولين لاتنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) لأن علمهم تعلق بشئ وجهلهم تعلق بغيره وعلى الوجه الثالث اذا جعلت الآية التى سألنا عنها مختصة بأهل الكتاب أمكن أن نجعل الآية التي وصفوا فيها بالجهل تتناول غير هؤلاء ممن لم يكن ذا كتاب يجد فيه التوحيد وكل هذا واضح بحمد الله ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ومما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة والقول محتمل للكل قول امرئ القيس

وَقدْ أغْتَدِي وَمَعِي القانِصانِ	وكلٌّ بِمَرْبأةٍ مُقْتَفِرْ
فَيُدْرِكُنا فَغِمٌ دَاجِنٌ	سَمِيعٌ بَصِيرٌ طَلُوبٌ نَكِرْ
أَلَصُّ الضُّرُوسِ حَنِيُّ الضُّلُوعِ	تَبُوعٌ أَرِيبٌ نَشِيطٌ أُشِرْ
فأَنْشَبَ أظْفَارَهُ في النَّسا	فقُلْتُ هُبِلْتَ أَلاَ تَنْتَصِرْ
فَكَرَّ إلَيْهِ بِمِبْرَاتِهِ	كما خَلَّ ظَهْرَ اللِّسانِ المُجِرْ
فَظَلَّ يُرَنِّحُ في غَيطَلٍ	كما يَسْتَدِيرُ الحِمارُ النَّعِرْ [1]

٠٠ قال ابن السكيت ـ القانصان ـ الصائدان ـ والمربأة ـ الموضع المرتفع يربأ فيه ـ والمقتفر ـ

---

(١) وروى سميع بصير ـ في البيت ـ الثالث بدل تبوع أريب وتمام الابيات

وأركب في الروع خيفانة	كسا وجهها سعف منتشر
لها حافر مثل قعب الوليـ	ـد ركب فيه وظيف عجر
وساقان كعباهما أصمعا	ن لحم حماتيهما منبتر
لها عجز كصفاة المسيـ	ـل أبرز عنها جحاف مضر
لها متنتان خظاتا كما	أكب على ساعديه النمر
وسالفة كسحوق اللبا	ن أضرم فيها الغوي السعر
لها عذر كقرون النسا	ء ركبن في يوم ريح وصر

الذي يقتفر آثار الوحش ويتبعها •• وقال غيره ـ القانصان ـ البازي والصقر ـ والفغم ـ الكلب الحريص على الصيد يقال ماأشد فغمه أي ما أشد حرصه •• قال الاعشى

يأمُّ دِيارَ بَنِي عامِرٍ وأنتَ بآلِ عقَيلٍ فَغِمْ

أي مولع ـ والداجن ـ الذي يألف الصيد ـ والسميع ـ الذي اذا سمع حساً لم يفته ـ والبصير ـ الذي اذا رأي شيئاً من بعد لم يكذبه بصره ـ والتبوع ـ الذي اذا تبع الصـيد أدركه ولم يعجز عن لحوقه ـ والنكر ـ المنكر الحاذق بالصـيد ويروى نكر بالضم •• وقال ابن السكيت وغـيره فى قوله ـ فانشب اظفاره في اللسا ـ أى أنشب الكلب اظفاره في نسا الثور والنسا عرق في الفخذ معروف ـ فقلت هبلت ـ أي فقلت للثور هبلت ـ الا تنتصر ـ من الكلب قالوا وهذا تهكم منـه بالثور واستهزاء به والاصـل فى التهكم الوقوع على الشئ يقال تهكم البيت اذا وقع بعضه على بعض •• ومعني ـ فكر اليه بعبرانه ـ •• قال ابن السكيت وغـيره معناه فكر الثور الى الكلب بعبرانه أى بقرنه •• ومعنى ـ كما خل ظهر اللسان المجر ـ أي طعنه كما يجر الرجل لسان الفصيل وهو أن يقطع طرف لسانه أو يشقه حتي لايقـدر على الشرب من خلف أمه وذلك اذا كبر

لهـا جبهة كسراة المجـــن حذّقه الصانع المقتدر

لها منخر كوجار الضباع فمنه تريح اذا تنبهر *

لها ثنن كخوافى العـقاب سود يفين اذا تزبئر *

وعين لها حـدرة بدرة شقت مآقيهـما من أخر

اذا أقبلت قلت دباءة من الخضر مغموسة فى الغدر

وان أدبرت قلت أثفيـة ململمة ليس فيها أثر *

وان أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خلفها مسـبطر

وللسوط فيهـا مجال كما تنزل ذو برد منهمر *

وتعدو كعدو نجاة الظباء أخطأها الحاذف المقتـدر

لها وثبات كصوب السحاب فواد خطاء وواد مطر

واستغنى عن الشرب •• ومعنى ـ فظل يرنخ فى غيطل ـ أى ظل الكلب يرنخ أي يميـل ويميد كالسكران ـ والغيطل ـ الشجر الملتف ويكون أيضاً الجلبة والصياح •• وقوله ـ كما يستدبر الحمار النعر ـ والنعر الذى يدخل فى رأسه ذباب أزرق أوأخضر [1] فيطمح برأسه وينزو فشبه الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار النعر •• قال ابن مقبل

تَرَى النّعَرَاتِ الزُّرْقَ تحتَ لَبَانِهِ أُحادَ وَمَثْنى أصعَقَتْها صوَاهِلُهْ

وقال أحمد بن عبيد ـ القانصان ـ الفرس وصاحبه والحجة أن الفرس تسمى قانصاً •• وقول عدى بن زيد

يُقْنِصُكَ الخَيْلَ وَيَصطادُكَ الـــطَّيْرَ ولاَ يَبْلُـغُ لَهْوَ القَنِيصِ

أى لايمتنع منه قال وقوله ـ فانشب أظفاره فى النسا ـ معناه فانشب الكلب أظفار فى نساه الثور فقلت لصاحب الفرس أو لغلامى الممسك للفرس هبلت الا تدنو الى الثور فتطعنه فقد أمسكه عليك الكلب قال ومحال أن يكون امرؤ القيس أغرى الثور بقتـل كلبه لأن امرأ القيس يفخر بالصيد ويصفه فى أكثر شعره بأنه مرزوق منه مظفر كقوله

إذَا ماخَرَجنا قالَ وِلْدانُ أهْلِنا تعالَوْا إلى أنْ يأتِنا الصيْدُ نَحْطِبِ

وكقوله

---

(١) قوله ـ ذباب أخضر وأزرق ـ الخ قال ابن سيدة النعرة ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها حمار نعر وحكى سيبويه نِعِرٌ الى اخوانه من اللغات التى تطرد فيما كان ثانيه حرفا من حروف الحلق تقدمت له نظائر قال أبوحنيفة هو ذباب أربد ومنه أخضر والجمع نعر قال ولا يضير هذا النعر الا الحمير فانه يأتى الحمار فيدخل في منخره فـيربض ويعلك بجحفلته الارض وان سمعت الحمير بطنينه ربضت ودسن أنوفهن فى الارض حذاره واذا اعتري الحمار قيل حمار نعر •• وقال مرة قد تعرض النعر للخيل وأنشد أبو على فى تصديق ذلك لابن مقبل يصف فرساً

تري النعرات الخضر تحت لبانه أحاد ومثنى أصعقتها صواهـله

مُطْعِمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ كَسْبٌ علي كِبَرِ

فحال على هذا أن يغرى الثور بقتل كلبه •• قال وتأويل — ألا تنتصر — ألا تدنو من الثور والدليل على أن تنتصر بمعنى تدنو قول الراعى

وأُفْرِعْنَ في وَادِي جِلاَمِيدَ بَعْدَمَا علا البِيدَ سافي القَيْظَةِ المُتَناصِرُ

أى المتدانى •• وقال مضرس بن ربعي بن أبي الفقعسي

فإنَّكَ لاَ تُعْطِي أمْرَأً حَظَّ غيرِهِ ولاَ تَمْلِكُ الشِّقَّ الذِي الغَيْثُ نَاصِرُهُ

أى دان منه •• ومعنى — ألص الضروس — أى بعض أسنانه تلتصق ببعض — وحبي الضلوع — أى مشرف الضلوع عاليها ويروي حني الضلوع بالنون أي منحنيها ويقال ان الضلوع اذا تقوست كان أوسع لجوفه وأقوي له ويروى أيضاً خفى الضلوع أى ضلوعه خفية داخلة فى جنبه •• ومعنى — فظل يرنح في غيطل — فظل الثور يرنح فى غيطل لما طعنه صاحب الفرس وقد يجوز أيضاً أن يكون ترنح الثور لظفر الكلب به ولأنه أنشب أظفاره فيه وكل ذلك محتمل •• ومما يحتمل أيضاً على وجوه مختلفة قول امرئ القيس

فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا لِما نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وشَمْأَلِ [1]

---

(١) — توضح — كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة عن نصر •• وقيل توضح من قرى قرقرى باليمامة وهي زروع ليس لها نخل •• وقال العسكرى سئل شيخ قديم عن مياه العرب فقيل له هل وجدت توضح التى ذكرها امرؤ القيس فقال أما والله لقد جئت في ليلة مظلمة فوقفت على فم طويها فلم توجد الى اليوم — والمقراة — بالكسر ثم السكون وهو فى اللغة شبه حوض ضخم يقرأ فيه من البئر أي يجبى اليه وجمعها المقاري والمقارى أيضاً الجفان التي تقرى فيها الاضياف •• قال ياقوت والمقراة وتوضح فى قول امرئ القيس قريتان من نواحي اليمامة •• وقال السكري في شرحه لبيت امرئ القيس الدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع بين امرّة وأسود العين والبيت من معلقته المشهورة ومطلعها

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قال قوم معناه لم يدرس رسمها لنسج هاتين الريحين فقط بل لتتابع الرياح والامطار والدليل على ذلك قوله فى البيت الاخير

فَهلْ عِندَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ [1]

وقال آخرون ومعنى لم يعف رسمها لم يدرس فالرسم على هذا القول باق غير دارس •• ومعنى قوله فى البيت الاخير — رسم دارس — أي فهل عند رسم يندرس في المستقبل وان كان الساعة موجوداً غير دارس •• وقال آخرون فى معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني أي انه لم يدرس أثرها لما نسجتها بل هى بواق ثوابت فنحن نحزن لها ونجزع عند رؤيتها ولو عفت وأمّحت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن أحمر

ألاَ ليتَ المَنازِلَ قدْ بَلِينا فلاَ يَبْكِينَ ذَا حَزَنٍ شَجِينا

ومثل قول الآخر

ليتَ الدِّيارَ التى تَبْقَي لِتُحْزِنَنا كانتْ تَبِينُ إذَا ما أَهْلُها بانُوا

وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول نقضاً لهذا انما هو كقولك درس كتابك

---

(١) قوله — فهل عند رسم دارس — الخ صدره •• وإن شفائى عبرة مُهَرَاقة •• ومعنى — من معول — من مبكي وقيل من مستغاث وقيل من محمل ومعتمد وقيل فى قوله * فهل عند رسم دارس من معول * مذهبان أحدهما انه مصدر عولت عليه أى اتكلت فلما قال ان شفائي عبرة مهراقة صار كأنه قال انما راحتى فى البكاء فما معنى اتكالي في شفاء غليلى في رسم دارس لاغناء عنده عنى فسبيلى أن أقبل على بكائى ولا أعول فى برد غليلى على مالاغناء عنده وأدخل الفاء فى قوله فهل عنده لتربط آخر الكلام بأوله فكأنه قال اذا كان شفائى انما هو في فيض دمعي فسبيلى أن لاأعول على رسم دارس في دفع حزني وينبغي أن آخذ في البكاء الذي هو سبب الشفاء والمذهب الآخر أن يكون معول مصدر عولت بمعنى أعولت أي بكيت فيكون معناه فهل عند رسم دارس من إعوال وبكاء وعلى أي الأمرين حملت المعول فدخول الفاء على هل حسن جميل

أى ذهب بعضه وبقى بعض •• وقال أبو بكر العبدى معناه لم يعف رسمها من قلبي وهو دارس من الموضع فلم يتناول قوله ولم يعف رسمها ماتناوله قوله فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتناقض الكلام •• وقال آخرون أراد بقوله لم يعف أي لم يدرس ثم أكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول كما قال زهير

قِفْ بالدِّيارِ التي لم يَعْفُها القِدَمُ ... بلى وَغيَّرَها الأَرْوَاحُ والدِّيَمُ [1]

وكما قال آخر

فلاتَبعَدَنْ ياخيرَ عَمرِو بنِ مالكٍ ... بَلي إنَّ مَنْ زَارَ القُبُورَ لِيَبعَدَا

أراد ليبعدن فابدل الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير لايجب فيه مانوهم من المناقضة والتكذيب لأنه يمكن أن يحمل على ماذكرناه من أحد الوجوه المتقدمة من أنه أراد أن رسمها لم يعف ويبطل كله وان كان قد غيرته الديم والارواح

(١) البيت مطلع قصيدة يمدح بها هرم بن سنان وهي احدى حولياته وبعده

لاالدارغيرها بعدي الانيس وما ... بالدار لو كلمت ذا حاجة صمم

دار لاسماء بالغمرين ماثلة ... كالوحي ليس بها من أهلها أرم

وقد أراها حديثاً غير مقوية ... السر منها فوادى الجفر فالهدم

فلا لكان إلى وادي الغمار فلا ... شرقى سلمى فلا فيد فلا رهم

شطت بهم قرقرى برك بايمنهم ... والعاريات وعن أيسارهم خيم

عوم السفين فلما حال دونهم ... فند القريات فلعتكان فالكرم

كأن عيني وقد سال السليل بهم ... وعبرة ماهمُ لو انهم أمم *

غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق ... في السلك خان به ربانه النظم

عهدي بهم يوم باب القريتين وقد ... زال الهماليج بالفرسان فاللجم

فاستبدلت بعدنا داراً يمانية ... ترعى الخريف فادنى دارها ظلم

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ ... كن الجواد على علاته هرم

القائد الخيل منكوبا دوابرها ... منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

بعضه وأثرت فى بعض فاما البيت الثاني فلا حجة في حمله لأنه لم يتضمن اثباتا ونفياً وانما دعا له بان لايبعد ثم رجع الى قوله بلى انه ليبعد من زار القبور وما يدعى به غير واجب عليه ولا ثابت فكيف به فى البيت الثاني •• وقد يمكن في البيت وجه آخر وهو أن يكون معنى لم يعف رسمها أي لم يزد فيكثر فيظهر حتى يعرفه المترسم ويتنبه المتأمل بل هو خاف غير لائح ولا ظاهر ثم قال من بعد فهل عند رسم دارس من معول فلم يناقض الاول لأنه قد أثبت الدروس له فى كلا الموضعين ولاشبهة في أن عفا من حروف الاضداد التى تستعمل تارة فى الدروس وتارة فى الزيادة والكثرة قال الله تعالى (حتى عفوا) أي كثروا ويقال قد عفا الشعر أى كثر وقال الشاعر

ولـكِنَّا نُعِضُّ السَّيفَ مِنْها ... بأَسْوُقِ عافياتِ اللَّحْمِ كُومِ

أراد كثيرات اللحم يقال قد عفا وبر البعير اذا زاد ويقال أعفيت الشعر وعفوته اذا كثرته وزدت فيه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تحفى الشوارب وتعفى اللحي أي توفر وهذا الوجه عندي أشبه مما تقدم

❊ ❊ ❊

مجلس آخر ٦٨

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوءوما كانت أمك بغياً) الآية فقال من هارون الذى نسبت مريم عليها السلام الى أنها أخته •• ومعلوم انها لم تكن أختاً لهارون أخى موسى عليهما السلام وما معنى (من كان في المهد صبياً) ولفظة كان تدل على مامضي من الزمان وعيسي عليه السلام فى حال قولهم ذلك كان في المهد •• الجواب قلنا أما هارون الذى نسبت اليه مريم عليها السلام فقد قيل فيه أقوال منها ان هارون المذكور فى الآية كان رجلا فاسقاً مشهوراً بالعهر والشر وفساد الطريقة فلما أنكروا ماجاءت به من الولد وظنوا بها ماهي مبرأة منه نسبوها الي هذا الرجل تشبيهاً وتمثيلا وكان تقدير الكلام ياشبيهة هارون في فسقه وقبح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير •• ومنها ان هارون هذا كان أخاها لأبيها دون أمها

وقيل انه كان أخاها لأبيها وأمها وكان رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتأله .. وقيل انه لم يكن أخاها على الحقيقة بل كان رجلا صالحاً من قومها وانه لما مات شيّع جنازته أربعون ألف رجل كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل فلما أنكروا ماظهر من أمرها قالوا لها يا أخت هارون أى بالشبهة بالصلاح ما كان هذا معروفا منك ولا كان والدك ممن يفعل القبيح ولا يتطرق عليه الرّيب .. وعلى قول من قال انه كان أخاها يكون معنى قولهم انك من أهل بيت الصلاح والسداد لأن أباك لم يكن امرأ سوء ولا كانت أمك بغياً وأنت مع ذلك أخت هارون المعروف بالصلاح والسداد والعفة فكيف أتيت بما لايشبه نسبك ولا يعرف من مثلك .. ويقوى هذا القول مارواه المغيرة بن شعبة .. قال لما أرسلنى رسول الله صلي الله عليه وسلم الي أهل نجران قال لى أهلها أليس نبيكم يزعم ان هارون أخو موسى وقد علم الله تعالى ما كان بين موسى وعيسى من النبيين فلم أدر ماأورد عليهم حتى رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال لى فهلا قلت انهم كانوا يدعون بأنبيائهم والصالحين قبلهم .. ومنها أن يكون معنى يا أخت هارون يا من هي من نسل هارون أخي موسى كما يقال للرجل يا أخا تميم ويا أخا بني فلان .. وذكر مقاتل بن سليمان فى قوله تعالى يا أخت هارون قال روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هارون الذى ذكروه هو هارون أخو موسى عليهما السلام .. قال مقاتل تأويل يا أخت هارون يامن هي من نسل هارون كما قال تعالى (والى عاد أخاهم هوداً .. والي ثمود أخاهم صالحا) يعنى بأخيهم انه من نسلهم وجنسهم وكل قول من هذه الاقوال قد اختاره قوم من المفسرين .. فاما قوله تعالى (من كان في المهد صبياً) فهو كلام مبنى على الشرط والجزاء مقصود به الى ما والمعنى من يكن فى المهد صبياً فكيف نكلمه ووضع في ظاهر اللفظ الماضي موضع المستقبل لأن الشارط لايشرط الا فيما يستقبل فيقول القائل ان زرتني زرتك يريد أن تزرنى أزرك قال الله تعالي (ان شاء جعل لك خيراً) يعنى ان يشأ يجعل وقال قطرب معنى كان ههنا معنى صار فكان المعنى وكيف نكلم من صار فى المهد صبيا ويشهد بذلك قول زهير

أَجَزْتُ إِلَيْهِ حُرَّةً أَرْحَبِيَّةً ... وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الأَرَنْدَجِ

وقال غيره كان ههنا بمعنى خلق ووجد كما قالت العرب كان الحرّ وكان البرد أي وجدا وحدثا .. وقال قوم لفظة كان وان أريد بها الماضى فقد يراد بها الحال والاستقبال كقوله تعالي (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أى أنتم كذلك وكذلك قوله تعالى (هل كنت الا بشراً رسولا) وقول الله تعالى (وكان الله عليما حكيما) وان كان قد قيل فى هذه الآية الاخيرة غيرهذا . قيل ان القوم شاهدوا من آثار علمه وحكمته تعالى ماشاهدوا فاخبرهم تعالى انه لم يزل عليما حكيما أى فلا تظنوا انه استفاد علماً وحكمة لم يكن عليهما .. ومما يقوى مذهب من وضع لفظة الماضي فى موضع الحال والاستقبل قوله تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم) وقوله تعالي (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) وقولهم فى الدعاء غفر الله لك وأطال بقاك وما جرى مجرى ذلك ومعنى الكل يفعل الله ذلك بك الا أنه لما أمن اللبس وضع لفظ الماضى فى موضع المستقبل .. قال الشاعر

فَأَدْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعْ ... لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الفَضَائِلِ مَقْعَدَا

أراد لمن يكون بعدى .. ومما جعلوا فيه المستقبل فى موضع الماضى قول الصلتان العبدى يرثي المغيرة بن المهلب

قُلْ لِلْقَوَافِلِ وَالغُزَاةِ إِذَا غَزَوْا ... وَالبَاكِرِينَ وَلِلْمُجِدِّ الرَّائِحِ (١)

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاحَةَ ضُمِّنَا ... قَبْرًا بِمَرْوَ عَلَى الطَّرِيقِ الوَاضِحِ (٢)

---

(١) قوله ـ قل للقوافل ـ الخ القوافل جمع قافلة وهي الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها ـ والغزاة ـ جمع غاز ـ والباكرين ـ جمع باكر يقال بكر بكوراً من باب قعد أسرع فى الذهاب من أول النهار ـ وأجدّ ـ فى الامر اجتهد ـ والرائح ـ الراجع

(٢) قوله ـ ان الشجاعة والسماحة ـ الخ هذا مقول القول .. وروى أيضاً ان السماحة والمروءة ـ والسماحة ـ الجود والعطاء ـ والمروءة ـ آداب نفسانية تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات يقال مرؤ الانسان وهو مريء كقرب فهو قريب أى ذو مروءة .. قال الجوهري وقد تشدد فيقال مروّة ـ وضمنا ـ

فإذا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فاعْقِرْ بِهِ ... كُومَ المَطِيِّ وكلَّ طِرْفٍ سابِحِ (١)
وانْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمائِها ... فلقَدْ يَكُونُ أخادَمٍ وَذَبائِحِ (٢)

بالبناء للمفعول متعد لمفعولين .. أحدهما نائب الفاعل وهو ضمير التثنية .. والثانى قبراً وهو مقلوب لأنه يقال ضمنت الشئ كذا أى جملته محتويا عليه وفي القلب هنا نكتة كأنهما لكثرتهما لا يسعهما القبر فهما اشتملا على القبر وأحاطا بجوانبه ــ ومرو ــ هنا مرو الشاهجان لا مرو الروذ وكلاهما فى إقليم خراسان .. قال ابن خلكان ومن سراة أولاد المهلب أبو فراس المغيرة وكان أبوه يقدمه فى قتال الخوارج وله معهم وقائع مشهورة أبان فيها عن نجدة وصرامة وكان مع أبيه في خراسان واستنابه بمرو الشاهجان وتوفى في حياة أبيه سنة اثنين وثمانين في رجب وهذا البيت استشهد به النحويون على أنه أعاد الضمير الى المؤنثين بضمير المذكرين وكان القياس أن يقول ضمنتا وعده ابن عصفور من قبيل الضرورة

(١) قوله ــ فاذا مررت بقبره ــ الخ ــ عقر البعير بالسيف من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق العقر فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا فى المصباح ــ والكوم ــ بالضم جمع كوماء بالفتح والمد وهي الناقة السمينة المطى ــ ويروى ــ بدله ــ الجلاد بكسر الجيم جمع جلدة بفتحها وهي أدسم الابل لبنا ــ والطرف ــ بالكسر الاصيل من الخيل ــ والسابح ــ بالموحدة من سبح الفرس اذا جرى يقال فرس سابح اذا جرى بقوة

[٢] قوله ــ وأنضح جوانب قبره ــ النضح بالحاء المهملة الرش القليل وبالخاء المعجمة البل يقال نضخ ثوبه اذا بله فهو أبلغ من الاول .. واختلف فى سبب عقرهم الابل على القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من الابل فى حياته ويخره للاضياف واحتجوا بقول الشاعر وانضح جوانب قبره الخ .. وقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك إعظاما للميت كما كانوا يذبحون للاصنام وقيل انما كانوا يفعلونه لأن الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكأنهم كانوا يثأرون لهم فيها وقيل إن الابل أنفس أموالهم فكانوا يريدون بذلك انها قد هانت عليهم لعظم المصيبة .. والبيت

معناه فلقد كان

يستشهد به النحويون على أن المضارع وهو يكون مؤول بالماضي أى ولقد كان لأنه فى مرثية ميت وهو إخبار عن شئ وقع ومضى لا إخبار عما سيقع لأنه غير ممكن .. قال ابن الشجرى فى أماليه قال أبو الفتح عثمان بن جنى قال لى أبو على سألت يوما أبا بكر بن السراج عن الافعال فقال يقع بعضها موقع بعض فقال كان ينبغي للافعال كلها أن تكون مثالا واحداً لأنها لمعنى واحد ولكن خولف بين صيغها لاختلاف أحوال الزمان فاذا اقترن بالفعل مايدل عليه من لفظ أو حال جاز وقوع بعضها موقع بعض .. قال أبو الفتح وهذا الكلام من أبي بكر عال سديد .. وهذه الابيات الصحيح انها لزياد الاعجم يرثي بها المغيرة بن المهلب وقيل المغيرة بن أبي صفرة أخا المهلب وهي من قصيدة أولها قل للقوافل الخ الابيات الاربعة وبعدها

واظهر يزنه وعقد لوائه ... واهتف بدعوة مصلتين شرامح
آب الجنود معقلا أو قافلا ... وأقام رهن حفيرة وضرائح
وأرى المكارم يوم زيل بنعشه ... زالت بفضل فواضل ومدائح
رجفت لمصرعه البلاد وأصبحت ... منا القلوب لذاك غير صحائح
ألآن لما كنت أكمل من مشى ... وافتر نابك عن شباة القارح
وتكاملت فيك المروءة كلها ... وأعنت ذلك بالفعال الصالح
فكفي لنا حزنا ببيت حله ... إحدى المنون فليس عنه ببارح
فعفت منابره وحط سروجه ... عن كل طامحة وطرف طامح
واذا يناح على امرئ فتعلمي ... ان المغيرة فوق نوح النائح
تبكى المغيرة خيلنا ورماحنا ... والباكيات برنة وتصايح
مات المغيرة بعد طول تعرض ... للموت بين أسنة وصفائح
والقتل ليس الي القتال ولا أرى ... سيباً يؤخر للشفيق الناصح
• لله در منية فاتت به ... فلقد أراه يرد غرب الجامح

[تأويل خبر] •• إن سأل سائل فقال كيف يطابق ماروى عن النبي صلى عليه وسلم أنه قال لاعدوى ولا طيرة ولا هامة وأنه قيل له عليه الصلاة والسلام ان النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل فقال عليه الصلاة والسلام فمن أعدى الاول لما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لايوردنّ ذو عاهة على مصح وقوله

ولقد أراه مجنبا أفراسه — يغشي الاسنة فوق نهد قارح
في جحفل لجب ترى أبطاله — منه تمضل بالفضاء الفاسخ
يقص الحزونة والسهولة اذغدى — بزهاء أرعن مثل ليل جانح
ولقد أراه مقدما أفراسه — يدني مراجح في الوغى لمراجح
فتيان عادية لدي مرسى الوغى — سنوا بسنة معلمين جحاجح
لبسوا السوابغ في الحروب كانها — غدر تحيز في بطون أباطح
واذا الضراب عن الطعان بدا لهم — ضربوا بمرهفة الصدور جوارح
لو عند ذلك قارعته منية — قرع الحواء وضم سرح السارح
كنت الغياث لأرضنا فتركتنا — فاليوم نصبر للزمان الكالح
فانع المغيرة للمغيرة اذ غدت — شعواء مشعرة لنبح النابح
صفان مختلفان حين تلاقيا — آبوا بوجه مطلق أو ناكح
ومدجج كره الكماة نزاله — شاكي السلاح مسايف أورامح
قد زار كبش كتيبة بكتيبة — يؤدي لكوكبها برأس طامح
غيرن دون نسائه وبناته — حامي الحقيقة للحروب مكاوح
سبقت يداك له بعاجل طعنة — شهقت لمنفذها أصول جوانح
والخيل تضبح بالكماة وقد جرت — فوق النحور دماؤها بسرائح
يالهفتا يالهفتا لك كلما — خيف المغير على المدر الماسح
تشفى بحلمك لابن عمك جهله — وتذب عنه كفاح كل مكافح
واذا يصول بك ابن عمك لم يصل — بمواكل وكل غداة تجالح
صلّ يموت سليمه قبل الرقى — ومخاتل لعدوه بتصافح

فرّ من الاجذم فرارك من الاسد •• وان رجلا مجذوما أتاه ليبايعه بيعة الاسلام فارسل اليه بالبيعة وأمره بالانصراف ولم يأذن له عليه الصلاة والسلام •• وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال الشؤم في المرأة والدار والدابة وظواهر هذه الاخبار متناقضة متنافية فبينوا وجه الجميع بينها •• الجواب قلنا ان ابن قتيبة قد سأل نفسه عن اختلاف هذه الاخبار وأجاب عن ذلك بما نذكره على وجهه ونذكر ماعندنا فيه فانه خلط وأتى بما ليس بمرضى •• قال ان لكل من هذه الاخبار معنى وموضعاً فاذا وضع موضعه زال الاختلاف قال وللعدوى معنيان •• أحدهما عدوي الجذام فان المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم في الحال مجالسيه ومواكليه وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار واحد فيوصل اليها الأذى وربما جذمت وكذلك ولده ينزعون في الكثير اليه وكذلك من كان به سل ودِقّ والاطباء تأمر بأن لايجالس المسلول والمجذوم لايريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون بذلك تغير الرائحة وانها قد يسقم في الحال اشتمامها والاطباء أبعد الناس من الايمان بيمن أو شؤم •• وكذلك

واذا الامور على الرجال تشابهت — وتنوزعت بمغالق ومفاتح
فتل السحيل بمبرم ذي مرة — دون الرجال بفضل عقل راجح
وأرى الصعالك للمغيرة أصبحت — تبكي على طلق اليدين مسامح
كان الربيع لهم اذا انتجعوا الندى — وخبت لوامع كل برق لامح
كان المهلب بالمغيرة كالذى — ألقى الدلاء الى قليب الماتح
فاصاب جمة ما استقى فسقى له — في حوضه بنوازع وموائح
أيام لو يحتل وسط مفازة — فاضت معاطشها بشرب سائح
إن المهلب لن يزال لها فتى — يمرى قوادم كل حرب لاقح
• بالمقربات لواحقاً آطالها — تجتاب سهل سباسب ومحاصح
متلبباً تهفو الكتائب حوله — ملح المتون من التضبيح الراشح
ملك أغر متوج يسمو له — طرف الصديق بغض طرف الكاشح
رفاع ألوية الحروب الى العدى — بسعود طير سانح وبوارح

النقبة تكون بالبعير وهو جرب رطب فاذا خالط الابل وحاكها وصل اليها بالماء الذي يسيل منه وبجرب بمائه فهـذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صـلى الله عليه وسلم لايوردن ذوعاهة على مصح قال وقد ذهب قومٌ الي أنه أراد عليه الصلاة والسلام بذلك أن لا يظن أنّ الذي نال ابله من ذوات العاهة فيأثم قال وليس هذا عندي وجـه لانا نجد الذى خبرتك به عيانا ٠٠ قال وأما الجلس الآخر من العدوي فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون ٠٠ وحكى عن الاصمعي عن بعض البصريين أنه هرب من الطاعون فركب حماراً ومضي بأهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه فيقول

لنْ يُسبَقَ اللهُ على حِمارِ ولاَ على ذِى ميعةٍ مُطارِ

أوْ يأتِيَ الحَتفُ على مِقْدَارِ قدْيُصْبِحُ اللهُ أمامَ السَّارِي

٠٠ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان بالبلد الذى أنتم فيه فـلا تخرجوا منه وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً اذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله عليه الصلاة والسلام لاتخرجوا من البلد اذا كان فيه كأنكم تظنون ان الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم ويريد بقوله عليه الصلاة والسلام اذا كان ببلد فلا تدخلوه ان مقامكم بالموضع الذى لاطاعون فيه أسكن لأنفسكم وأطيب لعيشكم قال ومن ذلك المرأة تعرف بالشؤم والدار فينال الرجل مكروهاً أو جائحة فيقول أعدتني بشؤمها قال فهذا هو الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام لاعدوي ٠٠ فاما الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الشؤم فى المرأة والدار والدابة فان هذا يتوهم فيه الغلط على أبي هريرة وانه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فلم يعه ٠٠ وروى ابن قتيبة خبراً ورفعه الي أبي حسان الاعرج ان رجلين دخلا على عائشة فقالا ان أبا هريرة يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما الطيرة فى المرأة والدار والدابة فطارت شفقاً فقالت كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال عليه الصلاة والسلام كان أهل الجاهلية يقولون ان الطيرة فى المرأة والدار والدابة ثم قرأت (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم) الآية ٠٠ وروي خبراً يرفعه الي أنس بن مالك قال جاء

رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا نزلنا داراً فكثر فيها عددنا وكثر بها أموالنا ثم تحولنا منها الى أخرى فقلت فيها أموالنا وقل عـددنا فقال عليه الصلاة والسلام ذروها فهي ذميمة قال ابن قتيبة وهذا ليس ينقض الحديث الاول وانما أمرهم بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استثقال ظلها واستيحاش لما نالهم فيها وأمرهم عليه الصلاة والسـلام بالتحول منهـا وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ماينالهم السوء فيه وان كان لاسبب له فى ذلك وحب من جرى على يده الخير لهم وان لم يردهـم به وبغض من جرى على يده الشر لهـم وان لم يردهم به ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ماوجـدنا ابن قتيبة عمل شيئاً أكثر من أنه لما أعجزه تأويل الاخبار التى سأل نفسه عنها والمطابقة بينها وبين قوله عليه الصلاة والسـلام لاعدوى ولا طيرة ادعى الخصوص فيما ظاهره العموم وخص العـدوى بشئ دون آخر وكلاهما سواء فيه وأورد تأويلا يدفعه نص قوله عليه الصلاة والسلام لأنه عليه الصلاة والسلام لـما سـئل عن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل قال عليه الصلاة والسلام فما أعدي الاول تكذيباً بعدوى هذه النقبة وتأثيرها فاطرح ابن قتيبة ذلك وزعم ان الجرب يعدى ويؤثر في المخالط والمؤاكل وعول فى ذلك على قول الاطباء وترك قول الرسول عليه الصلاة والسـلام ٠٠ ومن ظريف أمره أنه قال إن الاطباء ينهون عن مجالسة المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تغـير الرائحة وانها تسقم من أدمن اشتمامها وهذا غلط منه لأن الاطباء انما تنهى عن ذلك خوفاً من العدوى وسبب العدوي عندهم هو اشتمام الرائحة وانفصال أجزاء من السقيم الى الصحيح وليس اذا كان غير هذا عدوي عند قوم مايوجب أن لا يكون هذا أيضاً عدوى ٠٠ ولما حكى عن غيره تأويلا صحيحا فى قوله عليه الصلاة والسلام لايوردن ذو عاهة على مصح ادعي ان العيان يدفع وأي عيان معه ونحن نجد كثيراً ممن يخالط الجربي فلا يجرب ونجد آبلا صحاحا تخالط ذوات العاهات فـلا يصيبها شيء من أدوائها فكأنه انما يدعي ان العيان يدفع قول النبى صلى الله عليه وسلم فما أعدى الاول ٠٠ والوجه عنـدنا فى قول النبي عليه الصلاة والسلام لايوردنّ ذو عاهة على مصح أنه عليه الصلاة والسلام انما نهي.

عن ذلك وان لم يكن مؤثراً على الحقيقة لأن فاعله كالمدخل الضرر على غيره لأن من اعتقد ان ذلك يعدى ويؤثر فأورد على ابله فلا بد من أن يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا بد من أن يذم من عامله بذلك فكأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن أذي الناس والتعرض لذمهم وقد يجوز أيضاً فيه ماحكاه ابن قتيبة عن غيره مما لم يرتضه من أنهم متى ظنوا ذلك أثموا فنهى عليه الصلاة والسلام عن التعرض لمايؤثم •• ولو نقل ابن قتيبة ماقاله عليه الصلاة والسلام فى الطاعون اذا كان ببلد فلا تدخلوه وأمره لمن شكى اليه بالتحول عنها الى ههنا لكان قد أصاب لأنه حمل ذلك على أن نجنب البلد أسكن للنفس وأطيب للعيش وكذلك الدار فهذا يمكن فى قوله عليه الصلاة والسلام لايوردنّ ذوعاهة على مصح بعينه •• فأما قوله عليه الصلاة والسلام فرّ من المجذوم فرارك من الاسد فليس فيه ان ذلك لأجل العدوى وقد يمكن أن يكون لأجل نتن ريحه واستقذاره ونفور النفس منه وان ذلك ربما دعى الي تعييره والازراء عليه وامتناعه عليه الصلاة والسلام من ادخال المجذوم عليه ليبايعه يجوز أيضاً أن يكون الغرض فيه غير العدوي بل بعض الاسباب المانعة التى ذكرنا بعضها •• وأما حديث الطاعون والقول فيه على ماقاله وقد كان سبيله لما عوّل في عدوى الجذام والجرب على قول الاطباء أن يرجع أيضاً الى أقوالهم في الطاعون لأنهم يزعمون ان الطاعون الذى يعرض من تغير الأهوية وما جرى مجراها يعدي كعدوى الجرب والجذام والعيان الذى ادعاه ليس هو أكثر من وجوده من يجرب أو يجذم لمخالطة من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود في الطاعون فانا نرى عمومه لمن يسكن البلد الذى يكون فيه ويطرأ اليه •• فاما الخبر الذى يتضمن ان الشؤم فى المرأة والدار والدابة فالذى ذكره من الرواية فى معناه يزيل الشبهة به على أنه لولم يكن ههنا رواية فى تأويله جاز أن يحمل على أن الذي يتطير به المتطيرون ويدّعون الشؤم فيه هو المرأة والدار والدابة ولا يكون ذلك اثباتا للطيرة والشؤم فى هذه الاشياء بل على طريق الاخبار بان الطيرة الثابتة انما هي فيها لقوّة أمرها عند أصحاب الطيرة •• وماذكره بعد ذلك فى الدار وأمره عليه الصلاة والسلام بانتقاله عنها تأويل قريب وقد كان يجب أن يهتدي اليه مما تقدم

وما التوفيق الا من عند الله العزيز الحكيم

مجلس آخر ٦٩

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (ماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أومن وراء حجاب) الآية •• فقال أوليس ظاهر هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى وأنتم تمنعون من ذلك •• الجواب قلنا ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب وليس فيها أنه حجاب له تعالي ولمحل كلامه أولمن يكن يكلمه واذا لم يكن فى الظاهر شئ من ذلك جاز صرف الحجاب الى غيره عز وجل مما يجوز أن يكون محجوبا فقد يجوز أن يريد تعالي بقوله أو من وراء حجاب أنه يفعل كلاما في جسم محتجب عن المتكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على طريق التفصيل فيقال على هذا هو متكلم من وراء حجاب •• وروى عن مجاهد في قوله تعالي (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً) قال هو داود عليه السلام أوحى في صدره فزبر الزبور أو من وراء حجاب وهو موسى عليه السلام أو نرسل رسولا وهو جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم •• فاما أبو على الجبائي فانه ذكر ان المراد بالآية (وماكان لبشر أن يكلمه الله) الا مثل مايكلم به عباده من الأمر بطاعته والنهى لهم عن معاصيه وتنبيهه اياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام أوما أشبه ذلك على سبيل الوحي •• قال وانما سمي الله ذلك وحياً لأنه خاطر وتنبيه وليس هو كلاما لهم على سبيل الافصاح كما يفصح الرجل منا لصاحبه اذا خاطبه والوحى فى اللغة انما هو ماجرى مجرى الايماء والتنبيه على شئ من غير أن يفصح به فهذا هو معنى ماذكره الله تعالى فى الآية •• قال وعنى بقوله (أو من وراء حجاب) أى يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى عليه السلام لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق الا موسي وحده في كلامه اياه أولا فاما كلامه اياه في المرة الثانية فانه انما أسمع ذلك موسى عليه السلام والسبعين الذين كانوا معه

وحجبه عن جميع الخلق سواهم فهذا هو معنى قوله عز وجل (أو من وراء حجاب) لأن الكلا هو الذى كان محجوبا عن الناس .. وقد يقال انه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذى أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه لأن الكلام عرض لايقوم الا فى جسم ولا يجوز أن يكون أراد تعالى بقوله (أو من وراء حجاب) ان الله تعالي كان (من وراء حجاب) يكلم عباده لأن الحجاب لايجوز الأعلى الاجسام المحدودة .. قال وعنى بقوله (أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء) ارساله ملائكة بكتبه وكلامه الي أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ليبلغوا عنه ذلك عباده على سبيل انزاله القرآن علي محمد صلى الله عليه وسلم وانزاله سائر الكتب على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فهذا ضرب من الكلام الذي يكلم الله تعالى عباده ويأمرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم غلى سبيل ماكلم به موسى عليه السلام وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذى ذكره الله تعالي في أول الآية لأنه قد أفصح تعالى لهم في هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه والوحى الذى ذكره تعالى فى أول الآية انما هو تنبيه وخاطر وليس افصاح وهذا الذى ذكره أبو على أيضاً سديد والكلام محتمل لما ذكره .. ويمكن فى الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء ونفى الظهور وقد تستعمل العرب لفظ الحجاب فيما ذكرناه فيقول أحدهم لغيره اذا استبعد فهمه واستبطأ فطنته بيني وبينك حجاب وتقول للأمر الذى تستبعده وتستصعب طريقه بيني وبين هذا الامر حجاب وموانع وسواتر وماجري مجرى ذلك فيكون معنى الآية انه تعالى لم يكلم البشر الا وحياً بان يخطر في قلوبهم أو بان ينصب لهم أدلة تدلهم على مايريده أو يكرهه منهم فيكون من حيث نصبه للدلالة على ذلك والارشاد اليه مخاطباً ومكلما للعباد بما يدل عليه وجعل تعالي هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعا كما يسمع الخاطر وقول الرسول ولا ظاهراً معلوما لكل من أدركه كما أن أقوال الرسل المؤدين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة فصار الحجاب هناك كناية عن الخفاء وغيره مما يدل عليه الدلالة وليس لأحد أن يقول ان الذى يدل عليه الاجسام هو من صفاته تعالي وأحواله ومراده ولا يقال انه تعالى متكلم لذاته وذلك انه غير ممتنع

على سبيل التجوز أن يقال انه تعالى فيما يدل عليه الدليل الذي نصبه الله تعالى ليدل على مراده ويرشد اليه انه مكلم لنا ومخاطب ولهذا لايمتنع المسلمون من أن يقولوا انه تعالى خاطبنا بما دلت عليه الأدلة العقلية وأمرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما أراده وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على أمر من الامور قد خاطبنا فلان بما فعل كذا بكذا وكذا وقال لنا وأمرنا وزجرنا وما أشبه ذلك من الالفاظ التي يجرونها على الكلام الحقيق وهذا الاستعمال أكثر وأظهر من أن نورد أمثاله ونظائره

[قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ومن مستحسن ماقيل فى الذئب قول أسماء بن خارجة بن حصن الفزارى

وَلَقَدْ أَلَمَّ بِنَا لِنَقْرِيَهُ	بادِى الشَّقَاءِ مُحَارِفُ الكَسْبِ
يَدْعُو الغِنَا أَنْ نَالَ عُلْقَتَهُ	مِنْ مَطْعَمٍ غِبًّا إلى غِبِّ
وَطَوَى ثَمِيلَتَهُ وَالحقها	بالصُّلْبِ بَعْدَ لُدُونَةِ الصُّلْبِ
يا ضَلَّ سَعْيُكَ ما صَنَعْتَ بِهَا	جَمَّعْتَ مِنْ شَبٍّ إلى دَبِّ
لوْ كُنْتَ ذَا لُبٍّ تَعِيشُ بِهِ	لَفَعَلْتَ فِعْلَ المَرْءِ ذِى اللُّبِّ
وجَمَعْتَ صالِحَ ما احْتَرَفْتَ وما	جَمَّعْتَ مِنْ نَهْبٍ إلى نَهْبِ
وأَظُنُّهُ شَغِبًا تَدِلُ بِهِ	فلَقَدْ مُنِيتَ بِغَايَةِ الشَّغْبِ
إِذْ كانَ غَيْرَ مَنَاصِلٍ تُفْضِى بِها	مَشْحُوذَةٍ وَرَكَائِبِ الرَّكْبِ
فاعْمِدْ إلي أَهْلِ الوَقِيرِ فَما	يَخْشَاكَ غَيْرُ مُقَرْمَصِ الذَّرْبِ
أَحَسِبْتَنَا مِمَّنْ تُطِيفُ بِهِ	فاخْتَرْتَهَا لِلأَمْنِ والخِصْبِ
وبِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ ولاَ سَبَبٍ	أَنِّي وشَعْبُكَ لَيْسَ مِنْ شَعْبِي
لَمَّا رأى أَنْ لَيْسَ نَافِعَهُ	جَدٌّ تَهَاوَنَ صَادِقَ الأَرَبِ

وَالحَّ إلحاحاً لحاجَتِهِ شَكْوَى الضَّرِيرِ وَمَزْجَرَ الكَلْبِ
بِاذِي التَّكَلُّحِ يَشْتَكِي سَغَباً وأَنا ابْنُ قاتِلِ شِدَّةِ السَّغَبِ
فَرَأَيْتُ أَنْ قَدْ نِلْتُهُ بِأَذىً مِنْ بَعْدِ مَثْلَبَةٍ وَمِنْ سَبِّ
وَرَأَيْتُ حقًّا أَنْ أُضَيِّفَهُ إِذْ أُمُّ سَلْمِي وَاتَّقِي حَرْبِي
فَوَقَفْتُ مُعْتاماً أَزَاوِلُها بِمُهَنَّدٍ ذِي رَوْنَقٍ عَضْبِ
فَعَرَضْتُهُ فِي ساقِ أَسْمَنِها فَاجْتَادَ بَيْنَ الحاذِ وَالكَعْبِ
فَتَرَكْتُها لِعِيالِهِ جَزَرًا عَمْدًا وَعَلَّقَ رَحْلَها صَحْبِي

ذكر ذئباً طرقه ليلا ٠٠ وقوله ـ محارف الكسب ـ مثل ضربه أى لايبقى له نشب الا شئ يكتسبه ٠٠ وقوله ـ يدعو الغنا ان نال علقته ـ أي ان وجد مايتعلق به من مطعم ـ غباً الى غب ـ أى من يومين فذلك عنده الغنا ـ والثميلة ـ مايبقى في البطن من طعام أو علف ٠٠ ومعنى طوي ثميلته ذهب بها وأراد انه لم يبق فى بطنه مما يمسكه ـ واللدونة ـ اللين فاراد انه ألحق بقية طعامه بصابه بعد أن لان ماصاب منها ثم أقبل علي الذئب كالعاذل له فقال ماصنعت بما جمعت من شب الي دب وهذان إسمان للشباب والهرم لايفردان ولا يلفظ بهما الا هكذا ٠٠ والمعنى فيهما هو مذ كنت شابا الي أن دببت على العصا ثم قال له لو كنت ذالب لجمت ماتصيبه ٠٠ ومعنى ـ احترفت ـ ا كتسبت ٠٠ ومعنى ـ من نهب الى نهب ـ أي من غدوتك على الغنم الى العدوة الاخرى ٠٠ ثم قال ان كان تعرضك شغباً علينا فقد منيت بغاية الشغب أى اننا ننافرك ونقاتلك وليس ههنا ماتغير عليه وإنما معنا ـ مناصل ـ أى سيوف مشحوذة وركائبنا التى نمتطيها فاعمد الى أهل الوقير ـ والوقير ـ القطيع من الغنم ولا يسمى وقيراً الا اذا كان فيه حمار يقول فعليك بمواضع الغنم فانما يختشك الراعى ـ المقرمص ـ الذى يتخذ القرموصة واصله المكان المضيق وهو ههنا حفيرة يحتفرها الراعى في الرمل من شدة الحر للشاة الكريمة الصفية حتى اذا بركت كان ضرعها فى القرموصة ٠٠ ومعنى ـ شعبك ليس من شعبي ـ أى لست من جلبي ولا

شكلى ـ والأرب ـ الخديعة عند الحاجة ـ وشكوى ـ الضرير الذى قد مسه الضر ـ ومزجر الكلب ـ أى هو منا قريب المكان بقدر مزجر الكلب اذا زجرته أى اذا خسأته لدى جناية ـ والسغب ـ الجوع ٠٠ وأراد بقوله ـ وأنا ابن قاتل شدة السغب ـ أى أنا ابن من كان يقري ويطعم ٠٠ ثم رجع فقال رأيت بعد ماسببته وغضضته بالأذى والعدم ان أضيفه وأقريه لأنه ضيف وان كان ذئباً فوقفت أنظر في ركائبي وأختار أسمنها والاعتيام الاختيار وأزاولها أالابسها ـ والحاذان ـ حد الفخذين اللذين يليان الذنب وخبر أن رحل المطية الذى عقرها علقه بعض أصحابه على مطية أخري ٠٠ وقال النجاشى يذكر ذئباً

وَماءٍ كَلَوْنِ الغِسْلِ قَدْ عادَ آجِنا قَلِيلٌ بِهِ الأَصْوَاتُ فِي بَلَدٍ مَحْلِ (١)
وَجَدْتُ عَلَيْهِ الذِّئْبَ يَعْوِي كَأَنَّهُ خَلِيعٌ خَلاَ مِنْ كُلِّ مالٍ وَمِنْ أَهْلِ (٢)
فَقُلْتُ لَهُ يا ذِئْبُ هَلْ لَكَ فِي فَتًى يُوَاسِي بِلاَ مَنٍّ عَلَيْكَ وَلاَ بُخْلِ (٣)
فَقالَ هَداكَ اللهُ لِلرُّشْدِ إِنَّما دَعَوْتَ لِما لَمْ يَأْتِهِ سَبُعٌ قَبْلِي (٤)

(١) قوله ـ وماء كلون الغسل ـ الخ الواو في وماء واورب والغسل بكسر الغين المعجمة مايغسل به الرأس من سدر وخطمى ونحو ذلك ٠٠ يريد أن ذلك الماء كان متغير اللون من طول المكث مخضراً ومصفراً أو نحوهما ـ والآجن ـ بالمد وكسر الجيم الماء المتغير الطعم واللون ٠٠ وقوله ـ قليل به الاصوات ـ يريد انه قفر لاحيوان فيه ـ والبلد ـ الارض والمكان ـ والمحل ـ الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ

(٢) قوله ـ كأنه خليع ـ الخليع الذى خلعه أهله لجناياته وتبرؤا منه

[٣] قوله ـ فقلت له ياذئب هل لك ـ الخ يقول هل لك فى أخ يعنى نفسه يواسيك من طعامه بغير من ولا بخل

[٤] قوله ـ فقال هداك الله ـ أي فقال له الذئب قد دعوتني الى شئ لم يفعله السباع قبلى من مؤاكلة بني آدم وهذا لايمكننى فعله ولست بآتيه ولا أستطيعه ولكن ان كان في مائك الذى معك فضل عما تحتاج اليه فاسقنى منه وهذا الكلام وضعه النجاشى على

فلستُ بآتيهِ ولا أستطيعهُ   ولاكِ اسقني إن كانَ ماؤكَ ذا فضلِ [1]

فقلتُ عليكَ الحوضَ إني تركتُهُ   وفي صغوهِ فضلُ القلوصِ من السَّجلِ [2]

فطرّبَ يستعوي ذِئاباً كثيرةً   وعُدْتُ وكلٌّ من هواهُ على شُغُلِ

وروى أن الفرزدق نزل بالغريين فعراه بأعلى ناره ذئب فابصره مقعياً يصى ومع الفرزدق مسلوخة فرمي اليه بيد فاكلها فرمي اليه بما بقى فأكله فلما شبع ولىّ عنه فقال

وليلةَ بِتنا بالغريَّينِ ضافنا   على الزَّادِ موشيُّ الذِّراعينِ أطلسُ

تلمَّسنا حتي أتانا ولم يزلْ   لَدُنْ فطمتْهُ أمُّهُ يتلمَّسُ

فلوْ أنَّهُ إذْ جاءنا كانَ دانياً   لألبستُهُ لوْ أنهُ كانَ يلبسُ

ولـكنْ تنحا جنبةً بعـدَ مادَنا   فـكانَ كقابِ القوْسِ أوهوَ أنفسُ

لسان الذئب كأنه اعتقد فيه انه لو كان ممن يعقل أو يتكلم لقال هذا القول وأشار بهذا الى تعسفه للفلوات التى لاماء فيها فيهتدى الذئب الى مظانه فيها لاعتياده لها

[١] قوله ـ فلست بآتيه ـ الخ البيت يستشهد به النحويون على أن حذف النون من لكن لالتقاء الساكنين ضرورة تشبيها بالتنوين أو بحرف المد واللين من حيث كانت ساكنة وفيها غنة وهي فضل صوت فى الحرف كما ان حرف المد واللين ساكن والمد فضل صوت وكذا أورده سيبويه فى باب ضرورة الشعر من أول كتابه قال الاعلم حذف النون لالتقاء الساكنين ضرورة لإقامة الوزن وكان وجه الكلام أن يكسر لالتقاء الساكنين شبهها فى الحذف بحرف المد واللين اذا سكنت وسكن مابعدها نحو يغزو العدوّ ويقضي الحق ويخشى الله

[٢] قوله ـ فقلت عليك الحوض ـ الخ عليك اسم فعل بمعنى الزم والحوض مفعوله ـ والصغو ـ بفتح الصاد المهملة وكسرها وسكون الغين المعجمة الجانب المائل ـ والسجل ـ بفتح السين المهملة وسكون الجيم الدلو العظيمة ـ وطرب ـ فى صوته بالتشديد رجعه ومده

فقاسمتُهُ نصفينِ بيني وبينَهُ   بقيةَ زادِي والرَّكائبُ نُعَّسُ

وكانَ ابنُ ليلى إذْ قرَى الذِّئبَ زادَهُ   على طارقِ الظَّلماءِ لا يتعبَّسُ

ولابن عنقاء الفزارى واسمه قيس بن نجره وقيل نجرة بالضم الابيات المشهورة فى الذئب وهي

واعوجَ من آلِ الصَّريحِ كأنَّهُ   بذي الشَّبْثِ سيدٌ آخرَ الليلِ جائعُ

بَغى كسبَهُ أطرافَ ليلٍ كأنَّهُ   وليسَ بهِ ضلْعٌ من الخمسِ ظالِعُ

فلمَّا أتاهُ الرِّزقُ من كلِّ وجهةٍ   جنوبَ الملا وأيأستهُ المطامِعُ

طوَى نفسَهُ طيَّ الحريرِ كأنَّهُ   حوِي حيةً في ربوةٍ فهو هاجِعُ

فلمَّا أصابتْ متنَهُ الشمسُ حكَّهُ   بأعصلَ في أنيابِهِ السُّمُّ ناقِعُ

وفكَّكَ لحييْهِ فلمَّا تعادَيا   صأى ثمَّ أقعى والبلادُ بلاقِعُ

وهمَّ بأمرٍ ثمَّ أزمعَ غيرَهُ   وإنْ ضاقَ رزقٌ مرَّةً فهوَ واسِعُ

وعارَضَ أطرافَ الصَّبا فكأنَّهُ   رِجاعُ غديرٍ هزَّهُ الرِّيحُ رائِعُ

ولآخر فى الذئب

فقلتُ تعلَّمْ أنَّني غيرُ نائمٍ   إلى مستقلٍّ بالحبايةِ أنيبا

بعيدُ المطافِ لا يفيدُ على الغنا   ولا يأتلي ما اسطاعَ إلا تكسُّبا

معنى ـ أنيب ـ غليظ الناب ـ لاأنام اليه ـ أي لا أثق به من ذلك استنمت الى فلان اذا اطمأننت اليه .. ومعنى ـ لايفيد على الغنا ـ أي لايلتمس مطعما وهو شبعان .. ولحميد بن ثور فى الذئب

فظلَّ يراعِي الجيشَ حتي تغيبتْ   خُباشٌ وحالتْ دونهنَّ الأجارِعُ

إذا ما غدا يوماً رأيتَ غيايةً   من الطيرِ ينظرْنَ الذي هوَ صانِعُ [1]

---

[١] قوله ـ رأيت غياية ـ الخ .. الغياية بفتح الغين المعجمة وبيائين آخر الحروف

خَفيفُ المِعا إلاَّ مَصيرًا يَبُلُّهُ ... دَمُ الجَوْفِ أوْسُؤْرٌ منَ الحَوْضِ ناقِعُ

هُوَ البَعِلُ الدَّاني مِنَ النَّاسِ كالذي ... لهُ صُحْبَةٌ وَهْوَ العَدُوُّ المُنازِعُ

يَنامُ بإحْدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقي ... بأُخرَى المَنايافهْوَ يَقْظانُ هاجِعُ [١]

مخففتين وهي كل شيء أظل الانسان فوق رأسه مثل السحابة والغبرة والظلمة ونحو ذلك

[١] قوله ـ ينام باحدى مقلتيه ـ الخ ينام خبر مبتدأ محذوف أي هو ينام والباء في باحدى يتعلق به •• وقوله يتقى عطف على قوله ينام وباخرى يتعلق به والمنايا مفعول يتقى ويروى ويتقى باخري الاعادي •• وقوله فهو مبتدأ وقوله يقظان خبره وهاجع خبر بعد خبر ويروي يقظان نائم لكنه يخالف أبيات القصيدة فالمعنى هو حذر أوهو هاجع بين اليقظة والهجوع •• والابيات من قصيدة أولها

إذا نال من بهم النخيلة غرة ... على غفلة فيما يرى وهو طالع

تلوم ولو كان ابنها أفرحت به ... اذا هب أرواح الشتاء الزعازع

فقامت تعشى ساعة ما تطيقها ... من الدهر قامتها الكلاب الظوالع

رأته فشكت وهو أطحل مائل ... الى الارض مثنى اليه الاكارع

طوي البطن الا من مصير يبله ... دم الجوف أوسؤر من الحوض ناقع

ترى طرفيه يعسلان كلاهما ... كما اهتز عود الشيحة المتتابع

اذا خاف جوراً من عدو رمت به ... قصائبه والجانب المتواسع

وان بات وحشاً ليلة لم يضق بها ... ذراعا ولم يصبح بها وهو خاشع

ويسرى لساعات من الليل قرة ... يهاب السرى فيها المخاض النوازع

وان حدرت أرض عليه فانه ... بعزة أخرى طيب النفس قانع

ينام باحدي مقلتيه ويتقى ... باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

اذا قام ألقى بوعه قدر طوله ... ومدد منه صلبه وهو تابع

* وفكك لحيه فلما تعاديا ... صأى ثم أقعي والبلاد بلاقع

اذا ماغدي يوما رأيت غيابة ... من الطير ينظرن الذى هو صانع

هكذا أورد بعض الرواة هذه القصيدة وبعضها مدرج في قصيدة ابن عنقاء الفزاوى وابن عنقاء متأخر عن حميد بن نور رضى الله عنه

وصف ذئباً يتبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجل يثب عليه لأنه من بين السباع لايرغب في القتلي ولا يكاد يأكل الا مافرسه ـ وخباش ـ اسم هضبة [١] •• وقال بعضهم وليس بمعروف ان خباش اسم من أسماء الشمس وأخبر ان الطير تتبعه لتصيب مما يقتل ـ والمصير ـ المعا [٢] ـ والبعل ـ الدهش

مجلس آخر ٧٠

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الي قوله (وأنا أول المؤمنين) •• وقال ماتنكرون من أن تكون هذه الآية دالة على جواز الرؤية عليه جل وعلا لأنها لولم تجز لم يسألها موسي عليه السلام كمالايجوز أن يسأل اتخاذ الصاحبة والولد ولو كانت الرؤية أيضاً مستحيلة لم يعلقها بأمر يصح أن يقع وهو استقرار الجبل واذا علمنا صحة استقرار الجبل في موضعه فوجب أن تكون الرؤية أيضاً صحيحة في حكم ماعلقت به •• وقوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) يقتضى جواز الحجاب عليه تعالى لأن التجلي هو الظهور وهما لايكونان الا بعد الاحتجاب والاستتار •• الجواب قلنا أول مانقوله انه ليس في مسئلة الشيء دلالة على صحة وقوعه ولا جوازه لأن السائل قد يسأل عن الصحيح والمحال مع العلم وفقد العلم

[١] قوله ـ وخباش اسم هضبة وليس بمعروف ان خباش اسم من أسماء الشمس •• قلت لم نقف على أحد هذين التفسيرين لغيره وذكر ياقوت فى المعجم ان حباشة بالحاء المهملة سوق من أسواق العرب فى الجاهلية وفيه أيضاً فى باب الخاء المعجمة خباش نخل لبنى يشكر باليمامة

[٢] قوله ـ والمصير المعا ـ ووزنه فعيل والجمع مصران مثل رغيف ورغفان والمصارين جمع الجمع وميمه أصلية •• وقال بعضهم مصير انما هو مفعل من صار اليه الطعام وانما قالوا مصران كما قالوا فى مسيل الماء مسلان شبهوا مفعلا بفعيل •• وقوله ـ ناقع ـ بالنون من نقع الماء العطش نقوعا أى سكنه

والاغراض مختلفة فلا دلالة فى ظاهر مسئلة الرؤية على جوازها ولأصحابنا عن هذه المسئلة أجوبة ٠٠ منها وهو الأولى والأقوي أن يكون موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه وانما سألها لقومه فقد روى انهم طلبوا ذلك منه والتمسوه فاجابهم بانها لاتجوز عليه تعالى فلم يقنعوا بجوابه وآثروا أن يرد الجواب من قبل ربه تعالي فوعدهم ذلك وغلب في ظنه أن الجواب اذا ورد من جهته جل وعز كان أحسم للشبهة وأبلغ فى دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بمحضر منهم فيعرفوا مايرد من الجواب فسأل وأجيب بما يدل على أن الرؤية لاتجوز عليه تعالى ويقوّي هذا الجواب أشياء ٠٠ منها قوله تعالى (يسئلك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتابا من السماء) الآية ٠٠ ومنها قوله تعالي (واذ قلتم ياموسي لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) الآية ٠٠ ومنها قوله تعالي (فلما أخذتهم الرجفة قال رب) الآية لأن إضافة ذلك الى السفهاء تدل على أنه كان بسببهم ومن أجلهم ولأنهم سألوا مالايجوز عليه تعالى ٠٠ ومنها ذكر الجهرة فى الرؤية وهي لاتليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوي ان الطلب لم يكن للعلم الضرورى على ماسنذكره فى الجواب الثانى ٠٠ ومنها قوله (انظر اليك) لأنا اذا حملنا الآية على طلب الرؤية لقومه أمكن أن يحمل قوله أنظر اليك على حقيقته واذا حملت الآية على طلب العلم الضرورى احتيج الي حذف فى الكلام ويصير تقديره أرنى أنظر الي الآيات التي عندها أعرفك ضرورة ٠٠ ويمكن فى هذا الوجه الاخير خاصة أن يقال اذا كان المذهب الصحيح عندكم هو ان النظر على الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله تعالي أنظر اليك حقيقة في جواب من حمل الآية على طلب الرؤية لقومه ٠٠ فان قلتم لايمتنع أن يكونوا التمسوا الرؤية التي يكون معها النظر والتحديق الى الجهة فسأل عليه الصلاة والسلام على حسب ماطلبوا ٠٠ قيل لكم هذا ينقض فرقكم فى هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين سؤال جميع مايستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضى الجسمية بان تقولوا الشك فى الرؤية لايمنع من معرفة السمع والشك في جميع ما ذكر يمنع من ذلك لأن الشك الذى لايمنع من معرفة صحة السمع انما هو فى الرؤية التى لايكون معها نظر فلا يقتضي التشبيه ٠٠ فان قلتم الذي يمنع من معرفة السمع انما يحمل ذكر النظر

فيه على أن المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز لان من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه وداناه ٠٠ قلنا فكأنكم عدلتم من مجاز الى مجاز فلا قوة فى هذا الوجه والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدمة أولى وليس لاحد أن يقول لو كان عليه الصلاة والسلام انما سأل الرؤية لقومه لم يضف السؤال الى نفسه فيقول أرني أنظر اليك ولا كان الجواب مختصاً به وهو قوله تعالى (لن تراني) وذلك لأنه غير ممتنع وقوع الاضافة على هذا الوجه مع ان المسئلة كانت من أجل الغير إذ كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة ٠٠ فلهذا يقول أحدنا اذا شفع فى حاجة غيره للمشفوع اليه أسئلك أن تفعل بى كذا وكذا وتجيبنى الى كذا وكذا ويحسن أن يقول المشفوع اليه قد أجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك وانما حسن هذا لأن للسائل في المسئلة اغراضاً وان رجعت الى الغير فتحققه بها وتكلفه كتكلفه اذا اختصه ولم يبعده ٠٠ فان قيل كيف يجوز منه عليه الصلاة والسلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى أن يسأل فيها لقومه ولئن جاز ذلك ليجوزنّ أن يسأل لقومه سائر مايستحيل عليه تعالي من كونه جسما وما أشبهه متى شكوا فيه ٠٠ قلنا انما صح ماذكرناه فى الرؤية ولم يصح فيما سألت عنه لأن مع الشك فى جواز الرؤية التى لايقتضى كونه جسما يمكن معرفة السمع وانه تعالى حكيم صادق فى اخباره فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ماشكوا في صحته وجوازه ومع الشك فى كونه جسما لايصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم ٠٠ وقد قال بعض من تكلم فى هذه الآية قد كان جائزاً أن يسأل موسي عليه السلام لقومه مايعلم استحالته عليه وان كانت دلالة السمع لاتثبت قبل معرفته متى كان المعلوم ان فى ذلك صلاحا للمكلفين فى الدين وان ورود الجواب يكون لطفا لهم فى النظر فى الادلة وإصابة الحق منها غير أن من أجاب بذلك شرط أن يتبين في مسئلة علمه باستحالة ماسأل عنه وان غرضه فى السؤال وورود الجواب ليكون لطفاً ٠٠ والجواب الثانى في الآية أن يكون موسى عليه السلام انما سأل ربه أن يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض أعلام الآخرة التى تضطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سأل

ابراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى طلباً للتخفيف عليه بذلك وان كان قد عرف ذلك قبل أن يراه والسؤال ان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما يفيد الادراك بالبصر وذلك أظهر من أن يستدل عليه أو يستشهد به فقال له جل وعز (لن تراني) أي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته مني ثم أكد تعالى ذلك بان أظهر في الجبل من آياته وعجائبه مادلّ به على ان اظهار ماتقوم به المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وبيانه لايجوز وأن الحكمة تمنع منه ٠٠ والوجه الأول أولي لما ذكرناه من الوجوه ولأنه لايخلو موسي عليه السلام من أن يكون شاكا في أن المعرفة ضرورية لاتصح حصولها في الدنيا أو عالما بذلك فان كان شاكا فهذا مما لايجوز على النبي صلى الله عليه وسلم لأن الشك فيما يرجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف لايجوز عليهم سلام الله عليهم لاسيما وقد يجوز أن يعلم ذلك على الحقيقة بعض أممهم فيزيد عليهم في المعرفة وهذا أبلغ في التنفير عنهم من كل شئ يمنع منه فيهم وان كان عالما فلا وجه لسؤاله الا أن يقال انه سأل لقومه فيعود الي معنى الجواب الاول ٠٠ والجواب الثالث في الآية ماحكى عن بعض من تكلم في هذه الآية من أهل التوحيد وهو أن قال يجوز أن يكون موسى عليه السلام في وقت مسئلته ذلك كان شاكا في جواز الرؤية على الله تعالي فسأل ذلك ليعلم هل يجوز عليه أم لا قال وليس شكه في ذلك بمانع من أن يعرف الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى شكه في جواز الرؤية على بعض مالايرى من الاعراض في أنه غير مخلّ بما يحتاج اليه في معرفته تعالى ٠٠ قال ولا يمتنع أن يكون غلطه في ذلك ذنباً صغيراً وتكون التوبة الواقعة منه لأجل ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل أن الشك في جواز الرؤية التى لاتقتضي تشبيها وان كان لايمنع من معرفته تعالى بصفاته فان الشك في ذلك لايجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث يجوز من بعض من بعثوا اليه أن يعرف ذلك على الحقيقة فيكون النبى صلى الله عليه وسلم شاكا فيه وغيره عارفا به مع رجوعه الى المعرفة بالله تعالى وما يجوز عليه ومالايجوز عليه وهذا أقوي في التنفير وأزيد على كل ماوجب أن يجنّبه الأنبياء عليهم السلام ٠٠ فان قيل فمن أى شئ كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين ٠٠ قلنا أما من ذهب الى أن

المسئلة كانت لقومه فانه يقول انما تاب لأنه أقدم على أن سأل على لسان قومه مالم يؤذن له فيه وليس للأنبياء ذلك لأنه لايؤمن أن يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك اجابتهم اليه منفراً عنهم ومن ذهب الى أنه سأل المعرفة الضرورية يقول انه تاب من حيث سأل معرفة لايقتضيها التكليف وعلى جميع الاحوال تكون التوبة من ذنب صغير لايستحق عليه العقاب ولا الذم والأولى أن يقال في توبته عليه الصلاة والسلام انه ليس في الآية مايقتضى أن تكون التوبة وقعت من المسئلة أو من أمر يرجع اليها وقد يجوز أن يكون ذلك منه اما لذنب صغير تقدم تلك الحال أو تقدم النبوة فلا يرجع الى سؤال الله تعالى الرؤيا أوما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع الي الله تعالى واظهار الانقطاع اليه والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب صغير وقد يجوز أيضاً أن يكون الغرض في ذلك مضافا الى الى ماقلناه تعليما وتوقيفاً على مانستعمله وندعو به عند الشدائد ونزول الاهوال وتنبيه القوم المخطئين خاصة علي التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالي فان الانبياء عليهم السلام وان لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج في رفع ذلك عنه الى التوبة من الاستقالة ٠٠ فاما قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) فان التجلي ههنا هو التعريف والاعلام والاظهار لما يقتضى المعرفة كقولهم هذا كلام جليّ أي واضح ظاهر وكقول الشاعر

تجلّى لنا بالمَشْرَفِيَّةِ والقَنا وقدْ كانَ عَنْ وَقْعِ الأَسِنَّةِ نائيا

أراد ان تدبيره دلّ عليه حتى علم انه المدبر له وان كان نائياً عن وقع الاسنة فاقام ماأظهره من دلالة فعله على مقام مشاهدته وعبر عنه بأنه تجلي منه ٠٠ وفي قوله تعالى للجبل وجهان ٠٠ أحدهما أن يكون المراد لأهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال تعالى (واسأل القرية ٠٠ وما بكت عليهم السماء والارض) وقد علمنا انه بما أظهره من الآيات انما دل من كان عند الجبل على أن رؤيته تعالي غير جائزة ٠٠ والوجه الآخر أن يكون المعنى للجبل أى بالجبل فأقام اللام مقام الباء كما قال تعالى (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي به وكما يقول أخذتك لجرمك أى بجرمك ولما كانت الآية الدالة على منع ما سئل فيه انما حلت الجبل وظهرت فيه جاز أن يضاف التجلي اليه وقد استدل

بهذه الآية كثير من العلماء الموحدين على أنه تعالى لايرى بالأبصار من حيث نفي الرؤية نفياً عاما بقوله تعالي (لن تراني) ثم أكد ذلك بأن علق الرؤية باستقرار الجبل الذى علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة للعرب معروفة فى تبعيد الشيء لأنهم يعلقونه بما يعلم انه لايكون كقولهم لا كلمتك ماأضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر

إذَا شابَ الغُرَابُ رَجوْتُ أهْلي ... وَصارَ القِيرُ كاللَبَنِ الحلَيبِ

•• ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتي يلج الجمل فى سم الخياط) وليس لأحد أن يقول اذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره تعالى فيجب أن تكون الرؤية معلقة به أيضاً في مقدوره تعالى بانه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه بأمر يستحيل كما علق دخولهم الجنة بامر يستحيل من ولوج الجمل فى سم الخياط. وذلك ان تشبيه الشيء بغيره لايجب أن يكون من جميع الوجوه ولما علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل وقد علم أنه لايستقر علم انفى الرؤية وما عدا ذلك من كون الرؤية مستحيلة وغير مقدورة واستقرار الجبل بخلافها خارج عن ماهو الغرض فى التشبيه على انه انما علق تعالي جواز الرؤية باستقرار الجبل فى تلك الحال التى جعله فيها دكا وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى مجرى جواز الرؤية فى الاستحالة وليس يجب فى كل ماعلق بغيره أن يجرى مجراه فى سائر وجوهه حتى اذا كان أحدهما مع انتفائه مستحيلا كان الآخر بمثابته مستحيلا لأن تعليق دخول الكفار الجنة انما علق بولوج الجمل فى سم الخياط ودخول الكفار الجنة لم يكن مستحيلا بل معلوم ان الاول في المقدور وان كان لايحسن والثانى ليس فيه المقدور وهذه الجملة كافية فى تأويل هذه الآية وبيان مافيها والحمد لله وحده

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وانى لاستجيد قول أبى العاص بن خزام ابن عبد الله بن قتادة المازني

وكَمْ مِنْ صاحِبٍ قدْ بانَ عَنّي ... رُمِيتُ بفَقْدِهِ وَهوَ الحبَيبُ

فلَمْ أُبْدِ الذِي تَحْنُو ضُلُوعِي ... عليْـهِ وإنّني لأنا الكَئيبُ

مَخافَةَ أنْ يرَانِي مُسْتَكِينا ... عَـدُوٌّ لاَ يُشابِهُـهُ قَرِيبُ

فَيَشْمَتَ كاشِحٌ ويَظُنَّ أَنّي ... جَزُوعٌ عِنْـدَ نائِبَـةٍ تَنُوبُ

فَبَعْدَكَ شَـدَّتِ الأَعْدَاءُ طَرْفاً ... إليَّ وَرَابَنِى دَهْرٌ مُرِيبُ

معنى ـ شدت الاعداء طرفا ـ أى نظرت الى نظراً شديداً فظهر الغضب من عيونها

وأُنكِرْتُ الزَّمانَ وكُلَّ أهْلِي ... وَهرَّتْني لِغَيْبَتِكَ الكَلِيبُ

يقال كلبٌ وكليب مثل عبد وعبيد

وكُنتُ تَقَطَّعُ الأَبْصارُ دُونِى ... وإنْ وَغِرَتْ مِنَ الغَيْظِ القلُوبُ

وَيَمْنَعُنى مِنَ الأَعْـدَاءِ أَنّي ... وإنْ رَغِمُوا لمَخْشِيٌّ مَهِيبُ

فلَمْ أَرَ مِثْلَ يَوْمِكَ كانَ يَوْما ... بَدَتْ فِيـهِ النُّجُومُ فَما تَغِيبُ

وَلَيْـلٍ ماأَنامُ بِهِ طوِيلٍ ... كأَنّي لِلنُّجُومِ بِهِ رَقِيبُ

وَمايَكُ جاثِيًا لاَ بُدَّ مِنْـهُ ... إليكَ فسوْفَ تَجْلُبُـهُ الجلُوبُ

مجلس آخر ٧١

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها) الى قوله (تعقلون) •• فقال كيف ذكر تعالى هذا بعد ذكر البقرة والأمر بذبحها وقد كان ينبغي أن يتقدمه لأنه انما أمر الله تعالي بذبح البقرة لينكشف أمر القاتل فكيف أخر تعالى ذكر السبب عن المسبب وبني الكلام بناء يقتضى انه كان بعده ولم قال تعالى (واذ قتلتم نفساً) والرواية وردت بأن القاتل كان واحداً فكيف يجوز أن يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل بينها واحد والى أى شيء وقعت الاشارة بقوله تعالي (كذلك يحيى الله الموتي) •• الجواب قيل له أما قوله تعالى (واذ قتلتم نفساً) ففيه وجهان •• أولهما أن تكون هذه الآية وان تأخرت فهي مقدمة في المعنى على الآية التى ذكرت فيها البقرة ويكون التأويل واذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها فسألتم موسى عليه السلام فقال لكم ان الله

يأمركم أن تذبحوا بقرة فأخر المقدم وقدم المؤخر •• ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير •• ومثله (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) •• وقال الشاعر

إنَّ الفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ عادِيَةٌ　　طالَتْ فليسَ تَنالُها الأَوْعالاَ [١]

أراد طالت الاوعال فليس تنالها •• ومثله

طافَ الخَيالُ وأَيْنَ مِنكَ لِماما　　فارْجِعْ لِزَوْرِكَ بالسَّلامِ سَلاما

أراد طاف الخيال لماما وأينه منك •• والوجه الثانى أن يكون وجه تأخير قوله تعالي (واذ قتلتم نفساً) انه معلق بما هو متأخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله

---

(١) قوله ــ طالت فليس تنالها الاوعالا ــ أى طالت الاوعال بمعني فاقتها فى الطول يقال طال فلان فهو طويل وفعله على وزن فعل بضم العين لمجيء الوصف منه على فعيل وهو لازم •• وأما قولهم إن بشراً قد طلع اليمن ورحبكم الدخول فانهما ضمنا معنى بلغ اليمن ووسعكم الدخول وأما طاله ففعل بالفتح ولا يكون بالضم لأن فعل لا يتعدّي كما تقدم والبيت من هذا النوع قال سيبويه انما صحت الواو فى طويل لأنه لم يجيء على الفعل لأنك لو بنيته على الفعل قلت طائل وانما هو كفعيل يعنى به مفعول وقد جاء على الأصل فاعتل فعله نحو مخيوط فهذا أجدر •• قال وانما صحت الواو في طوال لصحتها فى الواحد فطوال من طويل كجوار من حاورت والبيت لسبيح بن رياح الزنجى ويقال رباح بن سبيح قاله حين غضب لماقال جرير فى الفرزدق

لاتطلبن خؤولة من تغلب　　فالزنج أكرم منهم أخوالا

فقال سبيح أو رباح

الزنج لو لاقيتهم في صفهم　　لاقيت ثم جحاجحاً أبطالا

مابال كلب بنى كليب سبنا　　أن لم يوازن حاجباً وعقالا

* ان الفرزدق صخرة عادية الخ * وبعض الرواة ينسبه للأخطل ويدخله في قصيدته التى يهجو بها جريراً ومطلعها

كذبتك عينك أم رأيت بواسط　　غلس الظلام من الرباب خيالا

وذلك غلط

البقرة انما هو بعد الذبح فكأنه تعالى قال (فذبحوها وما كادوا يفعلون) لانكم (قتلتم نفساً فادّارأتم فيها) فامرناكم بأن تضربوه ببعضها لينكشف أمره فاما إخراج الخطاب تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) لأن الامر بضرب المقتول ببعض مخرج مايتوجه الى الجميع مع أن القاتل واحد فعلى عادة العرب في خطاب الأبناء بخطاب الآباء والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها فيقول أحدهم فعلت بنو تميم كذا وقتل بنو فلان فلاناً وان كان القاتل والفاعل واحداً من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ (يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو اختيار الكسائى وأبي العباس ثعلب فيقتل بعضهم ويقتلون وهو أبلغ في وصفهم وأمدح لهم اذا قاتلوا وقتلوا بعد أن يقتل بعضهم كان ذلك أدلّ على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم •• وقد قيل انه كان القاتلان اثنين قتلا ابن عم لهما فان الخطاب جرى عليهما بلفظ الجمع كما قال تعالى (وكنا لحكمهم شاهدين) يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه الاول أولى وأقوى بشهادة الاستعمال الظاهر له ولأن أكثر أهل العلم أجمعوا على أن القاتل كان واحداً •• ومعنى (فادّارأتم) فتدارأتم أي تدافعتم وألقى بعضكم القتل على بعض يقال دارأت فلانا اذا دافعته وداريته اذا لاينته ودريته اذا ختلته ويقال أدرأ القوم اذا تدافعوا والهاء فى قوله فادّارأتم فيها تعود الى النفس •• وقيل انها تعود على القتلة أي اختلفتم فى القتلة لأن قتلتم تدل على المصدر والقتلة من المصادر تدل عليها الافعال ورجوع الهاء الى النفس أولى وأشبه بالظاهر •• فاما قوله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) فالاشارة وقعت الى قيام المقتول عند ضربه ببعض أعضاء البقرة لأنه روى أنه قام حياً وأوداجه تشخب دما فقال قتلنى فلان ونبه الله تعالى بهذا الكلام وبذكر هذه القصة علي جواز ما أنكره مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام الاموات لأنهم قالوا اذا كنا عظاما ورفاتا الآية فاخبرهم الله تعالى بان الذى أنكروه واستبعدوه هيّن عليه غير متعذر فى إتساع قدرته وكان مما ضرب تعالى لهم من الامثال ونبههم عليه من الادلة ذكر المقتول الذي ضرب ببعض البقرة فقام حياً وأراد تعالى انى اذا كنت قد أحييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة ويأس قومه من عوده والطواء خبر كيفية قتله عنهم ورددته حياً مخاطباً

باسم قائله فكذلك فاعلموا ان إحياء جميع الاموات عند البعث لايعجزني ولا يتعذر علي وهذا بين لمن تأمله .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن الشعر المشهور بالجودة في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها قول نهشل بن جري يرثي أخاه مالكا

ذَكَرْتُ أخي المُخَوَّلَ بعدَ يأسٍ   فهاجَ عليَّ ذِكْرَاهُ اشْتِيَاقِي
فلا أنسى أخي مادمتُ حيًّا   وإخواني بأقريةِ العتاقِ
يجرّونَ الفصالَ على النّدامى   بروقَ الحزنِ من كنفي إباقِ
ويغلونَ السِّباءَ إذا أتوهُ   بضُمْرِ الخيلِ والشَّوْلِ الخفاقِ
إذا اتّصلوا وقالوا يا آلَ عوفٍ   وراحوا في المُحَبَّرةِ الرِّقاقِ
أجابكَ كلُّ أروعَ شمّريٍّ   رَخِيِّ البالِ مُنْطَلِقِ الخناقِ
أناسٌ صالحونَ نشأتُ فيهم   فأودوا بعدَ إلفٍ واتِّساقِ
مضَوْا لسبيلِهِمْ ولبثتُ عنهمْ   ولكنْ لا مَحالةَ من لحاقِ
كذا الإلفُ الذي أذلجنَ عنهُ   فجنَّ ولا يتوقُ إلى متاقِ
أرى الدُّنيا ونحنُ نعيثُ فيها   مُوَلِّيةً تهيّأُ لإنطلاقِ
أعاذِلُ قد بقيتُ بقاءَ قيسٍ   وما حيٌّ على الدُّنيا بباقي
كأنَّ الشيبَ والأحداثَ تجري   إلى نفسِ الفتى فرسا سباقِ
فإمّا الشّيبُ يدركُهُ وإمّا   يلاقي حتفَهُ فيما يلاقي
فإنْ تكُ لمّتي بالشّيبِ أمستْ   شميطَ اللونِ واضحةَ المساقِ
فقد أغدو بداجيةٍ أراني   بها المتطلّعاتُ من الرّواقِ
إليَّ كأنّهنَّ ظباءُ قفرٍ   برُهْبي أو بباعجتي فتاقِ (١)

(١) رهبي - بفتح أوله وسكون ثانيه وبعد الهاء باء موحدة خبراء في الصمان في ديار بني تميم

يُرامقنَ الحبالَ بغيرِ وصلٍ   وليسَ حبالُ وصلي بالرِّماقِ
وعهدُ الغانياتِ كعهدِ قينٍ   وفتْ عنهُ الجعائلُ مستذاقِ
كجلبِ السوءِ يُعجبُ منْ رآهُ   ولا يشفي الحوائمَ من لماقِ
فلا يَبْعُدْ مصابي في المواسي   وإشرافُ العلايةِ وانصفاقِ
وغبراءِ القتامِ جلوتُ عني   بمجلي الطّرفِ سالمةِ المآقي
وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتّى   سئمتُ النّصَّ بالقُلُصِ العتاقِ
وكم قاسيتُ من سنةٍ جمادٍ   تمضُّ الأدمَ مادونَ العراقِ
إذا أفنيتُها بُدِّلتُ أخرى   أعدُّ شهورَها عدَّ الأواقي
وأفنتني الشّهورُ وليسَ تفنى   وتمدادُ الأهلّةِ والمحاقِ
وماسبقَ الحوادثَ ليثُ غابٍ   يجرُّ لعرسهِ جزرَ الرِّفاقِ
ولا بطلٌ تعادى الخيلُ منهُ   فرارَ الطّيرِ من بردٍ بعاقِ

وأحسن حارثة بن بدر الغداني في قوله

يا بكرُ ماراحَ من قومٍ ولا ابتكروا   إلّا وللموتِ في آثارِهمْ حادي
يا كعبُ ماطلعتْ شمسٌ ولا غربتْ   إلّا تقرّبُ آجالاً لميعادِ

ولأبي العتاهية في هذا المعنى

إذا انقطعتْ عنّي من العيشِ مدّتي   فإنَّ بكاءَ الباكياتِ قليلُ
سيُعرَضُ عن ذكري وتُنسى مودّتي   ويحدثُ بعدي للخليلِ خليلُ
أجلّكَ قومٌ حينَ صرتَ إلى الغنى   وكلُّ غنيٍّ في العيونِ جليلُ

وليسَ الغِنا إلا غنيٌّ زيَّنَ الفتَي　　عشيَّةَ يقرِي أوْ غَـدَاةَ يُنيلُ
ولم يَفْتَقِرْ يَوْماً وإنْ كانَ مُعْدِماً　　جوَادٌ ولم يَسْتَغْنِ قطُّ بَخِيـلُ
إذَا مالَتِ الدُّنيا الي المَرْءِ رَغَّبَتْ　　إليـهِ وَمالَ النَّاسُ حيثُ يَميلُ
أرَى عللَ الدُّنيا على كَثيرَةً　　وَصاحِبُها حتَّى المَماتِ عَليلُ
وإنِّي وإنْ أصبَحتُ بالمَوْتِ مُوقِناً　　فلِي أمَلٌ دُونَ اليَقِـينِ طوِيلُ

وقد أحسن البحترى في قوله في هذا المعنى

أخيَّ متي خاصَمْتَ نَفسكَ فاحتَشِدْ　　لها ومَتي حدَّثتَ نَفسكَ فاصْدُقِ
أرَى علَلَ الأشياءِ شتَّي وَلاَ أرَى الـ　　ـتَّجمُّعَ الاَّ عِلَّةً لِلتَّفرُّقِ
أرَي العَيْشَ ظِلاًّ تُوشِكُ الشَّمْسُ نَقلَهُ
فَكِسْ في ابْتِغاءِ العَيْشِ كَيْسكَ أوْمِقِ
أرَى الدَّهرَ غُولاً لِلنُّفُوسِ وإنَّما　　يَقِي اللهُ في بَعْضِ المَوَاطِنِ مَن يَقِي
فلاَتَتَبَّعِ الماضِي سُؤَالكَ لِمْ مَضي　　وعَرِّجْ على البَاقِي فَسائِلْهُ لِمْ بَقِي
ولمْ أرَ كالدُّنيا خَلِيلَةَ صاحِبٍ　　مُحِبٍّ مَتى تَحْسُنْ بِعَيْنَيهِ تَطْلُقِ
تَرَاها عَنايا وَهْيَ صَنْعَةُ واحِدٍ　　فَتَحْسِبُها صُنْعاً لَطيفٍ وأخرَقِ

.. وقد قيل ان السبب فى خروج البحترى من بغداد في آخر أيامه كان هذه الابيات لأن بعض أعدائه شنّع عليه بأنه ثنوى من حيث قال ـ فتحسبها صنعا لطيف وأخرق ـ وكانت العامة حينئذ غالبة على البلد فخاف على نفسه فقال لابنه أبى الغوث قم يابني حتى نطفى عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود فخرج ولم يعـد .. وأحسن أيضاً غاية الاحسان فى قوله

أغشَي الخُطُوبَ فإمَّا جِئْنَ مأرِبَتِي　　فيما أسَيِّرُ أوْ أحكَمْنَ تأدِيبِي

إنْ تَلتَمِسِ تُمْرِ أخلاَفَ الخُطوبِ وإنْ
تَلْبَثْ مَعَ الدَّهرِ تَسْمَعْ بالأعاجِيبِ (1)

---

(١) الابيات من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي ومطلعها

أتاركى أنت أم مغرى بتعذيبي　　ولائمى في الهوي إنكان يزرى بي
عمر الغواني لقدين من كثب　　هضيمة في محب غير محبوب
إذا مددنا الى أعراضه سبباً　　وقين من كرهه الشبان بالشيب
أمفلت بك من زهد المهارب　　من مرهق ببوادى الشيب مقروب
يحنو به من أعاليـه على أود　　حنو الثقاف جرى فوق الانابيب
أم هل مع الحب حلم لانسفهه　　صبابة أوعزاء غـير مغلوب
قضيت من طلبي للغانيات وقد　　شأوتني حاجة في نفس يعقوب
لم أر كالنفر الاغفال سائمـة　　من الحباق لم تحفظ منا لذيب
وأربد القطر يلقاك السراب به　　بعد التربض مبيض الجلابيب
أغشي الخطوب .. البيتان وبعدهما

ومنها　الى أبى جعفر خاضت ركائبنا　　خطار كل مهول الخرق مرهوب
نوط آمالنا منـه على ملك　　مردد فى صريح المجد ملسوب
مختضر الباب اما آذن النقرى　　أو فائت لعيون الوفد محجوب
ومنها　خلائق كسوار المزن موفية　　على البلاد بتصبيح وتأويب
ينهضن بالثقل لاتعطى النهوض به　　أعناق مجفرة الهوج المراجيب
في كل أرض و قوم من سحائبه　　أسكوب عارفة من بعد أسكوب
لم بث فى حاضر النهرين من نفل　　ملقى على حاضر النهرين مصبوب
يملأ أفواه مداحيه من حسب على السماكين والنسرين مسحوب
تاتى اليه المعالي قصد أوجهها　　كالبيت يقصـد أماً بالمحاريب
معطي من المجد مزداداً برغبته　　يجرى علي سنن منه وأسلوب

وفى قوله

مَتي تَستَزِدْ فضلاً مِنَ العُمْرِ تَغتَرِفْ   بسَجلَيكَ مِنْ شَهْدِ الخُطُوبِ وَصابِها
تَشدُّ بِنا الدُّنيا بأخفَضِ سَعيها   وَغولُ الأفاعِي لَهُ مِنْ لعابِها
يُسَرُّ بعُمْرانِ الدِّيارِ مُضَلَّلٌ   وَعمْرانُها مُستأنَفٌ مِنْ خَرابِها
ولم أرْتَضِ الدُّنيا أوانَ مَجيئها   وكيفَ ارْتِضائيها اوانَ ذَهابِها
أقولُ لِمَكذوبٍ مِنَ الدَّهْرِ زاغَ عَن   تَخيرُ آراءِ الحِجى وَانتِخابِها
سَبُرْدِيكَ أوْ يُشوِيكَ أنكَ مُخلسٌ   إلي شُقّةٍ يُبكيكَ مِن بَعدُ ما بِها
وَهلْ أنتَ مِن مَرْمُوسَةٍ طالَ أخذُها   مِنَ الأرْضِ الأحفَنةَ مِن تُرابِها[1]

كالعين منهومة بالحسن تتبعه   والأنف يتبع أعلى منتهى الطيب
ما آنفك منتضياً سيفى قرى ووغى   على الكواهل تدمي والعراقيب
قد سرني برجل من عداونه   بعد الذى اختبطت من سخطه الموب
ساروا مع الناس حيث الناس أزفلة   فى جوده بين مرؤوس ومربوب
ولو تناهت بنو شيبان عنه اذا   لم يجشموا وقع ذى حدين مذروب
مازادها النفر عنه غير تعرية   وبعدها من رضاه غير تتبيب

(١) الابيات من قصيدة يمدح بها صاعدا ومطلعها
معاد من الايام تعذيبنا بها   وابعادها بالالف بعد اقترابها
وما تملأ الآفاق من فيض عبرة   وليس الهوى البادى لفيض انسكابها
غوى رأى نفس لا ترى أن وجدها   بتلك الغواني شقة من عذابها
وحظك من ليلي ولا حظ عندها   سوي صدها من غادة واجتنابها
بفاوت من تأليف شعي وشعبها   تناهى شبابي وابتداء شبابها
هي الشمس الا ان أن شمساً تكشفت   لمبصرها وانها في ثيابها

•• وجدت الآمدى يروى هذا البيت انك محبس بالباء •• وتفسير ذلك ان المعنى انك موقوف الى أن تصير الى هذا من قولك أحبست فرساً فى سبيل الله وأحبست دارى أى وقفتها والرواية المشهورة انك محلس باللام[1] •• والمعنى انك متهيء للرحيل ومتخذ حلساً يوضع تحت الرحل وهذا أشبه بالمعنى الذى قصده البحترى وأولى بأن يختاره مع دقة طبعه وسلامة ألفاظه

مجلس آخر ٧٢

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) الى قوله (تعالى الله عما يشركون) •• فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضى جواز الشرك بالله على الأنبياء عليهم السلام لأنه لم يتقدم الا ذكر آدم وحواء عليهما السلام فيجب أن يكون قوله تعالى (جعلا له شركاء فيما آتاهما) يرجع اليهما •• الجواب قلنا كما ان ذكر آدم وحواء عليهما السلام قد تقدم فقد تقدم أيضاً ذكر غيرهما في قوله تعالي (هو الذى خلقكم) ومعلوم ان المراد بذلك جميع ولد آدم عليه السلام في قوله (فلما آتاهما صالحا) وأراد بالصلاح الاستواء فى الاعضاء والمعنى فلما آتاهما ولداً صالحا والمراد بهذا الجلس دون الواحد وان كان اللفظ لفظ وحدة والمعنى فلما آتاهما جنساً من الاولاد صالحين •• واذا كان الامر على ماذكرناه جاز أن يرجع قوله تعالى (جعلا له شركاء) الى ولدهما وقد تقدم ذكرهم •• فان قيل انما وجب رده الى آدم وحواء عليهما السلام لأجل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين الاذكرهما عليهما السلام •• قلنا ان جعل هذا ترجيعاً في رجوعه اليهما جاز أيضاً أن يجمل قوله تعالى فى آخر الآية (تعالى الله عما يشركون)

[١] ـ قات والبيت في ديوان شعره
سيرديك أو يشويك أنك مخلس   الي شقة يبليك بعد ما بها

وجهاً مقربا لرجوع الكلام الى جملة الاولاد ويجوز أيضاً أن يكون أشار في التثنية الي الذكور والاناث من ولد آدم عليه السلام والي جنسين منهم فحسنت التثنية لذلك على أنه اذا تقدم فى الكلام أمران ثم تلاهما حكم من الاحكام وعلم بالدليل استحالة تعلقه باحد الامرين وجب رده الى الآخر .. واذا علمنا أن آدم عليه السلام لايجوز عليه الشرك لم يجز عود الكلام اليه فوجب عوده الي المذكورين من ولد آدم عليه السلام .. وذكر أبو علي الجبائي فى هذا مانحن نورده على وجهه .. قال انما عنى بهذا ان الله تعالي خلق بني آدم من نفس واحدة لأن الاضمار فى قوله تعالى خلقكم انما عنى به بني آدم عليه السلام والنفس الواحدة التى خلقهم منها هي آدم لأنه خلق حواء من آدم ويقال انه تعالى خلقها من ضلع من أضلاعه ويقال من طينته فرجعوا جميعاً الى أنهم خلقوا من آدم عليه السلام .. وبين ذلك بقوله تعالي (وخلق منها زوجها) لأنه عنى به انه خلق من هذا النفس زوجها وزوجها هي حواء عليهما السلام .. وعنى بقوله تعالي (فلما تغشاها حملت حملا خفيفا) وحملها هو حبلها منه فى ابتداء الحمل لأنه فى ذلك الوقت خفيف عليها .. ومعنى قوله تعالى (فمرّت به) ان مرورها بهذا الحمل فى ذلك الوقت وتصرفها به كان عليها سهلا لخفته فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله تعالى (أثقلت دعوا الله) فثقل عليها عند ذلك المشي والحركة .. وعنى بقوله تعالى (دعوا الله ربهما) انهما دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا لئن آتيتنا يارب نسلا صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا لأنهما أرادا أن يكون لهما أولاد تؤنسهما فى الموضع الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين اذا غاب أحدهما بقى الآخر مستوحشاً بلا مؤنس فلما آتاهما نسلا صالحا معافي وهم الأولاد الذين كانوا يولدون لهما لأن حواء عليها السلام كانت تلد في كل بطن ذكر وأنثى فقال انها ولدت في خمسمائة بطن ألف ولد .. وعنى بقوله تعالي (فلما آتاهما صالحا جعلاله شركاء فيما آتاهما) أى إن هذا النسل الصالح الذى هم ذكر وأنثي جعلاله شركاء فيما آتاهما من نعمة وأضاف بعد تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالي من الأصنام والاوثان ولم يعن بقوله تعالى جعلا آدم وحواء عليهما السلام لأن آدم لايجوز عليه

الشرك لأنه نبيٌّ من أنبيائه ولو جاز الشرك والكفر على الأنبياء لما جاز أن يثق أحدنا بما يؤديه النبي عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى عز وجل لأن من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لايؤخذ باخباره فصح بهذا ان الاضمار في قوله تعالي (جعلاله شركاء) انما يعنى به النسل وانما ذكر ذلك على سبيل التثنية لأنهم كانوا ذكراً وأنثي فلما كانوا صنفين جاز أن يجعل تعالي الاخبار عنهما كالاخبار عن الأثنين اذ كانا صنفين .. وقد دل على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى في آخر الآية (تعالى الله عما يشركون) فبين عز وجل ان الذين جعلوا لله شركاءهم جماعة فلهذا جعل إضمارهم إضمار الجماعة فقال تعالى يشركون مضي كلام أبي علي .. وقد قيل في قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا) مضافا الى الوجه المتقدم الذي هو انه أراد بالصلاح الاستواء في الخلقة والاعتدال في الاعضاء وجه آخر وهو انه لوأراد الصلاح في الدين لكان الكلام أيضاً مستقيما لأن الصالح فى الدين قد يجوز أن يكفر بعد صلاحه فيكون في حالٍ صالحا وفي أخري مشركا وهذا لايتنافى .. وقد استشهد فى جواز الانتقال من خطاب الي غيره ومن كناية عن مذكور الى مذكور سواه ليصح ماقلناه من الانتقال من الكناية عن آدم عليه السلام وحواء عليها السلام الى ولدهما بقوله تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله) فانصرف عن مخاطبة الرسول الى مخاطبة المرسل اليهم ثم قال (وتعزروه وتوقروه) يعنى الرسول عليه الصلاة والسلام ثم قال (وتسبحوه) وهو يعنى مرسل الرسول فالكلام واحد متصل بعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد الى غيره وبقول الهذلى

يالَهْفَ نَفْسِي كانَ جِدَّةُ خالِدٍ   وَبَياضُ وَجْهِكَ لِلتُّرابِ الأَعْفَرِ

ولم يقل وبياض وجهه .. وقال كثير

أَسِيئِي بِنا أَوْأَحْسِنِي لاَمَلُومَةً   لَدَينا ولاَ مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ [1]

---

(١) قوله ـ أسيء بنا أو أحسنى ـ أورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى (أنفقوا طوعا أو كرهاً لن يتقبل منكم) على تساوى الانفاقين في عدم القبول كما

نخاطب ثم ترك الخطاب ٠٠ وقال آخر

فِديً لكَ يافتيَ وَجَميعُ أَهْلي　　وَما لِي إِنَّهُ منهُ أتانِي

ساوى كثير بين الاحسان والاساءة في عـدم اللوم والنكتة فى مثل ذلك اظهار لنفى تفاوت الحال بتفاوت فعل المخاطب كأنه يأمرها بذلك لتحقيق أنه على العهد ومقلية بمعنى مبغضة من القلى وهو البغض ٠٠ والبيت من قصيدته المشهورة ٠٠ روي أن عبد الملك سأله عن أعجب خبرله مع عزة فقال ياأمير المؤمنين حججت سنة وحج زوج عزة معها ولم يعلم أحدنا بصاحبه فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن تصلح به طعاما لرفقته فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتي دخلت الىّ وهي لاتعلم أنها خيمتي وكنت أبرى سهماً فلما رأيتها جعلت أبري لحمى وأنظر اليها حتى بريت ذراعى وأنا لاأعلم به والدم يجرى فلما علمت ذلك دخلت اليّ فامسكت يدىّ وجعلت تمسح الدم بثوبها وكان عندى نحى سمن فحلفت لتأخذه فأخذته وجاء زوجها فلما رأي الدم سألها عن خبره فكاتمته حتي حلف عليها لتصدقنه فصدقته فضربها وحلف عليها لتشتمنى فى وجهى فوقفت على وقالت لى وهى تبكى يابن الزانية ومطلع القصيدة

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا　　قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

ومساترابا كان قد مس جلدها　　وبيتاً وظلا حيث باتت وظلت

ولا تيأسا أن يمحو الله عنكما　　ذنوبا اذا صليتما حيث صلت

وما كنت أدري قبل عزة ماالبكي　　ولا موجعات القلب حتى تولت

وقد حلفت جهداً بما نحرت له　　قريش غداة المأزمين وصلت

أناديك ماحج الحجيج وكبرت　　بفيفا غزالٍ رفقة وأهلت

وكانت لقطع العهد بيني وبينها　　كناذرة نذراً فأوفت وحلت

فقلت لها ياعز كل مصيبة　　اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

ولم يلق انسان من الحب ميعة　　لغم ولا عمياء الا تجلت *

كأني أنادي صخرة حين أعرضت　　من الصم لو تمشي بها العصم زلت

ولم يقل منك أتاني ٠٠ ووجدت أبا مسلم محمد بن بحر يحمل هذه الآية على أن الخطاب فى جميعها غير متعلق بحواء وآدم عليهما السلام ويجعل الهاء في تغشاها والكناية في دعوا

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة　　فمن مل منها ذلك الوصل ملت

أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها　　وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت

فليت قلوصي عند عزة قيدت　　بحبل ضعيف غر منها فضلت

وغودر فى الحى المقيمين رحلها　　وكان لها باغ سواي فبلت

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة　　ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وكنت كذات الظلع لما تحاملت　　على ظلعها بعد العثار استقلت

أريد الثواء عندها وأظنها　　اذا ماأطلنا عندها المكث ملت

فما أنصفت أما النساء فبغضت　　الينا وأما بالنوال فضنت *

يكلفها الغيران شتمى وما بها　　هواني ولكن للمليك استذلت

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر　　لعزة من أعراضنا مااستحلت

ووالله ماقاربت الا تباعدت　　بصرم ولا أكثرت الا أقلت

فان تكن العتبي فاهلا ومرحباً　　وحقت لها العتبي لدينا وقلت

وان تكن الاخري فان وراءنا　　مناوح لو تسرى بها العيس كلت

خليلى ان الحاجبية طلحت　　قلوصيكما وناقتى قد أكلت

فلا يبعدن وصل لعزة أصبحت　　بعاقبة أسبابه قد تولت *

أسيء بنا أو أحسنى لاملومة　　لدينا ولا مقلية ان تقلت *

ولكن أميلى واذكري من مودة　　لنا خلة كانت لديك فضلت

واني وان صدت لمثن وصادق　　عليها بما كانت الينا أزلت

فما أنا بالداعى لعزة بالجوى　　ولا شامت ان نعل عزة زلت

فلا يحسب الواشون ان صبابتى　　بعزة كانت غمرة فتجلت

فاصبحت قد أبللت من دنفها　　كما أدنفت هيماء ثم استبلت

ووالله ثم الله ماحل قبلها　　ولا بعدها من خلة حيث حلت

الله ربهما وآتاهما صالحا راجعتين الى من أشرك ولم يتعلق بآدم وحواء عليهما السلام من الخطاب الا قوله (خلقكم من نفس واحدة) لأن الاشارة في قوله (خلقكم من نفس واحدة) الى الخلق عامة ٠٠ وكذلك قوله تعالى(وجعل منها زوجها) ٠٠ ثم خص منها بعضهم كاقال تعالي (هو الذي يسيّركم فى البرّ والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) فخاطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر ثم خص راكب البحر بقوله تعالى (وجرين بهم بريح طيبة) كذلك هذه الآية أخبرت عن جملة أمر البشر فانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها آدم وحواء عليهما السلام ٠٠ ثم دعى الذكر اي الذى سأل الله تعالى ماسأل فلما أعطاه اياه ادعى الشركاء فى عطيته ٠٠ وقد جائز أن يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصاً اذ كان كل بني آدم مخلوقاً من نفس واحدة ٠٠ ويجوز أن يكون المعنى فى قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) خلق كل واحدٍ منكم من نفس واحدة وهذا يجيء كثيراً فى القرآن وفي كلام العرب قال الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والمعنى فاجلدوا كل واحدٍ ثمانين جلدة وقال (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها) فلكل نفس زوج وهومنها أى من جلسها فلما تغشي كل نفس زوجها حملت حملاً خفيفاً وهو ماء الفحل فمرت به أي مارت والمور التردّد والمراد تردّد هذا الماء فى رحم هذه الحامل فلما أثقلت

وما مرّ من يوم عليّ كيومها	وان عظمت أيام أخرى وجلت
فاضحت بأعلى شاهق من فؤاده	فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فياعجباً للقلب كيف اعترافه	وللنفس لما وطنت كيف ذلت
واني وتهيامي بعزة بعدما	تخليت عما بيننا وتخلت ٭
لكالمرتجى ظل الغمامة كلما	تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كأني واياها سحابة ممحل	رجاها فلما جاوزته استهلت
فان سأل الواشون فيما هجرتها	فقل نفس حر سليت فتسلت

أى ثقل حملها أى بمصير ذلك الماء لحماً ودماً وعظماً دعوا الله أى الرجل والمرأة لما استبان حمل المرأة فقالا لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما أى اعطاهما ماسألا من الولد الصالح نسبا ذلك الى شركاء معه فتعالى الله عما يشركون ٠٠ وقال قوم معنى جعلا له شركاء أى طلبا من الله أمثالاً للولد الصالح فشركا بين الطلبتين وتكون الهاء فى قوله تعالى له راجعة الى الصالح لا الي الله تعالي ويجري مجرى قول القائل طلبت مني درهماً فلما أعطيتك أشركته بآخر أي طلبت آخر مضافا اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع أن يكون قوله تعالى جعلا والخطاب كله متوجهاً الى آدم وحواء عليهما السلام

—٭٭٭٭٭—

مجلس آخر ٧٣

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالي (قال أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون) ٠٠ فقال أليس ظاهر هذا القول يقتضى انه خالق لاعمال العباد لان ماههنا بمعنى الذى فكأنه قال خلقكم وخلق أعمالكم ٠٠ الجواب قلنا قد حمل أهل الحق هذه الآية على ان المراد بقوله تعالى وما تعملون أى وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه أصناماً ويعبدونها ٠٠ قالوا وغير منكر ان يريد بقوله تعالي وما تعملون ذلك كما انه قد أراد ماذكرناه بقوله تعالى وتعبدون ماتنحتون لانه لم يرد تعالي انكم تعبدون نحتكم الذي هو فعلكم بل أراد ماتفعلون فيه النحت وكما قال تعالى في عصى موسى عليه السلام تلقف ماياًفكون وتلقف ماصنعوا وانما أراد تعالى ان العصى تلقف الحبال التى أظهروا سحرهم فيها وهي التى حلتها صنعتهم وافكهم فقال تعالي ماصنعوا ومايأفكون وأراد تعالي ماصنعوا فيه ومايأفكون فيه ومثله قوله تعالى (يعملون له مايشاء من محاريب) وانما أراد المعمول فيه دون العمل وهذا في الاستعمال أيضاً سائغ شائع لانهم يقولون هذا الباب عمل النجار وفي الخلخال هذا عمل الصائغ وان كانت الاجسام التي أشير اليها ليست أعمالا لهم وانما عملوا فيها فحسن اجراء هذه العبارة ٠٠ فان قيل كل الذى ذكرتموه وان استعمل فعلي وجه المجاز والاتساع لان العمل في الحقيقة لا يجرى الا على فعل الفاعل

دون مايفعل فيه وان استعير فى بعض المواضع ٠٠ قلنا ليس نسلم لكم ان الاستعمال الذى ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذى لا يستفاد سواه لان القائل اذا قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما رأينا أحداً قط يقول فى الثوب بدلا من قوله هذا من عمل فلان هذا مما حله عمل فلان فالاول أولى بأن يكون حقيقة وليس ينكر أن يكون الاصـل في الحقيقة ماذكروه ثم انتقل ذلك بعرف الاستعمال الى ماذكرناه وصار أخصّ به ومما لا يستفاد من الكلام سواه كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحدّ والاعتبار فى المفهوم من الالفاظ الا بما يستقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الاصل فوجب أن يكون المفهوم ٠٠ والظاهر من الآية ماذكرناه على أنا لو سلمنا ان ذلك مجاز لوجب المصير اليه من وجوه ٠٠ منها مايشهد به ظاهر الآية ويقتضيه ولا يسوغ سواه ٠٠ ومنها ماتقتضيه الأدلة القاطعـة الخارجة عن الآية ٠٠ فمن ذلك انه تعالى أخرج الكلام مخرج التهجين لهم والتوبيخ لافعالهم والازراء على مذاهبهم ٠٠ فقال (أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون) ومتي لم يكن قوله تعالي (وما تعـملون) المراد به مايعملون فيه ليصير تقدير الكلام أتعبدون الاصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التى تفعلون بها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخـل فى باب التوبيخ ويصير على مايذكره المخالف كأنه قال أتعبدون ماتنحتـون والله خلقكم وخلق عبادتكم فأيّ وجه للتقريع وهذا الى أن يكون عـذراً أقرب من يكون لوماً وتوبيخاً اذا خلق عبادتهم للأصنام فأىّ وجه للومهم عليها وتقريعهم بها على أن قوله تعالي (خلقكم وما تعملون) بعد قوله تعالي (أتعبدون ماتنحتون) انما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره فلا أن يكون متعلقاً بما تقدم من قوله (أتعبـدون ماتنحتون) ومؤثراً في المنع من عبادة غيره فلو أفاد غير قوله ماتعملون نفس العمل الذى هو النحت دون المعمول فيه لكان له فائدة في الكلام لأن القوم لم يكونوا يعبدون النحت وانمـا كانوا يعبدون محل النحت ولأنه كان لا حظ في الكلام للمنع من عبادة الاصنام فكذلك لو حمل قوله تعالى ماتعملون من أعمال أخر ليست نحتهم ولا هي ماعملوا فيه لكان أظهر في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم فـلم يبق الا أنه أراد تعالى به خلقكم

وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقا مثلكم ٠٠ فان قيل لهم زعمتم انه لو كان الامر على ماذكرنا لم يكن للقول الثانى حظ فى باب المنع من عبادة الاصنام وماتنكرون أن يكون لماذكرناه وجه فى المنع من ذلك وان كان ماذكرتموه أيضاً لو أريد لكان وجهاً وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا لا يكون الا الإله القديم الذي يحق له العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الافعال على الوجه الذى يخلقها القديم عليه تعالى فصار لماذكرناه تأثير ٠٠ قلنا معلوم ان الثانى اذا كان كالتعليل الاول والمؤثر فى المنع من العبادة فلأن يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه أولي من أن ينصرف الى ماذكرتموه مما لا يقتضى أكثر من خلقهم دون خلق ماعبـدوه فانه لا شئ أدل على المنع من عبادة الاصنام من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد لماذكرناه أيضاً قوله تعالى فى موضع آخر (أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون) فاحتج تعالى عليهم فى المنع من عبادة الآلهـة دونه بانها مخلوقة لا تخلق شيئاً ولا تدفع عن أنفسها ضراً ولا عنهم وهـذا واضح على أنه لو ساوى ما ذكروه ماذكرناه فى التعلق بالأول لم يسغ حمله على ماادعوه لأن فيه عذراً لهم فى الفعل الذى عنفوا وقرعوا من أجله وقبيح أن يوبخهم بما يعذرهم ويذمهم مما يبرئهم على ماتقدم على أنا لا نسلم أن من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحق العبادة لأن من جملة أفعالهم القبائح ومن فعل القبائح لا يكون إلهاً ولا تحق له العبادة تخرج ماذكروه من أن يكون مؤثراً بانفراده في العبادة على أن إضافة العـمل اليهم لقوله تعالي يبطل تأويلهم هذه الآية لأنه لو كان تعالي خالقاً لها لم يكن عملا لهم لأن العمل انما يكون لمن يحدثه ويوجده فكيف يكون عملا لهم والله خلقهم وهذه مناقضة فثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا أيضاً على ان قوله تعالى (وما تعملون) يقتضي الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معـدوم ومحال أن يقول تعالى اني خالق للمعـدوم ٠٠ فان قالوا اللفظ وان كان للاسـتقبال فالمراد به المـاضى كأنه تعالى قال والله خلقكم وما عملتم ٠٠ قلنا هـذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادعيتم انكم متمسكون به وليس أنتم بأن تعـدلوا عنه بأولى منا بل نحن أحق لأنا نعدل عنه بدلالة وأنتم تعدلون بغير حجة ٠٠ فان قيل فأنتم

أيضاً تعداون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي .. قلنا لانحتاج نحن فى تأويلنا الى ذلك لأنا اذا حملنا قوله تعالى (وما تعملون) علي الاصنام المعمول فيها .. ومعلوم ان الأصنام موجودة قبل عملهم فيها لجاز أن يقول تعالي إنى خلقتها ولا يجوز أن يقول انى خلقت ماسيقع من العمل في المستقبل على أنه تعالي لو أراد بذلك أعمالهم لاماعملوا فيه على مادعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لأن الخلق هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة أن يكون الخالق خالقاً لفعل غيره اذا قدره ودبره ألا ترى أنهم يقولون خلقت الأديم وان لم يكن الأديم فعلا لمن يقول ذلك فيه ويكون معنى خلقه لأفعال العباد انه مقدر لها ومعرّف لنا مقاديرها ومراتبها ومابه نستحق عليها من الجزاء وليس يمتنع أن يقال انه خالق للأعمال على هذا المعنى اذا ارتفع الابهام وفهم المراد فهذا كله تقتضيه الآية ولو لم يكن فى الآية شئ كما ذكرناه مما يوجب العدول عن حمل قوله تعالى (وما تعملون) علي خلق نفس الاعمال لوجب أن نعدل بها عن ذلك ونحملها على ماذكرناه بالادلة العقلية الدالة على أنه تعالي لايجوز أن يكون خالقاً لأعمالنا وان تصرفنا محدث منا ولا فاعل له سوانا وكل هذا واضح والحمد لله تعالى والمنة .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وانى لأستحسن لبعض نساء بني أسد قولها

أَلمْ تَرَنا غَبَّنا ماؤُنا … زَماناً فَظلْنا نَكُدُّ البِثارَا

قَلمَّا عَدَا الماءُ أوْطانَهُ … وَجَفَّ الثِمادُ فصارَتْ حِرَارَا

وَضجَّتْ إلي رَبِّها في السَّماءِ … رُؤُسُ العُصاةِ تُناجِي السِّرَارَا

وَفتحتِ الأَرْضُ أفْوَاهَها … عَجِيجَ الجِمَالِ وَرَدْنَ الجِفارَا

لبسْنا لَدَى عَطَنٍ لَيْلَةً … على اليأسِ أثْيابَنا وَالخِمارَا

وقُلْنا أعِيرُوا النَّدَي حَمَّةُ … وسِيرُوا الحفاظَ وَمُوتُوا حِرَارَا

فإنَّ النَّدَى لعَسي مَرَّةً … يَرُدّ الي أهلِهِ ماأُسْتَعارَا

فَبِتْنا نُوَطِّنُ أحْشاءَنا … أضاءَ لَنا عارِضٌ فاُسْتَطارَا

فاقبلَ يَزْحَفُ زَحفَ الكسيرِ … سِياقَ الرعاءِ البطاءِ العِشارَا

تُغَنِّي وَتَضْحَكُ حافاتُهُ … خِلاَلَ النَّعامِ وَتَبْكِي مِرَارَا

كأنّا تُضِيءُ لَنا حُرَّةٌ … تَشُدُّ إزَارًا وَتُلْقِي إزارَا

فلَمَّا خَشِينا بأَنْ لاَ نَجِيَ … وَأنْ لاَ يَكُونَ فِرارٌ فِرَارَا

أشارَ اليه امْرُوٌ فَوْقَهُ … هلُمَّ فأَمَّ الى ماأشارَا

وأنشد أبو هفان لولادة المرمية

لوْلاَ اُتِّقاءُ اللهِ قُمْتُ بِمَفْخَرٍ … لاَ يَبْلُغُ الثَّقلاَنِ فِيهِ مقامِي

بأُبُوَّةٍ في الجاهِلِيةِ سادَةٍ … بَذُّوا العُلاَ أُمَرَاءُ في الإِسْلاَمِ

جادُوا فَسادُوا ما نِعِينَ أذَاهُمُ … لنَدَاهُمُ فَضلٌ على الأقْوَامِ

مُذ أنْجَبُوا في السُّوْدَدَيْنِ واُنْجِبُوا … بنَجابَةِ الأَخْوَالِ والأعْمامِ

قَوْمٌ اذَا سَكَتُوا تَكلّمَ مَجْدُهُمْ … عَنْهُمْ فاخْرَسَ دُونَ كلِّ كلاَمِ

وقالت امرأة من بني سعد بن بكر

أيا أخَوَيَّ المُلْزِمَيَّ مَلاَمَةً … أعِنْدَكُما باللهِ مِنْ مِثْلِ مابِيَا

سألتُكُما باللهِ الاَّ جَعلتُما … مَكانَ الأَذَى واللَّوْمِ أنْ تَاوِيا لِيَا

أيا أُمَّتاً حُبُّ الهِلاَلِيِّ قاتِلِي … شَطُونُ النَّوَي يَحْتَلُّ عَرْضاً يَمانِيَا

أشَمُّ كغُصْنِ البانِ جَعْدٌ مُرَجَّلٌ … شُغِفْتُ بهِ لوْ كانَ شَيْئاً مُدَانِيَا

فإنْ لَمْ أُوَسَّدْ ساعِدِي بمُدَهْجَمةٍ … غُلاَماً هِلاَلِيًّا فَشلَّتْ بَنانِيَا

ثَكِلَتُ أَبِي انْ كنتُ ذُقْتُ كَرِيقهِ   سُلافًا وَلاَ ماءَ الغَمامَةِ غادِيا

أَلَمَّ كثيرًا لمَّةً ثمَّ شمَّرَتْ   بهِ خَلَّةٌ يَطَّلبْنَ بَرْقًا يَمانِيا

ولصاحبة الهلالية أيضاً

وإِنِّي لأَهْوَى القصْدَ ثمَّ يَرُدُّنِي   عَنِ القَصْدِ مَيْلاَةُ الهَوَى فأَمِيلُ

فَماوَجْدُ مَسْجُونٍ بِصَنْعاءَ مُوثَقٍ   بِساقَيْهِ مِنْ حَبْسِ الأَمِيرِ كُبُولُ

وَما لَيْلُ مَوْلًى مُسْلَمٌ بِجَرِيرَةٍ   لَهُ بعْدَ مانامَ العُيُونُ عَوِيلُ

بأَكْثَرَ مِنِّي لوْعَةً يوْمَ رَاعنِي   فِرَاقُ حَبِيبٍ ماإِلَيْهِ سَبِيلُ

ولعمرة بنت [1] العجلان أخت عمرو ذى الكلب بن عجلان الكاهلى ترثى أخاها عمرا وقد كان فى بعض غزواته نائما فوثب اليـه نمران فأكلاه فوجدت قبيـلة فهم سلاحه فادعت قتله هي

سأَلْتُ بعَمْرٍو أَخِي صَحْبَهُ   فأَفْظَعَنِي حِينَ رَدُّوا السُّؤَالاَ [2]

وَقالوا أُتِيحَ لهُ نائِمًا   أَعَزُّ السِّباعِ عليْهِ أَحالاَ [3]

[١] قوله ـ ولعمرة بنت العجلان الخ ٠٠ قلت نسيباغيره لاخته جنوب ٠٠ وقوله فوثب اليه نمران فأكلاه ٠٠ قال صاحب زهر الآداب قال عمر بن شبة كان عمرو هذا يغزو فهما فيصيب منهم فوضعوا له رصداً على الماء فأخذوه فقتلوه ثم مروا باخته جنوب فقالوا طلبنا أخاك فقالت لئن طلبتموه لتجدنه منيعاً ولئن وصفتموه لتجدنه مريعاً ولئن دعوتموه لتجدنه سريعاً والله لئن سلبتموه لاتجدون ثنته دامية ولا حجزته حامية ولرب ندى منكم قد افترشه ونهب قد احتوشه وضب قد احترشه ٠٠ ثم قالت هذه الابيات انتهي

[٢] قولها ـ سألت بعمرو ـ الباء بمعنى عن وأخي عطف بيان ـ وصحبه ـ مفعول سألت وهو مضاف الى ضمير عمرو وصحب جمع صاحب ـ وأفظعنى ـ هدني قبحه وشدته ٠٠ يقال أفظع الامر افظاعا وفظع فظاعة اذا جاوز الحد في القبح

[٣] قولها ـ أتيح له الخ ـ أتيح مجهول أتاح الله له بالمثناة والحاء المهملة بمعنى

أُتِيحَ لهُ نَمِرَا أَجْبُلٍ   فَنالاَ لعمْرُكَ مِنهُ مَنالاَ [1]

فأَقْسَمْتُ ياعَمْرُو لوْ نَبَّهاكَ   إذًا نَبَّها مِنكَ أَمْرًا عُضالاَ [2]

إذًا نَبَّها ليْثَ عِرِّيسَةٍ   مُفِيتًا مُفِيدًا نُفُوسًا وَمالاَ [3]

هِزَبْرًا فَرُوسًا لِأَعْدائِهِ   هَصُورًا إِذَا لقِيَ القِرْنَ صالاَ [4]

هُما معْ تَصَرُّفِ رَيْبِ المَنُونِ   مِنَ الأَرْضِ رُكْنًا ثَبِيتًا أَمالاَ [5]

قضى وقدر والهاء فى له لعمرو ـ ونائما حال منها ـ وأعز السباع ـ نائب فاعل أتيح وهو من العرارة بالعين والراء المهملتين وهو سوء الخلق ـ وأحال ـ بالحاء المهملة ٠٠ قال السكري أى ركب عليه فقتله وأكله

[١] قولها ـ أتيح له نمرا أجبل ـ أي قدر له ونمرا مثني نمر مضاف الى أجبل جمع جبل وتصحفت هذه الكلمة على العينى فقال قولها نمرا جيئل ـ أى نمران من جيئل أي سبعان من جيئل والنمر السبع والجيئل بفتح الجيم وسكون الياء وفتح الهمزة وهو الضبع هذا كلامه وهو تحريف قطعاً

[٢] قولها ـ فاقسمت ياعمرو الخ ـ هذا التفات من الغيبة الى الحضور وضمير المثنى في نبهاك للنمرين ٠٠ وروى ـ داء عضالا ـ أي شديداً أعيا الاطباء

[٣] قولها ـ ليث عريسة ـ قال الجوهري العريس والعريسة مأوى الأسد ـ والمفيد ـ معناه معطى الفائدة كذا ورد بالمعنيين ـ ومفيت ـ بالفاء ٠٠ قال السكرى أى مهلك النفوس والمال وتصحفت هذه الكلمة على العينى فرواها بالقاف ٠٠ وقال مقيتاً أي مقتدرا كالذى يعطي كل رجل قوته ٠٠ ويقال المقيت الحافظ للشئ والشاهد له والنفوس يرجع الى المقيت والمال يرجع الى المفيد هذا كلامه

[٤] وقولها ـ هزبرا فروساً الخ ـ الهزبر الاسد الضخم الشديد ـ والفروس ـ الكثير الافتراس للصيد ـ وهصورا ـ من الهصر وهو الجذب والأخذ بقوة ـ والقرن ـ بالكسر كفؤك فى الشجاعة أو عام ـ وصال على قرنه سطا

(٥) قولها ـ هما مع تصرف ريب المنون الخ ـ ريب المنون حوادث الدهر ٠٠ قال

هُمَا يَوْمَ حُمَّ لَهُ يَوْمُهُ ... وَقَالَ أَخُوفَهُمْ بَطَلاً وَقَالاَ (١)

وَقالوا قَتَلْنَاهُ فِي غَارَةٍ ... بِآيَةِ مَا إنْ وَرِثْنَا النِّبَالاَ (٢)

فَهَلاَّ وَمِنْ قَبْلِ رَيْبِ الْمَنُونِ ... فَقَدْ كَانَ رَجْلاً وَكُنْتُمْ رِجَالاَ

وَقَدْ عَلِمَتْ فَهْمُ يَوْمَ اللِّقَاءِ ... بِأَنَّهُمْ لَكَ كَانُوا نِفَالا

كَأَنَّهُمُ لَمْ يَحُسُّوا بِهِ ... فَيُخْلُوا النِّسَاءَ لَهُ وَالْحِجَالا (٣)

وَلَمْ يَنْزِلُوا بِمُحُولِ السِّنِينَ ... بِهِ فَيَكُونُوا عَلَيْهِ عِيَالاَ

وَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالْمُجْتَدُونَ ... إِذَا اغْبَرَّ أُفْقٌ وَهَبَّتْ شَمَالا (٤)

السكري نبيت ثابت •• وروي غيره بدله شديداً

[١] قولها ـ همـا يوم حم له يومه ـ الخ •• قال السكري هما تعنى النمرين ـ وحم ـ قضى وقدر ـ وقال ـ بالفاء أى أخطأ رجل فائل الرأى وقيل أى ضعيف الرأى ـ وفهم ـ قبيلة ولهذا منعـه الصرف كذا قال عبـد القادر •• والبيت لا يخفى أنه مكسور وهو ساقط من العيني

[٢] قولها ـ وقالوا قتلناه ـ روى نحن بدل قالوا •• قال السكرى تهزأ بهم ـ والآية ـ العلامة ـ والنبال ـ السهام ـ ورجل ـ قال السكرى هو الرجل يقال رجل ورجل أى بسكون الجيم وضمها •• وروى غيره فذاً بدل رجلا ـ والفذ ـ بالفاء والذال المعجمة هو الفرد ـ والنفال ـ الغنائم جمع نفل بفتحتين وهي الغنيمة

[٣] وقولها ـ كأنهم لم يحسوا به ـ الخ من حسست بالخبر من باب تعب أى علمته وشعرت به ـ ويخلوا ـ من أخليته أى جعلته خالياً ـ والحجال ـ جمع حجلة بالتحريك وهو بيت يزين بالثياب والاسرة والستور

[٤] قولها ـ وقد علم الضيف والمجتدون ـ الخ المجتدون ـ هم الطالبون الجدا وهى العطية •• وروي المرملون بدل قولها المجتدون ـ والمرملون ـ من أرمل القوم اذا نفد زادهم وفاعل هبت ضمير الريح وان لم يجر لها ذكر لفهمها من قولها اذا اغبر أفق فان

وَخَلَّتْ عَنْ أَوْلاَدِهَا الْمُرْضِعَاتُ ... وَلَمْ تَرَ عَيْنٌ لِمُزْنٍ بِلاَلا (١)

بِأَنَّكَ كُنْتَ الرَّبِيعَ الْمُغِيثَ ... لِمَنْ يَعْتَرِيكَ وَكُنْتَ الثِّمَالا (٢)

اغبراره انما يكون في الشتاء لكثرة الامطار واختلاف الرياح ـ والشمال ـ بالفتح ويكسر ريح تهب من ناحية القطب وهو حال وانما خصت هذا الوقت بالذكر لأنه وقت تقل فيه الأرزاق وتنقطع السبل ويثقل فيه الضيف فالجود فيه غاية لا تدرك

[١] قولها ـ وخلت عن أولادها المرضعات الخ •• قال أبو حنيفـة انما خلت أولادها من الاعواز لم يجدن قوتا واغبرار الأفق من الجدب وأراد هبت الريح شمالا وهي تضمر وان لم تذكر لكثرة ماتذكر انتهي ـ والمزن ـ السحاب ـ والبلال ـ بالكسر البلل

[٢] قولها ـ بأنك كنت الربيع ـ الخ الربيع هنا ربيع الزمان •• قال ابن قتيبة في باب مايضعه الناس غير موضعه وهو أول كتابه أدب الكاتب ومن ذلك الربيع يذهب الناس الي أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والنور ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف فى ذلك فنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ الذي بعده وهو الذى تدعوه العامة الصيف ومن العرب من يسمى الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول •• ويسمى الفصل الذي يتلو الشتاء ويأتى فيه الكمأة والنور الربيع الثانى وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع اه •• قال شارحه ابن السيد مذهب العامة في الربيع هو مذهب المتقدمين لأنهم كانوا يجعلون حلول الشمس برأس الحمل أول الزمان وشبابه وأما العرب فانهم جعلوا حلول الشمس برأس الميزان أول فصول السنة الاربعة وسموه الربيع •• وأما حلول الشمس برأس الحمل فكان منهم من يجعله ربيعاً ثانياً فيكون فى السنة على مذهبهم ربيعان وكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانيا فيكون فى السنة على مذهبهم ربيع واحد وأما الربيعان من الشهور فلا خـلاف بينهم انهما اثنان ربيع الاول وربيع الآخر انتهى ـ والغيث ـ المطر والكلأ ينبت بماء السماء والمراد به هنا لوصفه بالمريع وهو الخصيب بفتح

وَخرقٍ تجاوَزْتَ مَجْهُولهُ   بوَجناءَحَرْفٍ تَشكّى الكَلالا [١]

فَكنْتَ النَّهارَ بهِ شَمْسَهُ   وكنْتَ دُجَى اللَّيْلِ فيهِ الهلالا

وخَيْلٍ سَمَتْ لكَ فُرْسانُها   فوَلّوا ولَم يَستَقلُّوا قبالاَ

وكلُّ قَبيلٍ وإنْ لم تَكُنْ   أرَدْتَهُمُ مِنكَ باتُوا وِجالا [٢]

الميم وضمها فى القاموس مرع الوادى مثلثة الراء مراعة أكلأ كأمرع ـ والثمال ـ بكسر المثلثة ٠٠ قال الدينوري هو الذخر وقال غيره هو الغياث ـ والمغيث ـ من الاغاثة ـ ومن يعتريك ـ أي من يقصدك ٠٠ وروى

بانك ربيع وغيث مرئ   وأنك هناك تكون الثمالا

والبيت يستشهد به النحويون فى باب أن المخففة من الثقيلة وهو من الضرورة لأن اسم ان المخففة شرطه أن يكون ضميراً محذوفا ٠٠ قال ابن هشام وربما ثبت وأنشد البيت وهو مختص بالضرورة علي الأصح وشرط خبرها أن يكون جملة ولا يجوز افراده الا اذا ذكر الاسم فيجوز الامران وقداجتمعا فى البيت ٠٠ وقال فى التصريح ان البيت ضرورة من وجهين عند ابن الحاجب كونه غير ضمير الشأن وكونه مذكوراً وعند ابن مالك من وجه واحد وهو كونه مذكوراً اه ٠٠ قلت وروى عن ابن مالك أنه قال اذا أمكن جعل الضمير المحذوف ضمير حاضر أو غائب غير الشأن فهو أولي ٠٠ وعن ابى حيان أنه قال لايلزم أن يكون ضمير الشأن كما زعم بعض أصحابنا بل اذاأمكن تقديره بغيره قدر

[١] قولها ـ وخرق ـ الواو فيه واورب وهو بفتح الخاء المعجمة الفلاة الواسعة تخرق فيها الرياح وهومجرور رب المضمرة أو الواو المعوضة منها ـ ومجهوله ـ الذى لايسلك ـ والوجناء ـ بالجيم الناقة الشديدة ـ والحرف ـ الضامرة الصلبة ـ وتشكى ـ مضارع أصله تتشكى بتاءين ـ والكلال ـ الاعياء

[٢] قولها ـ وكل قبيل وان لم تكن الخ ٠٠ روي كم بدل كل والقبيل هنا جمع قبيلة ـ والوجال ـ جمع وجل بفتح فكسر وهو الخائف من الوجل بفتحتين وهو الخوف

مجلس آخر ٧٤

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالي (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم) [١] ٠٠ فقال أوليس ظاهر

---

[١] قوله ـ تعالى (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم) الآية ٠٠ في هذه الآية خلاف فمن النحويين من جعل الشرط الثانى معترضاً بين الشرط الاول وجوابه المقدر ومنهم من قال ليست من هذا الباب ٠٠ قالوا وحجتنا على ذلك انا نقدر جواب الشرط الاول تالياً له مدلولا عليه بما تقدم عليه وجواب الثانى كذلك مدلولا عليه بالشرط الاول وجوابه المتقدمين عليه فيكون التقدير ان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحى ان كانَ الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحى ٠٠ واعلم ان الشرط اذادخل على شرط فتارة يكون بعطف وتارة يكون بغيره فاذا كان بعطف فاطلق ابن مالك ان الجواب لأولهما لسبقه وفصل غيره فقال ان كان العطف بالواو فالجواب لهما لأن الواو للجمع نحو ان تأتي وان تحسن الىّ أحسن اليك وان كان العطف بأو فالجواب لأحدهما لأن أو لاحد الشيئين نحو ان جاء زيد أو إن جاءت هند فاكرمه أو فاكرمها وان كان العطف بالفاء فالجواب للثاني والثاني وجوابه جواب للأول وان كان بغير عطف فالجواب لأولهما والشرط الثاني مقيد للأول كتقييده بحال واقعة موقعه كقوله

ان تستغيثوا بنا ان تذعروا تجدوا   منا معا قل عز زانها كرم

فتجدوا جواب ان تستغيثوا وان تذعروا بالبناء للمفعول مقيد للأول على معنى ان تستغيثوا بنا مذعورين تجدوا ٠٠ ومن فروع المسئلة وهي اعتراض شرط فى شرط مااذا قال لامرأته ان أكلت إن شربت فأنت طالق فلا تطلق على الاصح الا اذاشربت ثم أكلت لأن التقدير عليه ان شربت فان أكلت فأنت طالق فالثاني أول والاول ثان وعلى مقابله لاتطلق الا اذا أكلت ثم شربت لان التقدير عليه ان أكلت فان شربت فأنت طالق فالاول أول والثانى ثان ٠٠ واعلم ان تصحيح الاول هو على مذهب

هذه الآية يقتضي ان نصح النبي صلى الله عليه وسلم لاينفع الكفار الذين أراد الله تعالى بهم الكفر والغواية وهذا بخلاف مذهبكم •• قلنا ليس فى ظاهر الآية مايقتضيه خلاف مذهبنا لأنه تعالى انه لم يقل انه فعل الغواية وأرادها وانما أخبر أن نصح النبي عليه الصلاة والسلام لاينفع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك أو جواز وقوعها لادلالة عليه فى الظاهر على أن الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ماذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر

فَمَنْ يَلْقَ خيرًا يحْمَدِ النَّاسُ أمْرَهُ ... وَمن يَغوَ لاَيعْدَمْ علي الغَيِّ لاَئِمَا(١)

الشافعية والحنفية ووجهه ابن الحاجب بانه لايصح أن يكون الجواب للشرطين معاً والا توارد معمولان على معمول واحد ولا لغيرها والا لزم ذكر مالادخل له فى ربط الجزاء وترك ماله دخل ولا للثانى لأنه يلزم حينئذ أن يكون الثاني وجوابه جوابا للأول فتجب الفاء ولا فاء وحذفها شاذ أو ضرورة فتعين أن يكون جوابا للأول والأول وجوابه دليل جواب الثاني •• قال الدماميني ومذهب مالك الطلاق سواء أتت بالشرطين مرتبين كما هما فى اللفظ أو عكست الترتيب •• قال وبعض أصحابنا يوجه ذلك بأنه على حذف واو العطف كما فى قول الشاعر

كيف أصبحت كيف أمسيت مما ... يغرس الود فى فؤاد اللبيب

•• ثم قال ولا أدرى وجه اشتراط أهل المذهبين يعنى مذهبي الشافعية والمالكية فى وقوع الطلاق فعلها لمجموع الأمرين مع أنه يمكن أن يكون جواب الأول محذوفا لدلالة جواب الثاني ولا محذور فى حذف الجواب بل هو أسهل من تقديرهم لما فيه من الحذف والفصل بين الشرط الاول وجوابه بالشرط الثانى

(١) البيت ـ من قصيدة للمرقش الاصغر واسمه ربيعة بن سفيان والمرقش الاكبر عمه وهو عم طرفة بن العبد وهذه القصيدة يقولها في قصة جرت له مع معشوقته فاطمة بنت المنذر ووليدتها بنت العجلان ومطلعها

ألا ياسلمي لاصبر لى عنك فاطما ... ولا أبداً ما دام وصلك دائما

فكأنه تعالى قال ان كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء أعمالكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي مادمتم مقيمين على ماأنتم عليه الا أن تطيعوا وتتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غياً •• فقال تعالى (فسوف يلقون غياً) وما قبل هذه الآية يشهد

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة ... وهن بنا خوص يخلن نعائما

تراءت لنا يوم الرحيل بوارد ... وعذب الثنايا لم يكن متراكما

سقاه حبيّ المزن من متهلل ... من الشمس روّاه ربابا سواجما

أرتك بذات الضال منها معاصما ... وخداً أسيلا كالوذيلة ناعما

صحا قلبه عنها على أن ذكرة ... إذا خطرت دارت به الارض قائما

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن ... خرجن سراعا واقتعدن المقائما

تحملن من جو الوريعة بعدما ... تعالى النهار واجتزعن الصرائما

تحلين ياقوتا وشذراً وصيغة ... وجزعا ظفاريا ودراً توائما

سلكن القرى والجزع تحدى جمالهم ... ووركن قوّا واجتزعن المخارما

ألا حبذا وجهاً ترينا بياضه ... ومنسدلات كالمثانى فواحما

واني لاستحي فطيمة جائعاً ... خميصاً وأستحي فطيمة طاعما

وانى لأستحييك والخرق بيننا ... مخافة أن تلقيْ أخاً لي صارما

واني وان كلّت قلوصي لراجم ... بها وبنفسى يافطيم المراجما

ألا ياسلمي بالكوكب الطلق فاطما ... وان لم يكن صرف النوى متلائما

ألا ياأسلمي ثم اسلمى إن حاجتى ... اليك فردى من نوالك فاطما

أفاطم لوأن النساء ببلدة ... وأنت باخرى لاتبعتك هائما

متى مايشأ ذو الود يصرم خليله ... ويعبد عليه لامحالة ظالما

وآلي جنابٌ حلفة فأطعته ... فنفسك ول اللوم ان كنت لائما

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ... ومن يغو لايعدم على الغي لائما

ألم تر أن المرء يجذم كفه ... ويجشم من لوم الصديق المجاشما

أمن حلم أصبحت تنكت واجماً ... وقد تعتري الاحلام من كان نائما

بما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالي { فقالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) الى قوله (ولا ينفعكم نصحي) فاخبر ان نصحه لاينفع من يريد الله تعالي أن ينزل به العذاب ولا يغنى عنه شيئاً ٠٠ وقال جعفر بن حرب ان الآية تتعلق بانه كان فى قوم نوح عليه السلام طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالي بهذا القول على فساد مذهبهم وقال لهم على طريق الانكار والتعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا منى نصحاً وأنتم على ذلك لاتنتفعون به وهذا جيد ٠٠ وروى عن الحسن البصري في هذه الآية وجه صالح وهو أنه قال المعنى فيها ان الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم نصحى عند نزول العذاب بكم وان قبلتموه وآمنتم به لأنّ من حكم الله تعالى أن لايقبل الايمان عند نزول العذاب وهذا كله واضح في زوال الشبهة بالآية ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ومن مستحسن ماقيل فى صفة المصلوب قول أبي تمام فى قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر قتل الافشين وحرقه وصلبه

مازَالَ سِرُّ الكُفْرِ بينَ ضلُوعهِ   حتّي اصطَلَى سِرَّ الزِّنادِ الوَارِى
نارًا يُساوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حرِّها   لَهَبٌ كما عَصفَرْتَ شِقَّ إزَارِ
طارَتْ لها شُعَلٌ يُهَدِّمُ لفحُها   أَرْكانَهُ هَدْمًا بِغَيْرِ غُبارِ
فَصَلْنَ مِنْهُ كلَّ مَجْمَعِ مَفْصِلٍ   وَفعلْنَ فاقِرَةً بكلِّ فَقارِ
مَشْبُوبَةً رُفِعَتْ لأَعظمِ مُشْرِكٍ   ما كانَ يَرْفَعُ ضَوْءَها لِلسَّارِى
صلّى لها حيًّا وكانَ وَقُودَها   مَيْتًا وَيَدْخلُها مَعَ الكُفَّارِ
وكَذَاكَ أهلُ النَّارِ في الدُّنيا هُمُ   يَوْمَ القِيامَةِ جُلُّ أهْلِ النَّارِ
يامَشْهَدًا صَدَرَتْ بفَرْحَتِهِ إلي   أَمْصارِها القُصْوَي بَنُو الأَمْصارِ
رَمَقُوا أعالِي جِذْعِهِ فَكأَنَّما   رَمَقُوا الهِلالَ عَشِيَّةَ الإفطارِ

واسْتَنْشَقُوا مِنْهُ قتَارًا نَشْرُهُ   مِنْ عَنْبَرٍ ذَفِرٍ وَمِسْكٍ دَارِى
وَتَحَدَّثوا عَنْ هُلْكِهِ كَحَدِيثِ مَنْ   بالبَدْوِ عَنْ مُتَتَابِعِ الأَمْطارِ
قدْ كانَ بوَّأَهُ الخَليفَةُ جانِبًا   مِنْ قَلْبِهِ حَرَمًا علي الأَقْدارِ
فَسقاهُ ماءَ الخَفْضِ غيرَ مُصَرَّدٍ   وَانامَهُ في الأَمْنِ غيرَ غَوَارِ
وَلَقَدْ شَفَى الأَحْشاءَ من بُرَحاتِها   أنْ صارَ بابَكُ جارَ مَازَيَّارِ
ثانِيهِ في كَبِدِ السَّماءِ ولم يَكُنْ   كاثْنَيْنِ ثانٍ إذْ هُما في الغارِ (١)
فكأَنَّما انْتَبَذَا لِكَيْما يَطْوِيا   عَنْ باطِسٍ خبَرًا مِنَ الأَخْبارِ
سُودُ اللِّباسِ كأَنَّما نَسَجَتْ لهُمْ   أَيْدِي السُّمُومِ مَدَارِعًا مِنْ قارِ
بكَرُوا وأَسْرَوْا في مُتُونِ ضَوَامِرٍ   قِيدَتْ لهُمْ مِنْ مَرْبَطِ النَّجّارِ
لاَ يَبْرَحُونَ وَمَنْ رآهُمْ خالَهُمْ   أَبَدًا علي سَفَرٍ مِنَ الأَسْفارِ
كادُوا النُّبُوَّةَ والهُدَى فتقَطَّعَتْ   أَعْناقُهُمْ في ذَلِكَ المِضْمارِ

---

(١) قوله — ولم يكن كاثنين ثان الخ ٠٠ قد غلّط بعض الفضلاء أبا تمام فى هذا التركيب قال لأنه انما يقال ثانى اثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة ولا يقال اثنين ثان ولا ثلاثة ثالث ولا أربعة رابع ٠٠ وأجاب بعضهم بأن فى الكلام تقديماً وتأخيراً وتقليباً للتركيب وتغييراً وهو ان التقدير ولم يكن كاثنين إذهما فى الغارثان والمراد انه لم يكن كهذه القضية قضية أخري ٠٠ وقال بعضهم إن ثانيه خبر ثان لصار ولكن جعل من قبيل اعط القوس باريها فى ترك النصب اذ هو خبر لمبتدأ محذوف ولم يكن بمعنى لم يصر لقرينة سياق ان صار وثان اسمه وتنوينه عوض عن الضمير المضاف اليه وكاثنين خبره وفيه مضاف محذوف والمآل ولم يصر ثانيه كثاني اثنين إذهما في الغار لأنهما تجاوروا فى العلو لافي الغور والغرض ان يصف مصلوبه بالارتفاع لكن في الصلب وهو من التهكم المليح

وله يذكر صلب بابك

لمَّا قضى رَمَضانُ منهُ قَضاءهُ   شالَتْ بهِ الأيَّامُ في شوَّالِ

مازَالَ مغلُولَ العَزِيمةِ سادِرًا   حتّي غدَا في القيْدِ وَالأغلالِ

مُستَبسِلاً لِلموْتِ طوقًا مِنْ دَمٍ   لمَّا اسْتبانَ فَظاظَةَ الخلْخالِ

أهدَى لِمتْنِ الجِذْعِ متنَيهِ كَذَا   مَنْ عافَ متْنَ الأَسْمرِ العَسَّالِ

لا كَعبَ أسفَلُ مَوضِعًا من كعْبِهِ   معَ أنَّهُ مِنْ كلِّ كعْبٍ عالِ

سامٍ كأنَّ العِزَّ يجذِبُ ضَبعَهُ   وَسُمُوُّهُ مِنْ ذِلَّةٍ وَسِفالِ

مُتفرِّغٌ أبدًا وليسَ بفارِغٍ   مَنْ لاَ سبيلَ لهُ الي الأشغالِ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه •• ومن عجيب الأمور ان أبا العباس أحمد ابن عبد الله بن عمار ينشد هذه الأبيات المفرطة في الحسن فى جملة مقابح أبي تمام وما خرجه بزعمه من سقطه وغلطه ويقول فى عقبها ولم نسمع في شعر وصف فيه مصلوب باغث من هذا الوصف وأين كان عن مثل ابراهيم بن المهدي يصف صلب بابك في قصيدة يمدح بها المعتصم

مازَالَ يَعنِفُ بالنُّعمى فنفَّرَها   عِنْدَ الغُمُوطِ ووَافتهُ الأرَاصِيدُ

حتَّى على حيثُ لا يَنحطُّ مُجتَمِعًا   كما علا أبدًا ما أورَقَ العودُ

يا بقعةً ضُرِبَتْ فيها علاوَتُهُ   وَعُنُقُهُ وَذَوَتْ أغصانُهُ الميدُ

بُورِكْتِ أرضًا وأوطانًا مُبارَكةً   ماعنكِ في الأرضِ للتقديسِ تَغميدُ

لو تقدِرُ الأرضُ حَجَّتْكِ البلادُ فلا   يَبقَى على الأرضِ إلاَّ حجَّ جلمودُ

لمْ يَبكِ إبليسُ إلاَّ حينَ أبصَرَهُ   في زيِّهِ وَهوَ فوقَ الفيلِ مَصفُودُ

كَناقةِ النحرِ تزهي تحتَ زينتِها   وَحدُّ شفرَتِها للنَّحرِ محدُودُ

ما كانَ أحسَنَ قولَ النَّاسِ يومئذٍ   أيَوْمُ بابكَ هذا أمْ هوَ العِيدُ

صيَّرتَ جُثّتهُ جِيدًا لباسقةٍ   جرْداءَ وَالرَّأْسُ منْهُ مالهُ جِيدُ

فاضَ يَلعبُ هُوجُ العاصِفاتِ به   على الطَّرِيقِ صليبًا طرْفهُ عودُ

كأنَّهُ شِلْوُ كبشٍ وَالهوِيُّ لهُ   تنُّورُ شاوِيةٍ وَالجِذْعُ سَفُّودُ

•• وكان لاينبغي أن يطعن على ابيات أبى تمام من يستجيد هذه الأبيات ويفرط في تقريظها وليت من جهل شيئاً عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك أستر عليه وأولى به وأبيات أبى تمام فى نهاية القوة وجودة المعاني والالفاظ وسلامة السبك واطراد النسج •• وأبيات ابن المهدى مضطربة الالفاظ مختلفة النسج متفاوتة الكلام وما فيها شئ يجوز أن يوضع اليد عليه الا قوله

حتّي علاَ حيثُ لاَ يَنْحطُّ مُجتمِعًا   كما علاَ أبدًا ما أورَقَ العُودُ

وبعد البيت الاخير وان كان بارد الالفاظ فقد أحسن مسلم بن الوليد فى قوله

مازَالَ يَعنِفُ بالنُّعمي وَيَغمِطُها   حتَّى اسْتقلَّ بهِ عُودٌ على عُودِ

نَصبتَهُ حيثُ ترْتابُ الظُّنُونُ بهِ   وَيحسُدُ الطَّيرَ فيهِ أضبُعُ البِيدِ

وللبحتري فى هذا المعنى من قصيدة يمدح بها أبا سعيد أولها

لاَ دِمْنةٌ بلوَى خَبْتٍ وَلاَ طَلَلُ   يَرُدُّ قَوْلاً على ذِي لوْعةٍ يَسَلُ

إنْ عزَّ دَمعُكَ في آيِ الرُّسُومِ فلَمْ   يَصُبْ عليْها فَعِندِي أدْمُعٌ بُلُلُ

هلْ أنتَ يومًا مُعيرِي نَظرَةً فترَى   في رَملِ يَبرِينَ عِيرًا سيْرُها رَمَلُ

حَشْوا النَّوَى بِحُداةٍ مالَها وَطنٌ   غيرَ النَّوَى وَجِمالٌ مالَها عُقُلُ

يقول فيها

أمسَى يَرُدُّ حريقَ الشَّمسِ جانِبُهُ   عن بابَكٍ وَهيَ في البابَقينَ تشتَعِلُ

بجملة البرد من أقصى الثغور إلى ... أدنى العراق سراعا بثها عجل
بسر من راء منكوسا تجاذبه ... أيدي الشمال فضولا كلها فضل
تفاوتوا بين مرفوع ومنخفض ... على مراتب ما قالوا وما فعلوا
رد الهجير لحاهم بعد شعلتها ... سودا فعادوا شبابا بعدما اكتهلوا
سما له حابل الآساد في لمه ... من المنايا فأمسى وهو محتبل
حالي الذراعين والساقين لو صدقت ... له المنى لتمنى أنها عطل
من تحت مطبق أرض الشام في نفر ... أسرى يودون ودا أنهم قتلوا
غابوا عن الأرض أنأى غيبة وهم ... فيها فلا فصل إلا الكتب والرسل

وله فى هذا المعنى

مازلت تقرع باب بابك بالقنى ... وتزوره في غارة شعواء
حتى أخذت بنصل سيفك عنوة ... منه الذى أعيى على الأمراء
أخليت منه البذ وهي قراره ... ونصبته علما بسامراء
لم يبق فيه خوف بأسك مطمعا ... للطير في عود ولا إبداء
فتراه مطردا على أعواده ... مثل اطراد كواكب الجوزاء
مستشرفا للشمس منتصبا لها ... في أخريات الجذع كالحرباء

مجلس آخر ٧٥

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الآية .. فقال كيف أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن وقد أنزله فى غيره من الشهور على ماجاءت به الرواية .. والظاهر يقتضى أنه أنزل الجميع فيه .. وما المعنى فى قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وهل أراد الاقامة والحضور الذين هما ضد الغيبة أو أراد المشاهدة والادراك .. الجواب أما قوله تعالى (أنزل فيه القرآن) فقد قال قوم المراد به أنه تعالى أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا في شهر رمضان ثم فرق انزاله على نبيه عليه الصلاة والسلام بحسب ماتدعو الحاجة اليه .. وقال آخرون المراد بقوله تعالى (أنزل فيه القرآن) انه أنزل في فرضه وايجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى فى فرضه كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد فى فرضها وأنزل الله فى الخمر كذا وكذا يريد فى تحريمها .. وهذا الجواب انما هرب متكلفه من شيء وظن أنه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لأن قوله تعالى القرآن اذا كان يقتضى ظاهره انزال جميع القرآن فيجب على هذا الجواب أن يكون قد أنزل فى فرض الصيام جميع القرآن ونحن نعلم أن قليلا من القرآن يخص ايجاب الصوم لشهر رمضان وان أكثره خال من ذلك .. فان قيل المراد بذلك انه أنزل فى فرضه شيئا من القرآن وبعضا منه .. قيل فهلا اقتصر على هذا وحمل الكلام على أنه تعالى أنزل شيء من القرآن في شهر رمضان ولم يحتج الى أن يجعل لفظة في بمعنى في فرضه وإيجاب صومه .. والجواب الصحيح أن قوله تعالى القرآن فى هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وانما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق فكأنه قال تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه) هذا الجنس من الكلام فأى شيء نزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لأحد أن يقول ان الالف واللام ههنا لا يكونان الا للعموم والاستغراق لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم والصورة المعينة لاستغراق الجنس لم يجب أن يكون ههنا بهذه الصفة لأن هذه اللفظة قد تستعمل فى مواضع كثيرة

من الكلام ولا يراد بها أكثر من الاشارة الى الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم حتي يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص أو عموم كالمناقض لغرضه والمنافي لمراده ألا ترى أن القائل اذا قال فلان يأكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الامير اليوم اللصوص وخاطب الجند لم يفهم من كلامه الا محض الجنس والطبقة من غير خصوص ولا عموم حتي لو قيل له فلان يأكل جميع اللحم ويشرب جميع الخمر أو بعضها لكان جوابه انى لم أرد عموماً ولا خصوصاً وانما أريد انه يأكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هـذا الجنس من الشراب فمن فهم من كلامى العموم والخصوص فهو بعيـد من فهم مرادي .. وأرى كثيراً من الناس يغلطون في هذا الموضع فيظنون ان الاشارة الي الجنس من غير ارادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتي يحملوا قول من قال أردت الجنس فى كل موضع وهذا بعيد ممن يظنه لأنه كما ان العموم والخصوص مفهومان في بعض بهذه الالفاظ فكذلك الاشارة الي الجنس والطبقة من غير ارادة عموم ولا خصوص مفهومة مميزة وقـد ذكرنا أمثلة ذلك .. فأما قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فأكثر المفسرين حملوه على أن المراد بمن شـهد منكم الشهر من كان مقيما فى بلد غير مسافر وأبو على حمله على ان المراد به فمن أدرك الشهر وشاهده وبلغ اليه وهو متكامل الشروط فليصمه ذهب في معنى شهد الى معنى الادراك والمشاهدة .. وقد طعن قوم على تأويل أبي على وقالوا ليس يحتمل الكلام الا الوجه الاول وليس الأمر على ماظنوه لأن الكلام يحتمل الوجهـين معاً فان كان للقول الاول ترجيح ومزية على الثاني من حيث يحتاج فى الثاني من الاضمار الي أكثر مما يحتاج اليـه في الاول لأن قول الاول لا يحتاج الى اضمار الاقامة وارتفاع السفر لأن قوله تعالي شهد يقتضى الاقامة وانما يحتاج الى اضمار باقي الشروط من الامكان والبلوغ وغير ذلك .. وفي القول الثانى يحتاج مع كل ماأضمرناه في القول الاول الي اضمار الاقامة ويكون التقدير فمن شهد الشهر وهو مقيم مطيق بالغ الى سائر الشروط فمن هذا الوجه كان الاول أقوي وليس لاحـد أن يقول ان شهد بنفسه من غير محذوف لايدل على إقامة وذلك ان الظاهر من قولهم فى اللغة فلان شاهد اذا أطلق ولم يضـف أفاد الاقامة في البلد وهو عنـدهم ضد الغائب

والمسافر وان كانوا ربما أضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا وشهد فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى ففى إطلاق شهد دلالة على الاقامة من غير تقدير محذوف وهـذه جملة كافية بحمد الله .. [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا العباس بن عمار يعيب على أبي تمام في قوله

لمَّا استَحَرَّ الوَدَاعُ المَحْضُ وانصرَمَتَ ... أَوَاخِرُ الصبْرِ وَلَّي كَاظِماً وَجِماَ
رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَرْئيٍّ وأَقْبَحَهُ ... مُسْتَجْمِعَيْنِ لِي التَّوْدِيعَ وَالعَنَما (١)

قال أبو العباس وهذا قد ذم مثله على شاعر متقـدم وهو ان جمع بين كلمتين إحداهما لا تناسب الاخرى وهو قول الكميت

وَقَدْ رَأَيْنَا بِهـا حُورًا مُنَعَّمَةً ... رُودَاً تَـكَامَلَ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنَبُ

[١] الابيات من قصيدة له يمدح بها اسحاق بن ابراهيم المصعي ومطلعها

أصغى الى البين مغتراً فلاجرما ... إن النوي أسأرت فى عقله لمما
أصـغى سرهـم أيام فرقتهم ... هل كنت تعرف سراً يورث الصمما
نأوا فظلت لوشك البين مقلته ... تندي نجيعاً ويندي جسمه سقما
أظله البـين حتي انه رجـل ... لومات من شـغله بالبين ماعلما
أما وقد كنتمهن الخدور ضحي ... فابعد الله دمعاً بعدها اكتتما

لما استحر الوداع البيتين .. ومنها

لم يعلغ قوم وان كانوا ذوى رحم ... إلا رأى السيف أدنى منهم رحما
مشت قلوب أناس في صدورهم ... لمـا رأوك تمشى نحوهـم قدما
أمطرتهم عزمات لو رميت بهـا ... يوم الكريهة ركن الدهر لانهدما
اذا هم نكصوا كانت لهم عقلا ... وان هم جمحوا كانت لهم لجمـا
حتى انتهكت بحد السيف أنفسهم ... جزاء ماانتهكوا من قبلك الحرما
زالت جبال شرورى من كتائبهم ... خوفا وما زلت اقداما ولا قدما
لما محضت الامانى التى احتلبوا ... عادت هموما وكانت قبلهـم همما

٠٠ فقيل له أخطأت وباعدت بقولك ـ الدل والشلب ـ ألا قلت كقول ذى الرمة

بَيْضاء في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ   وَفي اللِّثاتِ وَفي أنيابِها شَنَبُ [1]

قال فقال الطائى

* مُسْتَجْمِعِينَ لِيَ التَّوْدِيعَ وَالْعَنَما *

فجعل المنظر القبيح للتوديع والتوديع لايستقبح وانما يستقبح عاقبته وهى الفراق وجعل المنظر الحسن أصابعه عند الاشارة وشبهه بالعنم ولم يذكر الانامل المختضبة قال وانما سمع قول المجنون

وَيُبْدِي الحَصَي منها اذَا قَذَفَتْ به   مِنَ البُرْدِ أطْرَافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ [2]

---

[١] قوله ـ بيضاء يروي لمياء فى شفتيها الخ ـ ولمياء فعلاء من اللمى وهو سمرة في باطن الشفة وهو مستحسن يقال امرأة لمياء وظل المى كثيف أسود ٠٠ وقوله ـ حوة ـ بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وهي أيضاً حمرة فى الشفتين تضرب الى السواد ٠٠ وقوله ـ لعس ـ بفتح اللام والعين المهملة وفى آخره سين مهملة وهو أيضاً سمرة فى باطن الشفة يقال امرأة لعساء ٠٠ وقوله ـ وفى اللثات ـ بكسر اللام وتخفيف الثاء المثلثة جمع لثة وهى معروفة ٠٠ وقوله ـ شنب ـ بفتح الشين المعجمة والنون ٠٠ قال الاصمعي الشنب برد وعذوبة في الاسنان ويقال هو تحديد الاسنان ودقتها والبيت يستشهد به النحويون على أن لعساً بدل غلط من حوة وهو حجة على المبرد حيث يدعي أنه لا يوجد في كلام العرب بدل الغلط لافى النظم ولا في النثر وانما يقع فى لفظ الغلاّط ٠٠ وأجاب بعضهم عن هذا بأن قوله لعس مصدر وصفت به الحوة تقديره حوة لعساء كما يقال حكم عدل وقول فصل أى عادل وفاصل ويقال ان فى البيت تقديماً وتأخيراً التقدير لمياء في شفتيها حوة وفى اللثات لعس وفي أنيابها شنب ٠٠ والبيت من قصيدته المشهورة التى أولها

ما بال عينك منها الماء ينسكب   كأنه من كلى مفرية سرب

وقد استنشده هشام بن عبد الملك فانشده اياها فأمر بدحبه لأنه كان بعينه رمص

[٢] قوله ـ ويبدى الحصي منها الخ ٠٠ وقبله

قال وهذا الاصل استعاره الناس من بعد ٠٠ قال الشاعر

النَّشْرُ مِسكٌ وَالوجُوهُ دَنا   نِيرٌ وَأطرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ [1]

ولم أر ليلى غير موقف ساعة   بخيف منىً ترمي جمار المحصب

وبعده ٠٠ ألا ان ما ترمين يأم مالك   صدىً أينما تذهب به الريح يذهب

[١] قوله ـ النشر مسك الخ ٠٠ البيت من قصيدة للمرقش الاكبر وتقدمت منها أبيات ٠٠ ومنها

* يهلك والد ويخلف مو   لود وكل ذى أب ينيم

والوالدات يستفدن غنى   ثم على المقدار من تعقم

ماذنبنا فى أن غزا ملك   من آل جفنة حازم مرغم

مقابل بين العواتك والـ   ـعلّف لانكس ولا توأم

حارب واستوى قراضبة   ليس لهم مما يحاز نعم *

بيض مصاليت وجوههم   ليست مياه بحارهم بعمم

فانقض مثل الصقر يقدمه   جيش كغلاّن الشريف لهم

إن يغضبوا يغضب لذاك كما   ينسل من خرشائه الأرقم

فنحن أخوالك عمرك والخا   ل له معاظم وحرم *

لسنا كأقوام مطاعمهم   كسب الخنا ونهكة المحرم

إن يخصبوا يعيوا بخصبهم   أو يجدبوا فهم به الأم

عام ترى الطير دواخل في   بيوتهم معهم ترتم *

ويخرج الدخان من خلل السّتـ   ـر كلون الكودن الاصحم

حتى إذا ماالارض زينها النبـ   ـت وجن روضها وأكم

ذاقوا ندامة فلو أكلوا الحنظـ   ـل لم يوجد له علقم

لكننا قوم أهاب بنا   في قومنا عفافة وكرم

أموالنا نقى النفوس بها   من كل مايدنى اليه الذم

قال وأغرب أبو نواس في قوله

تبكي فتذري الدرّ من طرفها ‏ ‏ ‏ وتلطم الورد بعنّاب

قال فلم يحسن هذا العلج أن يستعير شيئاً من محاسن القائلين .. [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وهذا غلط من ابن عمار وسفه على أبي تمام لأن الكميت جمع بين شيئين متباعدين وهما الدّل وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشنب وهو برد الاسنان فيطلق عليه بذلك بعض العيب وأبو تمام جمع بين شيئين غير متفرقين لان التوديع انما أشار به الي ما أشارت اليه بأصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك أصابعها بالعنم والعنم نبت أغصانه غضة دقاق شبه الاصابع ..وقيل ان العنم واحدته عنمة وهي العصابة الصغيرة البيضاء وهي أشبه شئ بالاصابع البيضاء الغضة وهذا حكاه صاحب كتاب العين .. وقيل إن العنم نبت له نور أحمر تشبه به الاصابع المخضوبة فوجه حسن قوله التوديع والعنم ان التوديع كان بالاصابع التي تشبه العنم فجمع بينهما بذلك ولا حاجة بها الى ذكر الانامل المخضبة على ما ظن أبو العباس بل ذكر المشبه به أحسن وأفصح من أن يقول التوديع والانامل التي تشبه العنم .. فأما قوله ان التوديع لا يستقبح وانما يستقبح عاقبته فخطأ ومطالبة الشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء لان التوديع اذا كان منذراً بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب لامحالة فانه مكروه مستقبح .. وقوله مستقبح عاقبته صحيح إلا أن مايعقبه ويثمره لما كان عند حضوره متيقناً مذكوراً عاد الاكراه والاستقباح اليه ونحن نعلم ان الناس يتكرهون ويستقبحون تناول الاشياء الملذة من الاغذية وغيرها اذا علموا مافي عواقبها من المكروه فان من قدم اليه طعام مسموم وأعلم بذلك يتكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه من سوء عاقبته وان كان ملذاً في الحال ولم تزل الشعراء تذكر كراهتها للوداع وهربها منه لما يتصور فيه من ألم الفرقة وغصص الوحشة وهذا

لايبعد الله التلبب والغا ‏ ‏ ‏ رات إذ قال الخميس نعم

والعدو بين المجلسين إذا ‏ ‏ ‏ ولى العشى وقد تنادى العم

يأتي الشباب الاقورين ولا ‏ ‏ ‏ تغبط أخاك أن يقال حكم

معروف مشهور .. وقد قال فيه أبو تمام

آلفة النحيب كم افتراق ‏ ‏ ‏ أظلّ فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الأوبات إلا ‏ ‏ ‏ لموقوف على ترح الوداع

فجعل للوداع ترحا يقابل فرح الاياب وهذا صحيح .. فأما قول جرير

أتنسي إذ تودّعنا سليمى ‏ ‏ ‏ بفرع بشامة سقي البشام[1]

وانه دعا للبشام وهو شجر بالسقي لانها ودعته عنده فسرّ بتوديعها .. وقول الشاعر

من يكن يكره الوداع فاني ‏ ‏ ‏ أشتهيه لموضع التسليم

إن فيه إعتناقة لوداع ‏ ‏ ‏ وانتظار اعتناقة لقدوم

فمن شأن الشعراء أن يتصرفوا في المعاني بحسب أغراضهم وقصودهم اذا رأى أحدهم

[1] قوله ــ أتنسي الخ ..هو من قصيدة طويلة يذم فيها تغلب ويهجو الاخطل .. وأولها قوله

متى كان الخيام بذي طلوح ‏ ‏ ‏ سقيت الغيث أيتها الخيام

ومنها

بنفسي من تجنبه عزيز ‏ ‏ ‏ عليّ ومن زيارته لمام

ومن أمسي وأصبح لاأراه ‏ ‏ ‏ ويطرقني إذا هجع النيام

ومنها

عوي الشعراء بعضهم لبعض ‏ ‏ ‏ عليّ فقد أصابهم انتقام

كأنهم الثعالب حين تلقى ‏ ‏ ‏ هزبراً في العرين له انحام

إذا أقلعت صاعقة عليهم ‏ ‏ ‏ رأوا أخرى تحرق فاستهاموا

فمصطلم المسامع أو خصيّ ‏ ‏ ‏ وآخر عظم هامته حطام

إذا شاؤا مددت لهم حضاراً ‏ ‏ ‏ وتقريباً مخالطه عذام

ومنها

قضى لي أن أصلي خندفي ‏ ‏ ‏ وعضب في عواقبه السمام

إذا ماخندف زخرت وقيس ‏ ‏ ‏ فان جبال عزي لا ترام

هم حدبوا عليّ ومكنوني ‏ ‏ ‏ بأفيح لايزال به المقام

مدح شيء قصد الى أحسن أوصافه فذكرها وأشار بها حتى كأنه لاوصف له الا ذلك الوصف الحسن فاذا أراد ذمه قصد الى أقبح أحواله فذكرها حتي كأنه لاشيء فيه غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده ولهذا ترى أحدهم يقصد الى مدح الشيب فيذكر مافيه من وقار وخشوع وان العمر منه أطول وما أشبه ذلك ويقصد الى ذمه فيصف مافيه من الادناء الى الاجل وانه أخمل الالوان وأبغضها الى النساء وما أشبه ذلك وهذه سبيلهم في كل شيء وصفوه ولمدحهم موضعه ولذمهم موضعه فمن ذمّ الوداع لما فيه من الانذار بالفراق وبعد الدار قد ذهب مذهباً صحيحاً كما إن من مدحه لما فيه من القرب من المحبوب والسرور بالنظر اليه وان كان يسيراً قد ذهب أيضاً مذهباً صحيحاً ٠٠ ومن غلط ابن عمار القبيح قوله بعد أن أنشد شعر المجنون وهذا هو الاصل ثم استعاره الناس من بعد ٠٠ فقال الشاعر

النَّشْرُ مِسكٌ وَالوجُوهُ دَنا نِيرُ وَأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

وهذا الشعر للمرقش الاكبر وهو والمرقش الاصغر كانا جميعاً على عهد ربيعة وشهدا حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الاكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة

―――

مجلس آخر ٧٦

[تأويل آية]٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) الآية ٠٠ فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن ولم يؤت موسي القرآن وانما اختص به محمد عليه الصلاة والسلام ٠٠ الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه ٠٠ أولها أن يكون الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره وهو التوراة ولا يكون إسما ههنا للقرآن المنزل على محمد صلي الله عليه وسلم ويحسن نسقه على الكتاب لمخالفته لفظه كما قال تعالي (الكتاب والحكمة) وان كانت الحكمة مما يتضمنها الكتاب وكتب الله تعالى كلها فرقان تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ٠٠ ويستشهد على هذا

الوجه بقول طرفة

فَمالِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّيَ مالِكاً مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي وَيَبْعُدِ

فنسق يبعد على ينأ وهو بعينه وحسن ذلك اختلاف اللفظين ٠٠ وقال عدي بن زيد

وَقَدَّمَتِ الأَدِيمَ لِرَاهِشَيْهِ وَأَلفا قَوْلَها كَذِباً وَمَيْنَا

والمين الكذب ٠٠ وثانيها أن يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسي عليه السلام واصحابه المؤمنين وبين فرعون وأصحابه الكافرين لأن الله تعالي قد فرق بينهم في أمور كثيرة منها أنه نجى هؤلاء وغرق أولئك ٠٠ وثالثها أن يكون الكتاب عبارة عن التوراة والانجيل والفرقان انفراق البحر الذي أوتيه موسى عليه السلام ٠٠ ورابعها أن يكون الفرقان القرآن المنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام ويكون المعنى في ذلك وآتينا موسي التوراة والتصديق والايمان بالفرقان الذى هو القرآن لأن موسى عليه السلام كان مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ومبشراً ببعثته وساغ حذف التوراة والايمان والتصديق وما جرى مجراه وإقامة الفرقان مقامه كما ساغ في قوله تعالي (واسأل القرية) وهو يريد أهل القرية ٠٠ وخامسها أن يكون المراد الفرقان ويكون تقدير الكلام (واذ آتينا موسى الكتاب) الذى هو التوراة وآتينا محمد صلى الله عليه وسلم الفرقان فحذف مايقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله

تَرَاهُ كَأَنَّ اللهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلاَهُ كانَ لَهُ وَفْرُ[١]

---

[١] قوله ـ تراه كأنّ الله يجدع أنفه الخ ـ يجدع أنفه ـ أى يقطعه ـ والمولى ـ هنا المراد به الجار أو الصاحب ـ وكان ـ يروي بدله وثاب بالمثلثة أي رجع من بعد ذهابه ـ والوفر ـ بفتح الواو وسكون الفاء وفي آخره راء مهملة وهو المال الكثير ٠٠ ويروى دثر وهو بالمعنى الاول وهذا في ذم شخص حاسد يحسد جاره اذا رجع من سفره بمال كثير فيصير من شدة حسده كأنّ الله يجدع أنفه ويقلع عينيه ٠٠ والبيت يستشهد به النحاة على حذف العامل المعطوف وابقاء معموله إذ التقدير ويفقأ عينيه كما فى قوله تعالى (والذين تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم) أي واعتقدوا الايمان والبيت للزبرقان بن بدر

أراد ويفقأ عينيه لأن الجدع لايكون بالعين وا كتفى بجدع عن يفقأ ٠٠وقال الشاعر

تَسمَعُ لِلأَحشاءِ مِنهُ لَغَطا ‏ ‏ وَلِليَدَينِ حَشأَةً وَبَدَدا

أى وترى لليدين لان الحشأة والبدد لا يسمعان وانما يريان ٠٠ وقال الآخر

عَلَفتُها تِبنا وَماءً بارِدًا ‏ ‏ حَتّى شَتَت هَمّالَةً عَيناها[1]

أراد وسقيتها ماء بارداً فدلّ علفت على سقيت ٠٠ وقال الآخر

يَالَيتَ بَعلَكِ قد غَدَا ‏ ‏ مُتَقَلِّدًا سَيفًا وَرُمحا

أراد حاملا رمحاً ٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وجدت أبا بكر بن الانباري يقول إن الاستشهاد بهذه الابيات لايجوز علي هذا الوجه لأن الابيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره والآية اكتفى فيها باسم دون إسم ٠٠ والأمر وان كان على ماقاله

رضى الله عنه ونسبه الجاحظ لخالد بن الصليقان وقبله

ومولي كمولى الزبرقان دميته ‏ ‏ كما دمات ساق يهاض بها كسر

إذا ماأحالت والجبائر فوقها ‏ ‏ مضى الحول لابرء مبين ولا جبر

البيت ٠٠ وبعده ترى الشر قد أفنى دوائر وجهه ‏ ‏ كضب الكدى أفنى براثنه الحفر

[١] قوله ـ علفتها تبناً الخ ٠٠ هذا الرجز يستشهد به النحاة فى باب المفعول معه ويقولون ان الماء معطوف على التبن فلا يصح أن الواو فى قوله وماء للمعية والمصاحبة لانعدام معنى المصاحبة ولايشارك قوله وماء فيما قبله فتعين أن ينصب بفعل مضمر يدل عليه سياق الكلام وهو أن يقال التقدير علفتها تبناً وسقيتها ماء ٠٠ وقال ابن عصفور انهم ذهبوا إلى أن الاسم الذى بعد الواو معطوف على الاسم الذي قبلها ويكون العامل فى الاسم الذى قبل الواو قد ضمن في ذلك معنى يتسلط على الاسمين فيضمن علفتها معنى أطعمتها لأنه إذا علفها فقد أطعمها فكأنه قال أطعمتها تبناً وماء ويقال أطعمته ماء ٠٠ قال الله تعالى (ومن لم يطعمه فانه منى) ٠٠ وروى

لما حططت الرحل عنها واردا ‏ ‏ علفتها تبناً وماء باردا

ورواية الاصل أشهر ولا يعرف قائله ونسبه بعضهم لذي الرمة وليس فى ديوانه

فى الاسم والفعل فان موضع الاستشهاد صحيح لأن الاكتفاء فى الابيات بفعل عن فعل انما حسن من حيث دل الكلام على المحذوف والمضمر فاقتضاه لحذف تعويلا على أن المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه وهذا المعنى قائم في الآية وان كان المحذوف إسما لأن اللبس قد زال و الشبهة قد أمنت في المراد بهذا الحذف فحسن لأن الفرقان إذا كان إسما للقرآن وكان من المعلوم ان القرآن انما أُنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام دون موسى عليه السلام استغنى عن أن يقال وآتينا محمداً صلى الله عليه وسلم القرآن كما استغنى الشاعر أن يقول ويفقأ عينيه وترى لليدين حشأة وبددا وما شاكل ذلك ٠٠ الا أنه يمكن أن يقال فيما استشهد به في جميع الأبيات مما لا يمكن أن يقال مثله فى الآية وهو أن يقال انه محذوف ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام فى كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف عليه لأنه لما قال ـ تراه كأن الله يجدع أنفه ـ وكان معنى الجدع هو الافساد للعضو والتشويه به عطف على المعنى فقال وعينيه فكأنه قال كأن الله يجدع أنفه أى يفسده ويشوهه ثم قال وعينيه وكذلك لما كان السامع للغط الاحشاء عالما به عطف على المعنى فقال ولليدين حشأة وبددا أي انه يعلم هذا وذاك معاً وكذلك لما كان فى قوله علفت معنى غذيت عطف عليه الماء لأنه مما يغتذى به وكذلك لما كان المتقلد للسيف حاملا له[1] جاز

[١] قوله ـ لما كان المتقلد للسيف حاملا له الخ ٠٠ عبارة بعض العلماء لأن التقلد نوع من الحمل قال ولأجل هذا الذى ذكرناه من حكم العطف بالواو قلنا فى قوله تعالى (وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين) في قراءة من خفض الارجل إذ الارجل تغسل والرؤس تمسح ولم يوجب عطفها على الرؤس أن تكون ممسوحة كمسح الرؤس لأن العرب تستعمل المسح على معنيين أحدهما النضح والآخر الغسل حتى روى أبو زيد تمسحت للصلاة أي توضأت ٠٠ وقال الراجز * أشليت عنزي ومسحت قعبي * أراد انه غسله ليحلب فيه فلما كان المسح نوعين أوجبنا لكل عضو مايليق به إذ كانت واو العطف كما قلنا إنما توجب الاشتراك في نوع الفعل وجنسه لافى كميته ولا فى كيفيته فالنضح والمسح جميعهما جنس الطهارة كما جمع تقلد السيف وحمل الرمح جنس التأهب للحرب والتسلح

أن يعطف عليه الرمح المحمول وهذا أولى في الطعن على الاستشهاد بهذه الابيات مما ذكره ابن الانباري •• [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيي الصولى قال أخبرنا يحيي بن على بن يحيي المنجم قال اخبرنا أحمد بن يحيي بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدى قال لما دخل خالد بن صفوان الاهيمى على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسري قال فالفيته جالساً على كرسى فى بركة ماؤها الى الكعبين فدعالي بكرسي فجلست عليه فقال يا خالد ربّ خالد جلس مجلسك كان الوط بقلبي وأحبّ الىّ فقلت ياأمير المؤمنين ان حلمك لايضيق عنه فلو صفحت عن جرمه فقال ياخالد ان خالداً أدلّ فأملّ وأوجف فأجحف ولم يدع لراجع مرجعاً ولا لعودة موضعاً ثم قال ألا اخبرك عنه يا بن صفوان قلت نعم قال انه مابدأني بسؤال حاجة مذ قدم العراق حتي أكون أناالذي أبدأه بها قال خالد فذاك أحرى أن ترجع اليه •• فقال متمثلا

إذاانصَرَفتْ نَفسِي عنِ الشَّيءِلم تَكَدْ اليهِ بوَجهٍ آخرَ الدَّهرِ تُقْبِلُ

ثم قال حاجتك يا بن صفوان قلت تزيدني في عطائي عشرة دنانير فاطرق ثم قال ولم وفيم ألعبادة أحدثتها فنعينك عليها أم لبلاءحسن أبليته عند أمير المؤمنين أم لماذا يابن صفوان إذاً يكثر السؤال ولا يحتمل ذلك بيت المال قال فقلت ياأمير المؤمنين وفقك الله وسددك أنت والله كما قال أخو خزاعة

اذَا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عَطاءهُ قَرَابةُ قُرْبى أو صَدِيقٌ تُوَافِقُهْ

مَنَعْتَ وبَعضُ المَنْعِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ ولمْ يفتلتك المالَ إلاَّ حقائقُه

فلما قدم خالد البصرة قيل له مالذى حملك على تزيين الامساك له قال أحببت أن يمنع غيري كما منعني فيكثر من يلومه •• [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وكان خالد مشهوراً بالبلاغة وحسن العبارة •• وبالاسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص ابن معاوية بن عمرو بن العلاء قلت لخالد يا أبا صفوان اني لاكره أن تموت وأنت من أيسر أهل البصرة فلا يبكيك الا الاماء قال فابغني امرأة قلت صفها لي أطلبها لك قال بكراً

كثيباً أو ثيباً كبكر لاضرعا صغيرة ولا مسنة كبيرة لم تقرأ فتجبن ولم تفن فتمجن قد نشأت فى نعمة وأدركتها خصاصة فأدّبها الغني وأذلها الفقر حسبي من جمالها أن تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب وحسبي من حسبها أن تكون واسطة قومها ترضى منى بالسنة ان عشت أكرمتها وان مت ورثتها لاترفع رأسها الى السماء نظراً ولا تضعه الى الى الارض سقوطا فقلت يا أبا صفوان ان الناس فى طلب هذه مذ زمان طويل فما يقدرون عليها •• وكان يقول ان المرأة لو خفّ محملها وقلت مؤنتها ماترك اللئام فيها للكرام بيتة ليلة ولكن ثقل محملها وعظمت مؤنتها فاجتباها الكرام وحاد عنها اللئام •• وكان خالد من أشح الناس وأبخلهم كان إذا أخذ جائزة أو غيرها قال للدرهم أما والله لطالما أغرت فى البلاد وأنجدت والله لأطيلن ضجعتك ولأديمن صرعتك •• قال وسأله رجل من بني تميم فأعطاه دانقاً فقال ياسبحان الله أتعطي مثلي دانقاً فقال له لو أعطاك كل رجل من بني تميم مثل ماأعطيتك لرحت بمال عظيم •• وسأله رجل فأعطاه درهماً فاستقله فقال ياأحمق أما علمت ان الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم •• وكان يقول والله ماتطيب نفسى بانفاق درهم الا درهماً قرعت به باب الجنة أودرهماً اشتريت به موزاً •• وقال لأن يكون لى ابن يحب الخمر أحب اليّ من أن يكون لى ابن يحب اللحم لأنه متي طلب اللحم وجده والخمر يفقده أحيانا •• وكان يقول من كان ماله كفافا فليس بغنى ولا فقير لأن النائبة اذا نزلت به أجحفت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غنى •• وكان يقول لأن يكون لاحدكم جار يخاف ان ينقب عليه بيته خير من ان يكون له جارٌ من التجار لايشاء أن يعطيه مالا ويكتب به عليه صكا الا فعل

مجلس آخر ٧٧

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) •• فقال كيف يخبر تعالى أنهم لايكذبون

نبيه عليه الصلاة والسلام ومعلوم منهم إظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق وكيف ينفى عنهم التكذيب ثم يقول انهم بآيات الله يجحدون وهل الجحد بآيات الله الا تكذيب نبيه عليه الصلاة والسلام •• الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه •• أولها أن يكون انما نفي تكذيبهم بقلوبهم تديناً واعتقاداً وان كانوا مظهرين بافواههم التكذيب لأنا نعلم أنه كان فى المخالفين له عليه الصلاة والسلام من يعلم صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك معاند فيظهر بخلاف مايبطن •• وقال تعالى (وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) •• ومما يشهد لهذه الوجوه من طريق الرواية ماروا‌ه سلام بن مسكين عن أبى يزيد المدنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى أبا جهل فصافحه أبو جهل فقيل له ياأبا الحكم أتصافح هذا الصابي فقال والله انى لا علم أنه نبي ولكن متى كنا تبعاً لبنى عبد مناف فانزل الله الآية •• وفى خبر آخر ان الاخنس بن شريق خلا بأبي جهل فقال له يا أبا الحكم أخبرني عن محمد صلى الله عليه وسلم أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال له أبو جهل ويحك والله ان محمداً لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصى باللوى والحجابة والسقاية والندوة والنبوّة ماذا يكون لسائر قريش •• وعلى الوجه الاول يكون معنى فانهم لايكذبونك أي لايفعلون ذلك بحجة ولا يتمكنون من إبطال ماجئت به ببرهان وانما يقتصرون على الدعوي الباطلة وهذا فى الاستعمال معروف لأن القائل يقول فلان لا يستطيع أن يكذبني ولا يدفع قولى وانما يريد أنه لايتمكن من إقامة دليل على كذبه ومن حجة على دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه فيصير مايقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به •• وروى عن أمير المؤمنين علىّ عليه السلام أنه قرأ هذه الآية بالتخفيف فانهم لايكذبونك على أن المراد بها انهم لا يأتون بحق هو أحق من حقك •• وقال محمد بن كعب القرظى معناها لايبطلون مافي يدك وكل ذلك يقوي هذا الوجه ويبين ان معنى هذه اللفظة مشددة ترجع الى معناها مخففة •• والوجه الثانى أن يكون معنى الآية انهم لا يصدقونك ولا يلفونك متقولا كما يقولون قاتلته فما أجبلته أى لم أجده جبانا

وحادثته فما أكذبته أي لم ألفه كاذبا •• وقال الاعشى

أثوي وقصّر ليلةً ليزوّدا   فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

أى صادف منها خلف المواعيد •• ومثله قولهم أصممت القوم إذا صادفتهم صماً وأخليت الموضع اذا صادفته خالياً •• وقال الشاعر

أبيتُ معَ الحدّاثِ ليلي فلم أبِنْ   فأُخليتُ فاستجمعتُ عندَ خلائيا

أي أصبت مكانا خالياً •• ومثله لحميان بن أبي لحافة

ليسنّ أنياباً لهُ لوَامِجا   أوسعْنَ منْ أشداقهِ المضارِجا

يعنى – بأوسعن – أصبن منابت واسعة فنبتن فيها •• وقال عمرو بن براقة

تحالَفَ أقوامٌ عليّ ليُسنِمُوا   وجَرّوا عليّ الحربَ إذْ أنا سانِمُ[١]

---

[١] قوله – اذ أنا سانم – الرواية المشهورة سالم بدل سانم •• والبيت من قصيدة يقولها عمرو بن براق أو براقة المذكور وكان أغار عليه رجل من مراد فأخذ خيله وابله فذهب بها فاتي عمرو سلمى وكانت بنت سيدهم وعن رأيها كانوا يصدرون فاخبرها ان حريما المرادى أغار على ابله وخيله فقالت والخفوِ والوميض والشفق كالاحريض والقلة والحضيض إن حريماً لمنيع الحِز سيد مزيز ذو معقل حريز غير أنى أرى الجمة ستظفر منه بعثرة بطيئة الجبرة فاغر ولا تنكع فاغار عمرو واستاق كل شيء له فاتى حريم بعد ذلك يطلب إلي عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه فامتنع ورجع حريم انتهي •• وروي من غير هذا الوجه ان الذى أغار عليه حريم الهمداني وان عمراً أتى امرأة كان يتحدث اليها يقال لها سلمي فاخبرها بالقصة وانه يريد الغارة عليه فقالت له ويحك لا تعرض لتلفات حريم فانى أخافه عليك فخالفها وأغار عليه وهذا القول الاخير أصوب ومطلع القصيدة

تقول سليمى لاتعرّض لتلفة   وليلك عن ليل الصعاليك نائم

وكيف ينام الليل من جلّ ماله   حسام كلون الملح أبيض صارم

غموض اذا عض الكريهة لم يدع   لها طمعاً طوع اليمين ملازم

يقال ـ أسمن ـ بنو فلان اذا رعت ابلهم فصادفوا فيها سمناً ٠٠ وقال أبو النجم ٭ يقلن للرائد أعشبت أنزل أى أصبت مكانا معشباً ٠٠ وقال ذو الرمة

تُرِيكَ بَيَاضَ لَبَّتِهَا وَوَجْهاً　كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالاَ[١]

أم تعلمى أن الصعاليك نومهم　قليل اذا نام الخلى المسالم

إذا الليل أدجي وا كفهر ظلامه　وصاح من الافراط بوم جواثم

ومال بأصحاب الكرى غالباته　فاني على أمر الغواية حازم

كذبتم وبيت الله لاتأخذونها　مراغمة مادام للسيف قائم

تحالف أقوام على ليسلموا　وجروا علىّ الحرب اذ أنا سالم

أفا اليوم أدعى للهوادة بعدما　أجيل على الحى المذاكى الصلادم

فان حرباً إذ رجا أن أردها　ويذهب مالى يابنة القيل حالم

متى تجمع القلب الذكى وصارما　وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

متى تطلب المال الممنع بالقنا　تعش ماجداً أو تخترمك المخارم

وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم　فهل أنا في ذايال همدان ظالم

فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقنا　وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

ولا أمن حتى تغشم الحرب جهرة　عبيدة يوما والحروب غواشم

أمستبطئ عمرو بن نعمان غارتى　وما يشبه اليقظان من هو نائم

إذا جر مولانا علينا جريرة　صبرنا لها إنا كرام دعائم

٭ وننصر مولانا ونعلم أنه　كما الناس مجروم عليه وجارم

[١] ـ أفتق قرن الشمس ـ أصاب فتقاً من السحاب فبدا منه ٠٠ والبيت من قصيدة يمدح بها بلال بن أبى بردة وبعده

أصاب خصاصة فبدا كليلا　كلا وانغل سائره انغلالا

ومنها　بني لك أهل بيتك يابن قيس　وأنت تزيدهم شرفا جلالا

أى وجد فتقاً من السحاب وليس لاحد أن يجعل هذا الوجه مختصاً بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لأن فى الوجهين معاً يمكن هـذا الجواب لأن أفعلت وفعلت يجوزان فى هذا الموضع وأفعلت هو الاصل ثم شددتا تأكيداً وإفادة لمعنى التكرار وهذا مثل أكرمت وكرمت وأعظمت وعظّمت وأوصيت ووصّيت وأبلغت وبلّغت وهو كثير ٠٠ وقال الله تعالي (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه لأن استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى أكثر ٠٠ والوجه الثالث ماحكى الكسائى من قوله ان المراد انهم لاينسبونك الى الكذب فيما أتيت به لأنه كان أميناً صادقا لم يجربوا عليه كذبا وانما كانوا يدفعون ماأتي به ويدّعون انه فى نفسه كذب وفى الناس من يقوي هذا الوجه وان القوم كانوا يكذبون ما أتي به وان كانوا يصدقونه في نفسه بقوله تعالى (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وبقوله تعالي (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل وكذبك قومك وكان الكسائى يقرأ فانهم لايكذبونك بالتخفيف ونافع من بين سائر السبعة والباقون بالتشديد ويزعم ان بين أكذبه وكذبه فرقا وان معنى أكذب الرجل انه جاء بكذب ومعنى كذبته انه كذاب فى حديثه وهذا غلط وليس بين فعلت وأفعلت فى هذه الكلمة فرق من طريق المعنى أكثر مما ذكرناه من أن التشديد يقتضى التكرار والتأكيد ومع هذا لايجوز أن يصدقوه في نفسه ويكذبوا بما أتى به لأن من المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان يستشهد بصحة ماأتي به وصدقه وانه الدين القيم والحق الذى لايجوز العدول عنه وكيف يجوز أن يكون صادقا فى خبره

مكارم ليس يحصين مدح　ولا كذبا أقول ولا انتحالا

أبو موسي فحسبك نعم جداً　وشيخ الركب خالك نعم خالا

كأن الناس حين تمر حتى　عواتق لم تكن تدع الحجالا

قياما ينظرون إلى بلال　رفاق الحج أبصرت الهلالا

فقد رفع الاله بكل أفق　لضوئك يابلال سناً طوالا

كضوء الشمس ليس به خفاء　وأعطيت المهابة والجمالا

ومنها　سمعت الناس ينتجعون غيثاً　فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وان كان الذى أتى به فاسداً بل إن كان صادقا فالذي أتى به حق صحيح وان كان الذي أتي به فاسداً فلا بد من أن يكون فى شيء من ذلك وهو تأويل من لايحقق المعاني ٠٠ والوجه الرابع أن يكون المعنى في قوله تعالى فانهم لايكذبونك أن تكذيبك راجع اليّ وعائد عليّ ولست المختص به لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كذبه فهو فى الحقيقة مكذب لله تعالى ورادّ عليه وهذا كما يقول أحدنا لرسوله امض في كذافمن كذبك فقد كذبني ومن دفعك فقد دفعني وذلك من الله على سبيل التسلية لنبيه عليه الصلاة والسلام والتعظيم والتغليظ لتكذيبه ٠٠ والوجه الخامس أن يريد فانهم لايكذبونك فى الأمر الذى يوافق فيه تكذيبهم وان كذبوك فى غيره ٠٠ ويمكن في الآية وجه سادس وهو أن يريد تعالى ان جيعهم لايكذبونك وان كذبك بعضهم فهم الظالمون الذين ذكروا فى آخر الآية بأنهم يجحدون بآيات الله وانما سلّى نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا القول وعزاه فلا ينكر أن يكون عليه الصلاة والسلام لمااستوحش من تكذيبهم له وتلقيهم إياه بالرد عليه وظن أنه لامتبع له عليه الصلاة والسلام منهم ولا ناصر لدينه فيهم أخبره الله تعالى بان البعض وان كذبك فان فيهم من يصدقك ويتبعك وينتفع بارشادك وهدايتك وكل هذا واضح والمنة لله ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه من جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخزاعي

يأَيُّهَا الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ   أَلاَّ نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ مَنَافِ[1]
هَبِلَتْكَ أُمُّكَ لَوْ نَزَلْتَ عَلَيْهِمُ   ضَمِنُوكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ إِقْرافِ

[١] قوله ـ يأيها الرجل الخ ٠٠ روى عن المطلب بن أبى وداعة عن جده قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله تعالى عنه عند باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله   ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم   منعوك من عدم ومن إقتار

٠٠ قال فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الي ابى بكر فقال هكذا قال الشاعر قال لاوالذي بعثك بالحق لكنه قال

الآخذُونَ العَهْدَ مِنْ آفاقِها   وَالرَّاحِلُونَ لِرِحْلَةِ الإِيلاَفِ
وَالمُطْعِمُونَ إِذَاالرِّياحُ تَناوَحَتْ   وَرِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجافُ
وَالمُفْضِلونَ إِذَاالمُحُولُ تَرَادَفَتْ   وَالقائلونَ هَلُمَّ للأَضيافِ
وَالخالِطُونَ غَنِيَّهُمْ بِفَقِيرِهِمْ   حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالكافي
كانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ   فالمُحُّ خالِصةً لِعَبْدِ مَنافِ[1]

٠٠ أما قوله ـ والراحلون لرحلة الإيلاف ـ فكان هاشم صاحب إيلاف قريش الرحلتين وأول من سنهما فألف الرحلتين[2] فى الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف الي الشام ٠٠ وفى ذلك يقول ابن الزبعرى

يا أيها الرجل المحول رحله   ألاَّ نزلت بآل عبد مناف

الخ كما فى الاصل ٠٠ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه

[١] وقوله ـ فالمح خالصة لعبد مناف ـ المح والمحة صفرة البيض ٠٠ قال ابن سيدة انما يريدون فص البيضة لأن المح جوهر والصفرة عرض ولا يعبرون بالعرض عن الجوهر اللهم الا أن تكون العرب سمت مح البيضة صفرة قال وهذا مالاأعرفه وان كانت العامة قد أولعت بذلك وقوله ـ خالصة ـ روي أيضاً خالصها وخالصه ولا إشكال فى الروايتين الأخيرتين ٠٠ قال ابن بري من قال خالصة بالتاء فهو فى الاصل مصدر كالعافية

[٢] قوله ـ فألف الرحلتين ـ الخ كان هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل إخوة وأكبرهم عبد شمس وأصغرهم المطلب والثلاثة السابقون لأب وأم ونوفل أخوهم لأبيهم وهم أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم أخذ لهم هاشم حبلا من ملوك الشام الروم وغسان وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشي الاكبر فاختلفوا بذلك السبب الى أرض الحبشة وأخذ لهم نوفل حبلا من الاكاسرة فاختلفوا بذلك السبب الى اليمن فجبر الله بهم قريشاً فسموا المجبرين واختلف في قائل هذه الابيات فقيل هي لمطرود بن كعب الخزاعي وقيل لابن الزبعرى وهذا أصح ولم نر من فرقها

عَمرُو العُلاَ هَشَمَ الثريدَ لِقَومِهِ ❊ وَرِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجافُ

وَهُوَ الذِي سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَومِهِ ❊ رِحَلَ الشِّتاءِ وَرِحلَةَ الأَصيافِ

.. فأما قوله ــ مسنتون ــ فهم الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة .. وقوله ــ والخالطون غنيهم بفقيرهم ــ من أحسن الكلام وأخصره انما أراد انهم يفضلون على الفقير حتى يعود غنياً ذا ثروة .. ولأحمد بن يوسف أبيات على هذا الوزن يمزح بها مع ولد سعيد بن مسلم الباهلي وكان لهم صديقاً

أَبناءَ سَعدٍ إِنَّكُمْ مِنْ مَعشَرٍ ❊ لاَيَعرِفُونَ كَرامَةَ الأَضيافِ

قَومٌ لِباهِلَةَ بنِ يَعصُرَ إِنَّهُمُ ❊ نُسِبُوا حَسِبْتَهُمُ لِعَبدِ مَنافِ

قَرَنُوا الغَداءَ إِلى العَشاءِ وقَرَّبُوا ❊ زادًا لَعَمرُ أَبِيكَ لَيسَ بِكافِي

وكأَنَّني لَمَّا حَطَطْتُ إِلَيهِمُ ❊ رَحلِي نَزَلْتُ بِأَبرَقِ العَزَّافِ

غير السيد المرتضى وسبب قول ابن الزبعرى لها فيما قيل ان الناس أصبحوا يوما بمكة وعلى باب الندوة مكتوب

ألهى قصيا عن المجد الاساطير ❊ ورشوة مثل ماترشى السفاسير

وأكلها اللحم بحتاً لاخليط به ❊ وقولها رحلت عير أتت عير

فانكر الناس ذلك وقالوا ماقالها الا ابن الزبعرى وأجمع على ذلك رأيهم فمشوا الي بني سهم وكان مما تنكر قريش وتعاتب عليه أن يهجو بعضها بعضاً فقالوا لبنى سهم ادفعوه الينا نحكم فيه بحكمنا قالوا وما الحكم فيه قالوا قطع لسانه قالوا فشأنكم واعلموا والله انه لايهجونا رجل منكم الا فعلنا به مثل ذلك والزبير بن عبد المطلب يومئذ غائب نحو اليمن فانحت بنو قصي بينهم فقالوا لانأمن الزبير اذا بلغه ماقال ابن الزبعري أن يقول شيئاً فيؤتي اليه مثل ماناتى الى هذا وكانوا أهل تناصف فاجمعوا على تخليته فخلوه وقيل إنهم أسلموه اليهم فضربوه وحلقوا شعره وربطوه الى صخرة بالحجون فاستغاث قومه فلم يغيثوه فجعل يمدح قصياً ويسترضيهم فاطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر

بَينَا كَذلِكَ إِذْ أَتى كُبَراؤُهُمْ ❊ يَلْحَوْنَ فِي التَّبذِيرِ وَالإِسرافِ

أراد ــ قرنوا الغداء الى العشاء ــ من بخلهم واختصارهم في المطعم .. ويقال ان هذا الشعر حنظ وصار من أكثر مايسبون به ويسب به قومهم ولرب مزح جر جداً وعثرة الشعر لا تستقال والشعر يسير بحسب جودته .. ولقد أحسن دعبل بن علي في قوله

نَعَوْنِي وَلَمَّا يَنْعَنِي غَيرُ شامِتٍ ❊ وَغَيرُ عَدُوٍّ قَدْ أُصِيبَتْ مَقاتِلُهْ

يَقُولُونَ إِنْ ذاقَ الرَّدَى ماتَ شِعرُهُ ❊ وَهَيهاتَ عُمْرُ الشِّعرِ طالَتْ طَوائِلُهْ

سأَقضِي بِبَيْتٍ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ ❊ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهلِ الرِّوايَةِ حامِلُهْ

يَمُوتُ رَدِيُّ الشِّعرِ مِنْ قَبلِ رَبِّهِ ❊ وَجَيِّدُهُ يَبْقَى وَإِنْ ماتَ قائِلُهْ

.. ولآخر في هذا المعنى (١)

---

(١) قوله ــ ولآخر في هذا المعنى .. الأبيات من قصيدة لدعبل أيضاً ومطلعها

إذا غزونا فغزانا بأنقرة ❊ وأهل سلمي بسيف البحر من جرت

هيهات هيهات بين المنزلين لقد ❊ ألضيت شوقى وقد طوّلت ملتفتي

أحببت أهلى ولم أظلم بحبهم ❊ قالوا تعصبت جهلا قول ذي بهت

لهم لساني بتقريظى وممتدحي ❊ نعم وقلبي وما تحويه مقدرتي

دعني أصل رحمى إن كنت قاطعها ❊ لابد للرحم الدنيا من الصلة

فاحفظ عشيرتك الأدنين إن لهم ❊ حقاً يفرق بين الزوج والمرت

قومي بنو حمير والأزد إخوتهم ❊ وآل كندة والاحياء من علت

ثبت الحلوم فان سلت حفائظهم ❊ سلوا السيوف فاردوا كل ذى عنت

نفسى تنافسنى فى كل مكرمة ❊ إلى المعالى ولو خالفتها أبت

وكم زحمت طريق الموت معترضاً ❊ بالسيف ضيقاً فاداني إلى السعة

قال العواذل أودي المال قلت لهم ❊ مابين أجر وفخر لي ومحمدة

أفسدت مالك قلت المال يفسدني ❊ اذا بخلت به والجود مصلحتي

لاَتَعرِضَنَّ بِمَزْحٍ لامرِيءٍ نَطِنٍ ماراضَهُ قَلْبُهُ أجراهُ في الشَّفَةِ
فَرُبَّ قافِيَةٍ بالمَزْحِ جارِيَةٍ مَشؤُمَةٍ لَمْ يُرَدْ إِنماؤُها نَمَتِ
إنّي إذَا قُلْتُ بَيْتًا ماتَ قائِلُهُ وَمَنْ يُقالُ لَهُ وَالبَيْتُ لَمْ يَمُتِ

مجلس آخر ٧٨

[تأويل آية أخرى] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) الآية •• وعن قوله تعالي (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب) الآية •• فقال كيف يقع من أهل الآخرة نفى الشرك عن أنفسهم والقسم بالله تعالي عليه وهم كاذبون فى ذلك مع انهم عندكم فى تلك الحال لايقع منهم شىء من القبيح لمعرفتهم بالله تعالي ضرورة ولأنهم ماجؤن هناك الى ترك جميع القبائح وكيف قال من بعد (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فشهد عليهم بالكذب ثم علقه بما لايصح فيــه معنى الكذب وهو التمنى لأنهم تمنوا ولم يخــبروا •• الجواب قلنا أول مانقوله أنه ليس في ظاهر الآية مايقتضي ان قولهــم ما كنا مشركين انما وقع فى الآخرة دون الدنيــا واذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز أن يكون الاخبار تتناول حال الدنيا وسقطت المسئلة وليس لأحد أن يتعلق فى وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) وانه عقّب ذلك بقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهــم) فيجب أن يكون الجميع مختصاً بحال الآخرة لأنه لايمتنع أن يكون الآية تتناول مايجرى في الآخرة ثم

لاتعرضنّ بمزح لامرىء طبن ماراضه قلبه أجراه في الشفة
فرب قافيــة بالمــزح قائلة مشؤمــة لم يرد إنمــاؤها نمت
رد الــلى مستنما بعد قطعتــه كرد قافية من بعــدما مضت
إني اذا قلت بيتاً مات قائــله ومن يقــال له والبيت لم يمت

تتلوها آية تتناول مايجرى في الدنيا لأن مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا غير واجبة •• وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) لاتدل أيضاً على أن ذلك يكون واقعاً بعد ماخبر تعالي عنه فى الآية الاولى فكأنه تعالى قال على هذا الوجه انا نحشرهم فى الآخرة ونقول أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم ما كان فتنتهم وسبب ضلالهم في الدنيا الاقولهم والله ربنا ما كنا مشركين) •• وقــد قيل فى الآية على تسليم ان هــذا القول يقع منهم فى الآخرة ان المراد به انا ما كنا عند نفوسنا وفى اعتقادنا مشركين بل كنا نعتقد أنا على الحق والهدي •• وقوله تعالى من بعد (أنظر كيف كذبوا على أنفسهم) لم يرد هذا الخبر الذى وقع منهــم فى الآخرة بل انهــم كذبوا على أنفسهم فى دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبون محقون غير مشركين وليس في الظاهر الا أنهم كذبوا على أنفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على آخرة دون دنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضى وقوع ذلك في الآخرة لحملناه على الدنيا بدلالة ان أهل الآخرة لايجوز أن يكذبوا لانهم ماجؤن الى ترك القبيح •• فأما قوله تعالى حاكياً عنهم (ياليتنا نرد) •• وقوله تعالى (فانهم لكاذبون) فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه التمنى فصرف قوله تعالى وانهــم كاذبون الى غير الامر الذي تمنوه لأن التمني لايصح فيه معنى الصدق والكذب لانهما انما يدخلان في الأخبار المحضة لأن قول القائل ليت الله رزقنى كذا وليت فلانا أعطانى مالا أفعل به كذا وكذا لايكون كذبا ولا صدقا وقع ماتمناه أولم يقع فيجوز على هذا أن يكون قوله تعالى (وانهم لكاذبون) مصروفا الي حال الدنيا كأنه تعالى قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن أنفسهم في الدنيا من الاضافة واعتقاد الحق أو يريد انهــم كاذبون ان خبروا عن أنفسهم أنهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان كان ما كان مما حكى عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز أن يحمل قوله تعالى (وانهم لكاذبون) على غير الكذب الحقيقى بل يكون المراد والمعنى أنهم تمنوا مالا سبيل اليه فكذب أملهم وتمنيهم وهذا مشهور فى الكلام لانهــم يقولون لمن تمنى مالايدرك كذب أملك وأكدى رجاؤك وما جرى مجري ذلك •• وقال الشاعر

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ لاَتأْخذُونَها مُراغَمَةً مادَامَ لِلسَّيْفِ قائِمُ

٠٠ وقال آخر

كَذَبتُم وَبَيْتِ اللهِ لاَتَنكِحُونَها ... بَني شابَ قَرْناها تُصَرُّ وَتُحْلَبُ

ولم يرد الكذب فى الاقول بل فى التمنى والأمل ٠٠ وليس لأحد أن يقول كيف يجوز من أهل الآخرة مع أن معارفهم ضرورية وانهم عارفون ان الرجوع لاسبيل اليه أن يتمنوه وذلك انه غير ممتنع أن يتمنى المتمني مايعلم انه لايحصل ولا يقع ولهذا يتعلق التمنى بما لايكون وبما قد كان ولقوة اختصاص التمنى بما يعلم أنه لايكون غلط قوم فجعلوا إرادة ماعلم المريد أنه لايكون تمنياً فهذا الذي ذكرناه وجه في تأويل الآية ٠٠ وفى الناس من جعل بعض الكلام تمنياً وبعضه إخباراً وعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا فكان تقدير الآية ياليتنا نرد وهذا هو التمنى ثم قال من بعده فانا لانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من أنفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم تعالى وكل هذا واضح بحمد الله ٠٠ أخبرنا أبو عبيـد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيي العسكريان قالا حدثنا الحسن بن عليـل العنبرى قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله العبدى قال حدثنا أبو مسـعر رجل منا من بنى غنم بن عبـد القيس قال ورد منصور بن سلمة النميرى على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن أبي جنصة صديقاً لى على انى كنت أبغضه وأمقته في الله فشكا الي وقال دخل علينا اليوم رجل أظنه شامياً وقد تقدمته البرامكة فى الذكر عند الرشيد فأذن له الرشيد فدخل فسلم وأجاد فأذن له الرشيد فجاس قال فاوجست منه خوفا فقلت يانفس أنا حجازى نجدى شافهت العرب وشافهتنى وهذا شامي افتراه أشعر منى قال فجعلت أرقو نفسي الى أن استنشده هارون فاذا هو والله أفصح الناس فدخلنى له حسد فأنشده قصيدة تمنيت أنها لى وان علىّ غرماً فقلت له ماهي قال أحفظ منها أبياتاً وهى

أميرَ المُؤمنينَ اليكَ خُضنا ... غِمارَ الموتِ مِنْ بلدٍ شَطِيرِ

بخُوصٍ كالأهلَّةِ خافقات ... حُمِلْنَ على السُّرَي وَعَلَى الهَجيرِ

حَمَلْنَ إليكَ آمالاً عِظاماً ... وَمِثْلَ الصُّبْحِ وَالبَدرِ المُنيرِ

وَقدْ وَقَفَ الْمَديحُ بِمُنْتَهاهُ ... وَغايَتِـهِ وَصارَ الي المَصِـيرِ

إلى مَنْ لاَيُشيرُ إلى سِوَاهُ ... إذَا ذُكِرَ النَّدَي كَفُّ المُشيرِ

قال مروان فوددت انه قد أخذ جائزتي وسكت وعجبت من تخلصه الى تلك القوافى ثم ذكر ولد أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فأحسن التخلص ٠٠ ورأيت هارون يعجب بذلك فقال

يَدُلَّكَ في رِقابِ بَـنِى عَـلِيٍّ ... وَمَنٌّ لَيسَ بالمَنِّ اليَسيرِ

فَإِنْ شَـكَرُوا فقدْ أنعمتَ فيهِمْ ... وَإلاَّ فالنَّدَامَةُ لِلْـكَفُورِ [١]

مَنَنْتَ علي ابنِ عبدِ اللهِ يَحْيى ... وَكانَ مِنَ الحتُوفِ على شَفيرِ

وَقدْ سَخِطَتْ لِسَخْطَتِكَ المَنَايا ... عليْهِ فَهيَ خاتِمَـةُ النُّشُورِ

وَلوْ كافأْتَ مااجْتَرَحَتْ يدَاهُ ... دَلَفْتَ لهُ بِقاصِمةِ الظُّهُورِ

ولكِنْ جَلَّ حِلْمُكَ فاجْتَباهُ ... عَلَي الهفَوَاتِ عفْوٌ مِنْ قَدِيرِ

فَعادَ كأنَّهُ لَمْ يَجْنِ ذَنباً ... وَقَدْ كانَ اجْتَنَي حَسَكَ الصدُورِ

وَإنَّكَ حِينَ تُبْلِغُـهُ أذَاهُ ... وَإنْ ظَلَمُوا لَمُحْتَرِقُ الضَّميرِ

وإن الرشيد قال لما سمع هذا البيت هذا واللهمعنى كان فى نفسى وأدخله بيت المال وحكمه فيه ٠٠ عدنا إلى الخبر قال مروان وكان هارون يتبسم ويكاد يضحك للطف ما سمع ثم أومأ الىّ أن أنشد فانشدته قصيدتي التي أقول فيها

---

[١] وزيد فيها

وإن قالوا بنو بنت فحـق ... وردوا ما يناسب للذكور

[illegible]ـى بنات من تراث ... مع الأعمام في ورق الزبور

ومنها

بني حسن ورهط بنى حسين ... عليكم بالسـداد من الامور

فقـد ذقتم قراع بني أبيكم ... غداة الروع بالبيض الذكور

خَلُّوا الطَّرِيقَ لِمَعْشَرٍ عاداتُهُمْ   حَطْمُ المَناكِبِ كُلَّ يَوْمِ زِحامِ [١]

حتي أتيت على آخرها فوالله ماعاج ذاك الرجل يعنى النميري بشعري ولا حفل به •• ثم أنشده منصور يومئذ

إنَّ لِهارُونَ إمامِ الهُدَى   كَنْزَيْنِ مِنْ أجْرٍ وَمِنْ بِرِّ

يَرِيشُ ماتَبْرِي اللَّيالِي ولا   تَرِيشُ أيْدِيهِنَّ ما يَبْرِي

كأنَّما البَدْرُ على رَحْلِهِ   تَرْمِيكَ مِنْهُ مقلَتا صقرِ

وأنشده أيضاً

وَلِمَنْ أضاعَ لَقَدْ عَهِدْتُكَ حافظاً   لوَصِيَّةِ العبَّاسِ بالأخْوالِ

•• قال مروان وأخلق به أن يغلبني وأن يعلو على عنده فاني مارأيت أحسن من تخلصه الى ذكر الطالبين •• وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني أبو عثمان الجاحظ قال كان منصور النميري ينافق الرشيد ويذكر هارون في شعره ويريه أنه من وجوه شيعته وباطنه ومراده بذلك على بن أبي طالب عليه السلام لقول النبي عليه الصلاة والسلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى إذ وشى به عنده بعض أعدائه وهو العتابي فقال ياأمير المؤمنين هو الله الذي يقول

متى يَشْفِيكَ دَمْعُكَ مِنْ هُمُولِ   وَيَبْرُدُ ما بِقَلْبِكَ مِنْ غَلِيلِ

وأنشد أيضاً

شاءٌ مِنَ النَّاسِ راتِعٌ هامِلٌ   يُعَلِّلُونَ النُّفُوسَ بالباطِلِ

ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالعجائب فوجه الرشيد برجل من فزارة وأمره أن يضرب عنق منصور حيث تقع عينه عليه فقدم الرجل رأس عين من بعد موت منصور بأيام قلائل •• قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ ان النميري كان يذكر هارون في

[١] •• وبعده

وآرضوا بماقسم الاله لكم به   ودعوا وراثة كل أصيد حام

أني يكون وليس ذاك بكائن   لبنى البنات وراثة الاعمام

شعره وهو يعنى به أمير المؤمنين علياً عليه السلام ماأنشدناه محمد بن الحسن بن دريد النمرى

آلُ الرَّسُولِ خِيارُ النَّاسِ كُلِّهِمِ   وَخَيْرُ آلِ رَسُولِ اللهِ هارُونُ

رَضِيتُ حُكْمَكَ لاأبْغِي بِهِ بَدَلاً   لأنَّ حُكْمَكَ بالتَّوْفِيقِ مَقْرُونُ

•• وروي أنَّ أبا عتيمة الشيعى لما أوقع بأهل ديار ربيعة أوفدت ربيعة وفداً الي الرشيد فيهم منصور النميرى فلما صاروا بباب الرشيد أمرهم باختيار من يدخل عليه منهم فاختاروا عدداً بعد عدد إلى أن اختاروا رجلين أحدهما النميرى ليدخلا ويسألا حوائجهما وكان النميري مؤدباً لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو وصاحبه بين يدي الرشيد قال لهما قولا ماتريدان فانشد النميرى

ماتَنْقَضي حَسْرَةٌ مِنّي وَلاَ جَزَعُ

قال له الرشيد قل حاجتك وعد عن هذا •• فقال

اذا ذَكَرْتُ شَباباً لَيْسَ يُرْتَجَعُ

وأنشد القصيدة حتى أتي الى قوله

رَكْبٌ مِنَ النَّمْرِ عاذُوا بابْنِ عَمِّهِمُ   مِنْ هاشِمٍ إذْ ألَجَّ الأزْلَمُ الجَذَعُ

مَتُّوا اليكَ بِقُرْبي أنْتَ تَعْرِفُها   لَهُمْ بِها في سَنامِ المَجْدِ مُطَّلَعُ

إنَّ المَكارِمَ وَالمَعْرُوفَ أوْدِيَةٌ   أحلَّكَ اللهُ مِنْها حَيْثُ تُنْتَجَعُ

إذَا رَفَعْتَ أمْراً فاللهُ رافِعُهُ   وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الأقْوامِ مُتَّضِعُ

نَفْسِي فِداؤُكَ والأبْطالُ مُعْلِمَةٌ   يَوْمَ الوَغي وَالمَنايا بَيْنَهُمْ قُرَعُ

حتى أتى الى آخرها فقال له ويحك ماحاجتك فقال ياأمير المؤمنين أخربت الديار وأخذت الأموال وهتك الحرم فقال اكتبوا له بكل مايريد وأمر له بثلاثين ألف درهم واحتبسه عنده وشخص أصحابه بالكتب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى استأذنه في الانصراف فأذن له ثم اتصل بالرشيد قوله

شاءٍ مِنَ النَّاسِ رَاتِعٌ هامِلٌ ... يُعلِّلُونَ النُّفُوسَ بالباطِلِ
تُقتلُ ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ وَتَرْجُونَ خُلُودَ الجِنَانِ لِلقاتِلِ
ما الشَّكُّ عِندِي في كُفرِ قاتِلِهِ ... لَكِنَّنِي قدْ أَشُكُّ في الخاذِلِ

فامتعض الرشيد وأنفذ من يقتله فوجده في بعض الروايات ميتاً وفى أخرى عليلا لما به فسئل الرسول أن لا يأثم به وأن ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي فعاد بخبر موته •• وللنميري

لوْ كُنتُ أَخشَى مَعادِي حَقَّ خَشيَتِهِ ... لَمْ تَسْمُ عَيْنِي الى الدُّنيا وَلَمْ تَنَمِ
لَكِنَّنِي عَنْ طِلاَبِ الدِّينِ مُحْتَبِلٌ ... وَالعِلْمُ مِثْلُ الغِنى وَالجَهلُ كالعَدَمِ
يُحاوِلُونَ دُخُولِي في سَوادِهِمُ ... لَقَدْ أَطافُوا بِصدْعٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ
ما يَغلِبُونَ النَّصارَى وَاليَهُودَ عَلَى ... حُبِّ القُلُوبِ وَلاَ العُبَّادِ لِلصَّنَمِ

مجلس آخر ٧٩

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى (واذا الموؤدة سُئِلَتْ بأيِّ ذنبٍ قتلت) •• فقال كيف يصح أن يسئل من لا ذنب له ولا عقل فأى فائدة فى سؤالها عن ذلك وما وجه الحكمة فيه وما الموؤدة ومن أي شيء اشتقاق هذه اللفظة •• الجواب قلنا أما معنى سئلت ففيه وجهان •• أحدهما ان يكون المراد ان قاتلها طولب بالحجة فى قتلها وسئل عن قتله لها بأى ذنب كان على سبيل التوبيخ والتعنيف واقامة الحجة فالقتلة ههنا هم المسئولون على الحقيقة لا المقتولة وانما المقتولة مسئول عنها ويجرى هذا مجرى قولهم سألت حقى أى طالبت به ومثله قوله تعالى (وأوفوا بالعهد إنَّ العهد كان مسؤلا) أى مطالباً به مسؤلا عنه •• والوجه الآخر ان يكون السؤال توجه اليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ له والتقريع له والتنبيه له على انه لا حجة له في قتلها ويجرى هذا مجري قوله تعالى لعيسى عليه السلام (ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون

الله) على طريق التوبيخ لقومه واقامة الحجة عليهم •• فان قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويسأل من لا عقل له ولا فهم •• فالجواب أن في الناس من زعم ان الغرض بهذا القول اذا كان تبكيت الفاعل وتهجينه وادخال الغم عليه فى ذلك الوقت على سبيل العقاب لم يمتنع ان يقع وان لم يكن من الموؤدة فهم له لأن الخطاب وان علق عليها وتوجه اليها فالغرض فى الحقيقة به غيرها قالوا وهذا يجري مجري من ضرب ظالم طفلا من ولده فأقبل على ولده يقول له ضربت ما ذنبك وبأى شيء استحل هذا منك فغرضه تبكيت الظالم لا خطاب الطفل والأولى ان يقال فى هذا ان الاطفال وان كانوا من جهة العقول لا يجب في وصولهم الى الاغراض المستحقة ان يكونوا كاملى العقول كما يجب مثل ذلك فى الوصول الى الثواب فان كان الخبر متظاهراً والأمة متفقة على أنهم فى الآخرة وعند دخولهم الجنان يكونون على أكمل الهيئات وأفضل الاحوال وان عقولهم تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب الى الموؤدة لأنها تكون في تلك الحال ممن تفهم الخطاب وتعقله وان كان الغرض منه التبكيت للقائل واقامة الحجة عليه •• وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس ويحيي بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح وأبى الضحي ومروان وأبى صالح وجابر بن يزيد أنهم قرؤا سئلت بفتح السين والهمزة واسكان التاء بأي ذنب قتلت • وروى باسكان اللام وضم التاء الثانيـة على أن المـوؤدة موصوفة بالسؤال والقول بأى ذنب قتلت •• وروى القطبي عن مسلم والاعمش عن حفص عن عاصم قتلت بكسر التاء الثانية وفي سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين •• وروى عن أبي جعفر المـدنى قتلت بالتشديد واسكان التاء الثانيـة •• وروي عن بعضهم واذا الموؤدة سئلت بفتح الميم والواو فأما من قرأ سـئلت بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من ان الله تعالى أكملها في تلك الحال وأقدرها على النطق •• والوجه الثالث أن يكون معنى سئلت أي سألها وطولب بحقها وانتصف لها من ظالمها فكأنها هي السائلة تجوزاً واتساعا ومن قرأ بفتح السين وضم التاء الثانية من قُتِلْتُ فعلى أنها هي المخاطبة بذلك ويجوز فى هذا الوجه أيضاً قتلت باسكان التاء الاخيرة كقراءة الجماعة لأنه اختاره عنها كما يقال سئل زيدٌ بأيِّ ذنب ضرب وبأىِّ ذنب ضربت وقال يقوِّى هذه

القراءة في سئلت ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله يجيء المقتول يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقاً بقاتله يقول يارب سل هذا فيم قتلني فاما القراءة المأثورة عن حفص عن عاصم في ضم التاء الاخيرة من قتلت وبضم السين سئلت فمعناها (وإذا الموؤدة سئلت) ماتبغي فقالت (بأيّ ذنب قتلت) فاضمر ماسئلت عنه وأضمر قولها وقد تضمر العرب مثل هذا لدلالة الخطاب عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل قوله تعالى (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل ربنا تقبل منا) أي ويقولان ربنا ونظائره في القرآن كثيرة جداً ٠٠ فاما قراءة من قرأ بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل بالموؤدة ههنا وان كان لفظها لفظ واحد فالمراد به الجنس واردة التكرار جائزة ٠٠ فاما من قرأ الموؤدة بفتح الميم والواو فعلى أن المراد الرحم والقرابة وانه يسأل عن سبب قطعها وتضييعها ٠٠ قال الله تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض) الآية ٠٠ فأما الموؤدة فهي المقتولة صغيرة وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات بأن يدفنوهن أحياء وهو قوله تعالى (أيمسكه على هونٍ أم يدسه في التراب) ٠٠ وقوله تعالى (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم) ويقال انهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين ٠٠ أحدهما انهم كانوا يقولون ان الاناث بنات الله فالحقوا البنات بالله فهو أحق بها منا والامر الآخر انهم كانوا يقتلونهن خشية الاملاق قال الله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) الآية ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه وجدت أبا عليّ الجبائي وغيره يقول انما قيل لها موؤدة لأنها ثقلت بالتراب الذي طرح عليها حتي ماتت وفي هذا بعض النظر لأنهم يقولون من الموؤدة وأديئد وأداً والفاعل وائد والفاعلة وائدة ومن الثقل يقولون آدني الشيء يؤدني اذا أثقلني أوداً ٠٠ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن العزل فقال ذاك الوأد الخفي وقد روي عن جماعة من الصحابة كراهية ذلك فقال قوم في الخبر الذي ذكرناه انه منسوخ بماروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قيل له ان اليهود يقولون في العزل هو الموؤدة الصغرى فقال عليه الصلاة والسلام كذبت اليهود لو أراد الله أن يخلقه لم يستطع أن يصرفه وقد يجوز أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام ذاك الوأد الخفي على طريق التأكيد للترغيب

في طلب النسل وكراهية العزل لا على أنه محظور محرم ٠٠ وصعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق بن غالب وكان ممن فدى الموؤدات في الجاهلية ونهى عن قتلهن وقيل انه أحيا ألف موؤدة وقيل دون ذلك ٠٠ وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله

وَمِنَّا الذِي مَنَعَ الوائِدَاتِ ... وَأَحْيا الوَئِيدَ فَلَمْ تُوءَدِ

وفي قوله

وَمِنَّا الذِي أحيا الوَئِيدَ وَغالِبٌ ... وَعَمْرٌو وَمِنا حاجِبٌ والأَقارِعُ

٠٠ وفي ذلك يقول أيضاً

أنا اُبْنُ عِقالٍ وَاُبْنُ لَيْلى وَغالِبٍ ... وَفَكَّاكُ أَغْلالَ الأَسِيرِ المُكَفَّرِ

— ليلى — أم غالب — وعقال — هو محمد بن سفيان بن مجاشع — وفكاك الأغلال — ناجية بن عقال — والمكفر — هو الذي كفر وكبل بالحديد

وَكَانَ لنا شَيْخانِ ذُو القَبْرِ مِنْهُما ... وَشَيْخٌ أجارَ النَّاسَ مِنْ كُلِّ مَقْبَرِ

— ذو القبر — غالب وكان يستجار بقبره والذي أجار الناس من القبر وأحيي الوئيدة صعصعة

عَلَى حِينَ لاَ تُحْيِي البَنَاتُ وَإِذْهُمُ ... عكُوفٌ على الأَصْنامِ حَوْلَ المُدَوَّرِ

أنا اُبْنُ الَّذِي رَدَّ المَنِيَّةَ فَضْلُهُ ... وَما حَسَبٌ دَافَعْتُ عَنْهُ بِمعورِ

أَبِي أَحَدُ الغَيْثَيْنِ صَعْصَعَةُ الَّذِي ... مَتَى تُخْلِفِ الجَوْزَاءُ وَالنَّجْمُ يُمْطِرِ

أجارَ بَنَاتِ الوَائِدِينَ وَمَنْ يُجِرْ ... على القَبْرِ يُعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفَرِ

وَفارِقِ لَيْلٍ مِنْ نِساءٍ أَتَتْ بِهِ ... يُعالِجُ رِيحاً لَيْلُها غَيْرُ مُقْمِرِ

— فارق — يعني امرأة ما خضا شبهها بالفارق من الابل وهي الناقة التي يضربها المخاض فتفارق الابل وتمضي على وجهها حتى تضع

فَقَالَتْ أَجِرْلِي ماوَلَدْتُ فَإِنَّنِي ... أَتَيْتُكَ مِنْ هَزْلِ الحَمُولَةِ مُقْتِرِ

رَأَى الأَرْضَ مِنْها رَاحَةً فَرَمَى بِها ... إِلَى خَدَدٍ مِنْها وَفي شَرِّ مَحْفَرِ

فقـالَ لهـا نامي فأَنتِ بِذِمتّي   لِبنَتِكَ جارٌ مِنْ أبيها القتَوَّرِ

ـ القتور ـ السيئ الخلق •• قال وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحى الصولى قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابى عن العباس بن بكار الضبى عن أبى بكر الهـذلى •• قال الصولي وحدثنى القاسم بن إسماعيل عن أبي عثمان المازنى عن أبى عبيـدة بطرف منه قال وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم وكان صعصعة منع الوأد فى الجاهلية فلم يدع تميما تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الاسلام وقد فدا في بعض الروايات أربعمائة موؤدة وفي أخرى ثلاثمائة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمى أوصنى فقال أوصـيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك وأدانيك أدانيك فقال زدني فقال عليه الصـلاة والسلام إحفظ مابين لحييك ورجليك ثم قال عليه الصلاة والسـلام ماشيء بلغنى عنك فعلته فقال يارسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الصواب غير أني علمت انهم ليسوا عليه فرأيتهم يئدون بناتهم فعرفت أن ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم ففديت ماقدرت عليه •• وفى رواية أخرى إن صعصعة لما وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فسمع قوله تعالي (فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره) قال حسبي ماأبالي أن لاأسمع من القرآن غير هذا •• ويقال انه اجتمع جرير والفرزدق يوماً عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق أنا ابن محيي الموتي فقال له سـليمان أنت ابن محيي الموتي فقال إن جـدى أحيا الموؤدة وقد قال الله تعالى (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) وقد أحيي جدي اثنين وتسعين موؤدة فتبسم سليمان وقال انك مع شعرك لفقيه

[تأويل خبر] •• إن سـأل سائل عن معنى الخبر الذى يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهي أن يصلى الرجـل وهو زناء •• الجواب قلنا الزناء هو الحاقن الذى قد ضاق ذرعا ببوله يقال أزنأ الرجل ببوله فهو يزنيه إزناء •• قال الاخطل

فإذا دُفِنتَ إلي زِناءٍ قعرُها   غبْراءَ مُظلْمَةٍ مِنَ الأَحفارِ[1]

[1] البيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان وكان عبد الله هذا محمقاً

يعنى ضيق القبر •• ويقال لاتأت فلاناً فان منزله زناء فيجوز أن يكون ضيقاً ويجوز أن يكون عسر المرتقي وكلاهما يؤل الى المعنى ويقال موضع زناء اذا كان ضـيقاً صعباً •• ومن

وأول القصيدة

صدع الخليط فشاقنى أجواري   ونأوك بعد تقـارب ومزار
وكأنما أنا شارب جادت له   بصرى بصافية الأديم عقار
صرف توارت الاعاجم جنها   وحماه حائط عوسج بجدار
من مسبل درجت اليه عيونه   وسقاه عازب جدول مرّار
حتي إذا ماأنضجته شمسـه   وأنا فليس عصاره كعصار
وتقصدت من غيرهش عوده   بال وليس بمحصرم أبكار
وتجردت بعد الهجير وصرحت   صهباء تبـدأ شربها بقتار
وجداً برملة يوم شرّق أهلها   للغور أو لشـقائق المذكار
وكأن ظعن الحى حائش قرية   داني الجناية مونع الأثمـار
واذا تكشفت الخدور بدالنا   بقرٌ كوانس في ظلال مغـار
واذا اطلعن من الخدور لحاجة   سدوا الخصاص بأوجه أحرار
ولقد حلفت برب موسى جاهداً   والبيت ذى الحرمات والاستار
وبكل مهتبل عليه مسوحه   دون السماء مسـبح جآر
لاحبرن لابن الخليفة مدحة   ولاقـذفن بها الي الامصار
قرم تمهـل في أمية لم يكن   فيهـا بذى أبنٍ ولا خوار
نبتت قناتك منهم فى أسرة   بيض الوجوه مصالت أخيار
جُهَراء للمعروف حين تراهم   حلماء غـير تنابل أشرار
قوم اذا بسط الاله ربيعهم   دارت رحاه بمسبل درّار
واذا أريد بهم عقوبة فاجر   مطرت صواعقهم عليه بنار
قوم همُ نالوا التمام وأزحفت   عنه مـذارع آخرين قصار
وأبوك صاحب يوم أذرح اذ أبى الحـكمان غير تهايب وضرار

ذلك قول أبي زبيد يصف أسداً

أَبَنَّ عِرِسِيَّةً عِنَّابُها أَشِبٌ   وَدُونَ غايَتِهِ مُسْتَوْرِدٌ شَرِعُ

شاسِي الهُبُوطِ زَناء الحامِيَيْنِ مَتى   تَنْشَعْ بَوادِرُهُ يُحْدِثْ لَها فَزَعُ[١]

لما تبعثت الضغائن بينهم   أفضى وسار بجحفل جرار

وأهل اذ غنظ العدو بغياق   تحت الاشاء عريضة الآثار

حتى رأوه بجنب مسكن معلماً   والخيل جاذية على الاقتار

ومنها

تسمو العيون الى عزيز بابه   معطي المهابة نافع ضرار

وترى عليه إذ العيون شزرنه   سيما الحليم وهيبة الجبار

ولقد أناجي النفس لما شفها   خوف الجنان ورهبة الاقتار

بأبي سليمان الذي لولا يد   منه علقت بظهر أحدب عار

واذا دفعت الى زناء بابها   غبراء مظلمة من الاجفار

لولا فواضله غداة لقيته   بالجد شاب مسابحي وغذاري

من معشر حنقين لولا أنتم   يابن الخليفة ماشددت إزاري

والشافعون مغيبون وجوههم   ورزمو المقالة نا كسو الابصار

[١] البيتان من قصيدته التي أولها

من مبلغ قومنا النائين اذ شحطوا   أن الفؤاد اليهم شيق ولع

حمال أثقال أهل الود آونة   أعطيهم الجهد مني بلهَ ماأسع

يروي أن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه قال له يوما يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك فقد أنبئت انك تجيد وكان أبو زبيد الطائي هذا نصرانياً فأنشده القصيدة ووصف الاسد فقال عثمان رضى الله عنه تالله تفتؤ تذكر الاسد ماحييت والله اني لأحسبك جباناهرابا قال كلا ياأمير المؤمنين ولكني رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهدا لايبرح ذكره يتجدد ويتردد في قلبي ومعذور أنا غير ملوم فقال له عثمان رضي الله عنه وانى كان ذلك قال خرجت في صيابة أشراف من أبناء قبائل العرب ذوى هيئة وشارة حسنة ترمى

يعني – بزناء الحاميين – انه ضيق جانبي الوادي •• وقوله – متى تنشع بوادره – أي يضيق بجماعة ممن يرده وانما يحدث لها فزع من الأسد – والشاس – الغليظ يقال مكان شاس اذا كان غليظاً ومن ذلك قولهم زنأ فلان في الجبل اذا كابد الصعود فيه وهو يزنأ في الجبل •• وروى ابن دريد ان قيس بن عاصم المنقري أخذ صبياً له يرقصه وأم ذلك الصبي منفوسة وهي

بنا المهارى بأكسائها ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام فاخروط بنا السير في حمارة القيظ حتى إذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وشالت المياه وأذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصر الجندب وأضاف العصفور الضب في وكره وجاوره في جحره قال قائل أيها الركب غوروا بنا في دوح هذا الوادى واذا واد قد بدي لنا كثير الدغل دائم الغلل أشجاره مغنه وأطياره مرنه فحططنا رحالنا باصول دوحات كنهبلات فاصبنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماء البارد فانا لنصف حر يومنا ومماطلته اذ صر أقصي الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه فوالله مالبث أن جال ثم حمحم فبال ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً فواحداً فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أنا قد أتينا وانه السبع ففزع كل واحد منا إلى سيفه فاستله من جربانه ثم وقفنا زردقا أرسالا وأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالع في مشيته كأنه مجنوب أو في هجار لصدره نحيط ولبلاعمه غطيط ولطرفه وميض ولأرساغه نقيض كأنما يخبط هشيما أو يطأ صريعاً وإذا هامة كالمجن وخد كالمسن وعينان سجروان كأنهما سراجان يتقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكتد مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن إلى مخالب كالمحاجن فضرب بيديه فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغار الأخرق ثم تمطي فأسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم اقعي فاقشعر ثم مثل فاكفهر ثم تجهم فازبأر فلاوذو بيته في السماء ما اتقيناه الا باخ لنا من فزاره كان ضخم الجزاره فوقصه ثم نفضه نفضة فقضقض متنيه فجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي فبعد لأي ما استقدموا فهجهجنا به فكر مقشعراً بزبره كأن به

بنت زيد الفوارس بن ضرار الضبي فجعل قيس يقول له

أَشْبِهْ أَبا أُمِّكَ أَوْ أَشْبِهْ عمَلْ وَلاَ تَـكُونَنَّ كَهَلُّوفٍ وَكَلْ

تريد عملي [1] ـ الوكل ـ الجبـان ـ والهلوف ـ الهرم المسن وهو أيضاً الكبير اللحية وانما أراد به ههنا الاول

* وَأَرْقَ إلى الخَيْرَاتِ زَنأً في الجَبَلْ *

فاخذته أمه وجعلت ترقصه •• وتقول

أَشْبِهْ أَخِي أَوْ أَشْبِهَنْ أَباكَا أَمَّا أَبي فَلَنْ تَنالَ ذَاكَا

* تَقْصُرُ عَنْ مَنَالِهِ يَدَاكَا *

شما حولياً فاختلج رجلا أعجر ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت منها مفاصله ثم همهم فقرقر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فارعشت الأيدى واصطكت الارجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخزلت المتون فقال له عثمان رضى الله عنه أسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين

[١] قوله ـ يريد عملي •• قال في اللسان وعمل اسم رجل وأنشد الرجز •• وفي نوادر أبي زيد وزعموا أن قيس بن عاصم أخذ ابنه حكيما وأمه منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي فرقصه وقال

أشبه أبا أمك أو أشبه عمل ولا تكونن كهلوف وكل
يبيت في مقعده قد انجدل وارق إلى الخيرات زناً في الجبل

أبو حاتم وأبو عثمان ـ عمل ـ وهو اسم رجل فاخذته منفوسة منه •• ثم قالت

أشبه أخي أو اشبهن أباكا أما أبي فلن تنال ذاكا

* تقصر أن تناله يداكا *

ويروي تقصر عن تناله كذا أنشده أبو زيد

مجلس آخر ٨٠

[تأويل آية]•• إن سأل سائل عن قوله تعالى (وهديناه النجدين) الى آخر السورة •• فقال ما تأويل هذه الآية وما معنى ما تضمنته •• الجواب قلنا أما ابتـداء الآية فتذكير بنعم الله تعالى عليهم وما أزاح به علتهم في تكاليفهم وما تفضل به عليهم من الآلات التي يتوصلون بها الى منافعهم ويدفعون بها المضار عنهم لأن الحاجة الى أكثر المنافع الدينية والدنيوية ماسة فالحاجة الى العينين للرؤية واللسان للنطق والشفتين لحبس الطعام والشراب وامساكهما في الفم والنطق أيضاً •• فاما ـ النجد ـ في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الارض والغور الهابط منها وانما سمى الموضـع المرتفع من أرض العرب نجداً لارتفـاعه •• واختلف أهل التأويل في المراد بالنجدين فذهب قوم الى أن المراد بهما طريقا الخير والشر وهذا الوجه روى عن علي بن أبى طالب عليه السلام وابن مسعود والحسن وجماعة من المفسرين •• وروى أنه قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام ان أناساً يقولون فى قوله (وهديناه النجدين) انهما الثديان فقال عليه السلام لا إنهما الخير والشر •• وروى عن الحسن أنه قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس انهما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير •• وروي عن قوم آخرين أن المراد بالنجدين ثديا الام •• فان قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعاً كطريق الخير ومعلوم أنه لا شرف ولا رفعة في الشر •• قلنا يجوز أن يكون انما سماه نجداً لظهوره وبروزه لمن كلف اجتنابه ومعلوم ان الطريقين جميعاً باديان ظاهران ويجوز أيضاً أن يكون سمى طريق الشر نجداً من حيث يحصل فى اجتناب سلوكه والعدول عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثل ذلك فى سلوك طريق الخير لأن الثواب الحاصل فى اجتناب طريق الشر كالثواب فى سلوك طريق الخير •• وقال قوم انما أراد بالنجدين انا بصرناه وعرفناه ماله وعليه وهديناه الى طريق استحقاق الثواب وثنى النجدين على طريق عادة العرب فى تثنية الأمرين اذا اتفقا في بعض الوجوه وأجرى لفظة أحدهما على الآخر كما قيل في الشمس والقمر القمران •• قال الفرزدق

* لَنَا قَمَرَاها وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ [١]

ولذلك نظائر كثيرة ٠٠ فأما قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) ففيه وجهان ٠٠ أحدهما أن يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم أى فلم يقتحم العقبة وأكثر مايستعمل هذا الوجه بتكرير لفظ لا كما قال سبحانه (فلا صدق ولا صلى) أي لم يصدق ولم يصل ٠٠ وكما قال الحطيئة

وَإِنْ كَانَتِ النَّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا   وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا [٢]

---

[١] صدره ٠٠ أخذنا بآفاق السماء عليكم

[٢] البيت من قصيدة يمدح بها آل شماس بن لأي ومطلعها

ألا طرقتنا بعد ماهجعت هند   وقد سرن خمساً واتلأب بنا نجد
ألا حبذا هند وأرض بها هند   وهند أتى من دونها النأى والبعد
وهند أتى من دونها ذو غوارب   يقمص بالبوصي معرورف ورد
وان التى نكبتها عن معاشر   على غضاب أن صددت كما صدوا
أتت آل شماس بن لأى وانما   أتاهم بها الاحلام والحسب العد
فان الشقى من تعادي صدورهم   وذو الجد من لانوا اليه ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيداً أناتها   وان غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم   من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا   وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدوا
فان كانت النعمى عليهم جزوا بها   وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جل حادث   من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
وان غاب عن لأى بغيض كفتهم   نواشئ لم تطرز شواربهم بعد
وكيف ولم أعلمهم خذلوكم   على معظم وإن أديمكم قدوا
مطاعين فى الهيجا مكاشيف للدجي   بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
فمن مبلغ أبناء سعد فقد سعي   الى السورة العليا لهم حازم جلد

وقل مايستعمل هذا المعنى من غير تكرير لفظ لأنهم يقولون لاجئتني ولا زرتني يريدون ماجئتني وان قالوا لاجئتني صلح الا أن فى هذه الآية ماينوب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) فكأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن فمعنى التكرار حاصل ٠٠ والوجه الآخر أن يكون لاجارية مجرى الدعاء كقولك لانجا ولا سلم ونحو ذلك ٠٠ وقال قوم فلا اقتحم العقبة أي فهلا اقتحم العقبة أو أفلا اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالي (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر) ولو كان أراد النفي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جداً لأن قوله تعالى فلا خال من لفظ الاستفهام وقبح حذف حرف الاستفهام فى مثل هذا الموضع ٠٠ وقد عيب على عمر بن أبى ربيعة قوله

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا   عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ [١]

رأي مجد أقوام أضيع فخفهم   على مجدهم لما رأى انه الجهد
وتعذلني أبناء سعد عليهم   وماقلت الا بالذي علمت سعد

[١] قوله ـ ثم قالوا تحبها ـ الخ ٠٠ البيت يستشهد به النحويون على حذف همز الاستفهام والاصل أتحبها وقوله ـ بهراً ـ أى عجباً وجزم به ابن مالك في شرح التسهيل وأورد البيت شاهداً على نصبه بعامل لازم الاضمار ٠٠ وقيل التقدير أحبها حباً بهرني بهراً أى غلبني غلبة وأورد الزبير بن بكار البيت بلفظ. قلت ضعفى عدد الرمل الخ ٠٠ وقال ابن الاعرابي في نوادره المبهور المكروب وأنشد البيت وقيل معناه جهراً لا كاتم من قولهم القمر الباهر أى الظاهر ضوؤه وقيل معناه تباً كأنه قال تباً لهم لما أنكروا عليه حبها لان قوله تحبها على الانكار ٠٠ والبيت من قصيدة له يقولها فى معشوقته الثريا بنت عبد الله بن الحارث لما صرمته ومطلعها

قال لى صاحبي ليعلم مابى   أتحب القتول أخت الرباب
قلت وجدي بها كوجدك بالعذ   ب اذا مامنعت برد الشراب
أزهقت أم نوفل إذ دعتها   مهجتى ما لقاتلى من متاب
حين قالت لها أجيبي فقالت   من دعاني قالت أبو الخطاب

فاما الترجيح بان الكلام لو اريد به النفي لم يتصل وقد ثبت أنه متصل مع ان المراد به النفي لأن قوله تعالي (ثم كان من الذين آمنوا) معطوف على قوله فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا فالمعنى انه ما اقتحم العقبة ولا آمن على ما بيناه •• فاما المراد بالعقبة فاختلف فيه فقال قوم هي عقبة ملساء فى جهنم واقتحامها فك رقبة •• وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أمامكم عقبة كؤود لا يجوزها المثقلون وأنا أريد أن أخفف لتلك العقبة •• وروى عن ابن عباس أنه قال هى عقبة كؤود فى جهنم وروي أيضاً أنه قال العقبة هي النار نفسها فعلى الوجه الاول يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدى الى اقتحام هذه العقبة ويكون سبباً لجوازها والنجاة منها لأن فك رقبة وما أتي بعد ذلك ليس هو النار نفسها ولا موضعها •• وقال آخرون بل العقبة ما ورد مفسراً لها من فك الرقبة والاطعام في يوم المسغبة وانما سمى ذلك عقبة لصعوبته على النفوس ومشقته عليها وليس يليق بهذا الوجه الجواب الذى ذكرناه فى معني قوله (فلا اقتحم العقبة) وانه على وجه الدعاء لأن الدعاء لا يحسن الا بالمستحق له ولا يجوز أن تدعي على أحد بان لا يقع منه ما كلف وقوعه وفك الرقبة والاطعام المذكور من الطاعات فكيف يدعى علي أحد بأن لا يقع منه فهذا الوجه يطابق أن يكون العقبة هي النار نفسها أو عقبة فيها •• وقد اختلف الناس فى قوله فك رقبة فقرأ علي عليه السلام ومجاهد وأهل مكة والحسن وأبو رجاء العطاردي وأبو عمرو بن العلاء والكسائى فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقرأوا وأطعم على الفعل دون الاسم وقرأ أهل المدينة وأهل الشام وعاصم وحمزة ويحيي بن وثاب ويعقوب الحضرمي فك بضم الكاف وخفض رقبة واطعام على المصدر وتنوين الميم وضمها •• فمن قرأ على الاسم ذهب الى أن جواب الاسم

فاجابت عند الدعاء كما لبـ | ـى رجال يرجون حسن الثواب

أبرزوها مثل المهاة تهادي | بين خمس كواعب أتراب

فتبدت حتى اذا جن قلبي | حال دوني ولائد بالثياب

وهي مكنونة تحير منها | في أديم الخدين ماء الشباب

ومنها سلبتني مجاجة المسك عقلي | فسلوها ماذا أحل اغتصابي

بالاسم أكثر في الكلام وأحسن من جوابه بالفعل ألا ترى ان المعنى ما ادراك ما اقتحام العقبة هو فك رقبة واطعام ذلك أحسن من أن يقال هو فك رقبة أو أطعم ومال الفراء الى القراءة بلفظ الفعل ورجحها بقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) لانه فعل فالاولى أن يتبع فعلا وليس يمتنع أن نفس اقتحام العقبة وان كان إسما فهو فعل يدل على الاسم مثل قول القائل ما أدراك ما زيد يقول مفسراً يصنع الخير ويفعل المعروف وما أشبه ذلك فيأتي بالافعال — والسغب — الجوع وانما أراد أنه يطعم في يوم ذي مجاعة لأن الاطعام فيه أفضل وأكرم • فاما — مقربة — فمعناه يتيماً ذا قربي من قرابة النسب والرحم وهذا حض على تقديم ذى النسب والقربى المحتاجين على الاجانب فى الافضال — والمسكين — الفقير الشديد الفقر — والمتربة — مفعلة من التراب أي هو لاصق بالارض من ضره وحاجته ويجرى مجري قولهم فى الفقير مدقع وهو مأخوذ من الدقع وهو الارض التى لا شيء فيها • وقال قوم ذا متربة أى ذا عيال والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل أنه من الرحم وقد يمكن في متربة أن يكون غير مأخوذ من القرابة والقربى بل من القرب الذى هو من الخاصرة فكأن المعنى أنه يطعم من خاصرته لصقت من شدة الجوع والضر وهذا أعم فى المعنى من الاول وأشبه بقوله تعالى (ذا متربة) لان كل ذلك مبالغة فى وصفه بالضر وليس من المبالغة فى الوصف بالضر أن يكون قريب النسب والله أعلم بمراده •• [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر

وَكَأَنَّهُ مِنْ وَفْدِهِ عِنْدَ القِرَا | لَوْلاَ مَقَامُ المادِحِ المُتَكَلِّمِ

وَكَأَنَّهُ أَخَذَ النَّدَا بِثِيَابِهِ | لَوْلاَ مَقَالَتُهُ أَطِبْ لِلمُؤْدَمِ

ويقارب ذلك قول محمد بن خارجة في المعنى

سَهْلُ الفِنَاءِ إِذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ | طَلْقُ اليَدَيْنِ مُؤَدَّبُ الخُدَّامِ

وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ | لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الأَرْحَامِ [1]

[1] وقبلهما نعم الفتى فجعت به اخوانه | يوم البقيع حوادث الايام
والابيات نسبها أبو تمام في مختار شعر القبائل لمحمد بن بشير الخارجي

ومثله لأبي الهذى

نَزَلْتُ علي آلِ المُهلّبِ شاتياً ◦ غَريباعَنِ الأَوطانِ في زَمنٍ محْلِ
فمازَالَ بي إِكرامُهُم وافتقادُهُمُ ◦ وَإنعامُهُمْ حتي حَسبتُهُمُ أهْلي

ولأثالة بن القراعي يمدح عقبة بن سنان الحارثي

أَلَمْ تَرَني شَكَرْتُ أبا سَعيدٍ ◦ بنُعْماهُ وَقَدْ كَفَرَ الموالى
وَلَمْ أكْفُرْ سَحائِبَهُ اللَّواتي ◦ مطَرْنَ عليّ واهِيَةَ العزَالي
فمَنْ يكُ كافراً نُعْماهُ يَوماً ◦ فإني شاكرٌ أخرى اللَّيالى
فتًى لمْ تَطلُعِ الشِّعْرَي بأُفْقٍ ◦ وَلَمْ تَعرِضْ لِيُمْنٍ أوْ شمالِ
علي نَدّى لهُ إنْ عُدَّ مَجْدٌ ◦ وَمكْرُمَةٌ وَإتلافٌ لِمالِ
وَأصبَرَ في الحَوادِثِ إنْ أَلَمَّتْ ◦ وَأَسعَي للمحامِدِ وَالمعالي
فتيً عمَّ البَرِيَّةَ بالعطايا ◦ فقد صارُوا لهُ أدْنى العِيالِ

◦◦ فأما قول جرير

لمْ أقْضِ مِنْ صُحْبةِ زَيْدٍ أرَبي ◦ فتىً إذَا أغضَبْتَهُ لمْ يَغضَبِ
مُوكّلُ العَيْنِ بحِفظِ الغَيْبِ ◦ أقْصي الفرِيقَيْنِ لهُ كالأَقرَبِ

فانه لم يرد إن الضعيف السبب فى المودة كالقوى السبب وانما أراد أنه يرعى من غيب الرفيق البعيد الغائب حقه مايرعاه من حق الشاهد الحاضر وانه يستوى عنده لكرمه وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت منازله وهذا بخلاف ماعليه أكثر الناس من مراعاة الحاضر القريب واهمال حق البعيد ◦◦ هذا آخر مجلس أملاه الشريف المرتضى علم الهدي ذو المجدين أبو القاسم على بن الحسين الموسوى رضي الله عنه ثم تشاغل بأمور الحج

﴿ تم الكتاب والحمد لله أولا وآخراً ﴾

فهرس الجزء الرابع من أمالي السيد المرتضى

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

(تم الفهرس)

٣-٤

